مختصر تفسير البغوي

عبد الله بن أحمد بن علي الزيد

3

[12] { وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ } ، أي وسخرنا لسليمان الريح ، وقرأ أبو بكر عن عاصم الريحُ بالرفع أي سخر له الريحُ ، { غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ } ، أي سير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر ، وكانت تسير في يوم واحد مسيرة شهرين { وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ } ، أي أذبنا له عين النحاس ، والقطر النحاس { وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ } ، بأمر ربه ، قال ابن عباس : سخر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به ، { وَمَنْ يَزِغْ } ، أي يعدل ، { مِنْهُمْ } ، من الجن ، { عَنْ أَمْرِنَا } الذي أمرنا به من طاعة سليمان ، { نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ } ، في الآخرة ، وقال بعضهم : في الدنيا وذلك أن الله عز وجل وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته .

[13] { يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ } ، أي مساجد والأبنية المرتفعة قوله : { وَتَمَاثِيلَ } أي كانوا يعملون له تماثيل أي صورا من نحاس وصفر وشبّة وزجاج ورخام . وقيل : كانوا يصورون السباع والطير . وقيل : كانوا يتخذون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المسجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ، ولعلها كانت مباحة في شريعتهم ، كما أن عيسى كان يتخذ صورا من الطين فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله . { وَجِفَانٍ } ، أي قصاع واحدتها جفنة ، { كَالْجَوَابِ } ، كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع واحدتها جابية { اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا } أي وقلنا : اعملوا آل داود شكرا ، مجازه : اعملوا يا آل داود بطاعة الله شكرا له على نعمه ، { وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } ، أي العامل بطاعتي شكرا لنعمتي قيل : المراد من آل داود هو داود نفسه . وقيل : داود وسليمان وأهل بيته .

[14] { فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ } ، أي على سليمان ، قال أهل العلم : كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهر والشهرين ، وأقل من ذلك وأكثر وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد ، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات قائما وكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته وينظرون إليه يحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك ، فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الأرضة عصا سليمان ، فخر ميتا فعلموا بموته فذلك قوله : { مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ } ، وهي الأرضة التي ، { تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ } ، يعني عصاه { فَلَمَّا خَرَّ } ، أي سقط على الأرض ، { تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ } ، أي علمت الجن وأيقنت ، { أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } ، أي

في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيا ، أراد بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب ، لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب ، لغلبة الجهل عليهم ،

وذكر الأزهري أن معناه تبينت الجن ، أي ظهرت وانكشفت الجن للإنس ، أي ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك ، وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس : تبينت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ، أي علمت الإنس وأيقنت ذلك ، وقرأ يعقوب : { تَبَيَّنَتِ } بضم التاء وكسر الياء أي أعلمت الإنس والجن ، ذكر بلفظ ما لم يسم فاعله ، وَتَبَيَّنَ لازم ومتعد .

[15] قوله عز وجل : { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ } ، روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي ، قال : « قال رجل : يا رسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلا أو امرأة أو أرضا ؟ قال : كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد »{ فِي مَسْكَنِهِمْ } ، قرأ حمزة وحفص { مَسْكَنِهِمْ } بفتح الكاف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف وقرأ الآخرون مَسَاكِنِهِمْ على الجمع وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن ، { آيَةٌ } ، دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ، ثم فسر الآية فقال : { جَنَّتَانِ } ، أي هي جنتان بستانان ، { عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ } ، أي عن يمين الوادي وشماله . وقيل : عن يمين من أتاهما وشماله ، وكان لهما واد قد أحاطت الجنتان بذلك الوادي { كُلُوا } ، أي وقيل لهم : كلوا ، { مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ } ، يعني من ثمار الجنتين { وَاشْكُرُوا لَهُ } ، أي على ما رزقكم من النعمة والمعنى اعملوا بطاعته ، { بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ } ، أي أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة أي طيبة الهواء ، { وَرَبٌّ غَفُورٌ } ، قال مقاتل : وربكم إن شكرتموه فيما رزقكم رب غفور للذنوب .

[16] { فَأَعْرَضُوا } ، قال وهب : أرسل الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم ، وقالوا : ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا إن استطاع ، فذلك قوله تعالى : { فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ } ، وَالْعَرِم جمع عرمة وهي السِّكر الذي يحبس به الماء ، وقال ابن الأعرابي : العرم السيل الذي لا يطاق وقيل : العرم الوادي وأصله من العرامة وهي الشدة والقوة { وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ } ، وقرأ العامة بالتنوين ، وقرأ أهل البصرة : (أُكُلِ خَمْطٍ) بالإضافة ، الأكل الثمر ، والخمط الأراك وثمره يقال له البرير ، هذا قول أكثر المفسرين ، وقال المبرد والزجاج : كل نبت قد أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله هو خمط . وقال ابن الأعرابي : الخمط ثمر شجرة يقال له فسوة الضبع ، على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به ، فمن جعل الخمط اسما للمأكول فالتنوين في أُكُلٍ حسن ، ومن جعله أصلا وجعل الأكل ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة ، والتنوين سائغ تقول العرب : في بستان فلان أعناب كرم ، يترجم عن

الأعناب بالكرم لأنها منه ، { وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ } ، فالأثل هو الطرفاء ، وقيل : هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه ، والسدر شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين ، ولم يكن هذا من ذلك ، بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء ، قال قتادة : كان شجر القوم من خير

الشجر فصيره الله من شر الشجر بأعمالهم .
[17] { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا } ، أي ذلك الذي فعلنا بهم جزيناهم بكفرهم ، { وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ } أي وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلا الكفور ، وقال مجاهد : يجازى أي يعاقب . ويقال في العقوبة : يُجَازَى ، وفي المثوبة يُجْزَى . قال مقاتل : هل يكافأ بعمله السيئ إلا الكفور لله في نعمه . قال الفراء : المؤمن يُجْزَى ولا يُجَازَى أي يجزى للثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته .

[18] { وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا } بالماء والشجر هي قرى الشام ، { قُرًى ظَاهِرَةً } ، متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها ، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام . وقيل : كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام ، { وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ } ، أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم ، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار { سِيرُوا فِيهَا } ، أي وقلنا لهم : سيروا فيها ، وقيل : هو أمر بمعنى الخبر أي مكناهم من السير فكانوا يسيرون فيها { لَيَالِيَ وَأَيَّامًا } ، أي بالليالي والأيام أي وقت شئتم ، { آمِنِينَ } ، لا تخافون عَدُوًّا ولا جوعا ولا عطشا ، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية ، وقالوا : لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن تشتهيه .

[19] { فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا } ، فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الأزواد ، فعجل الله لهم الإجابة . وقال مجاهد : بطروا النعمة وسئموا الراحة { وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } ، بالبطر والطغيان . قوله تعالى : { فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ } ، عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم ، { وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ } ، فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ } ، لعبرا ودلالات ، { لِكُلِّ صَبَّارٍ } ، عن معاصي الله ، { شَكُورٍ } ، لأنعمه ، قال مقاتل : يعني المؤمن من هذه الأمة صبور على البلاء شاكر للنعماء قال مطرف : هو المؤمن إذا أعطي شَكَرَ وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ .

[20] قوله تعالى : { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ } ، قرأ أهل الكوفة : (صَدَّقَ) بالتشديد أي ظن فيهم ظنا حيث قال : { فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } { وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه ، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صَدَقَ عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ . وقال مجاهد : على الناس كلهم إلا من أطاع الله ، { فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ، قال السدي عن ابن عباس : يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين ، وقد قال الله تعالى : { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } ، يعني المؤمنين . وقيل : هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه .
[21] قال الله تعالى : { وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ } ، أي ما كان تسليطنا إياه عليهم ، { إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ } ، أي إلا لنعلم أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر ، وأراد علم الوقوع والظهور ، وقد كان معلوما عنده بالغيب ، { وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ } رقيب .

[22] { قُلِ } ، يا محمد لكفار مكة ، { ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ } ، أنهم آلهة ، { مِنْ دُونِ اللَّهِ } ، وفي الآية حذف أي ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم

في سِنِي الجوع ، ثم وصفها فقال: { لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } ، من خير وشر ونفع وضر { وَمَا لَهُمْ } ، أي للآلهة ، { فِيهِمَا } ، في السماوات والأرض ، { مِنْ شِرْكٍ } ، من شركة ، { وَمَا لَهُ } ، أي وما لله ، { مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ } ، عون .

[23] { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } الله في الشفاعة ، قاله تكذيبا لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ويجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله له أن يشفع له ، وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي : أُذِنَ بضم الهمزة ، { حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } ، قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء وكسر الزاي في { فُزِّعَ } أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم ، فالتفزيع إزالة الفزع كالتمريض والتفريط واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة ، فقال قوم: هم الملائكة ، ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم إنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل ، وقال بعضهم: إنما يفزعون حذرا من قيام الساعة . وقال جماعة: الموصوفون بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد : حتى إذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم إقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا: الحق ، فأقروا به حين لا ينفعهم الإقرار .

[24] قوله تعالى: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، فالرزق من السماوات ومن الأرض النبات ، { قُلِ اللَّهُ } ، أي إن لم يقولوا: رازقنا الله ، فقل أنت إن رازقكم هو الله ، { وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } . ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج كما يقول القائل للآخر: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب ، والمعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال ، فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال ، فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب . وقال بعضهم: أو بمعنى الواو والألف فيه صلة ، كأنه قال: وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين يعني نحن على الهدى وأنتم على الضلال .
[25] { قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ } .
[26] { قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا } ، يعني يوم القيامة .
{ ثُمَّ يَفْتَحُ } ، يقضي ، { بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ } .

[27] { قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ } ، أي أعلموني الذين ألحقتموهم به أي بالله شركاء في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون ، { كَلَّا } ، لا يخلقون ولا يرزقون ، { بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ } ، الغالب على أمره ، { الْحَكِيمُ } في تدبيره لخلقه فأنى يكون له شريك في ملكه .
[28] قوله عز وجل: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ } ، يعني للناس أحمرهم وأسودهم ، { بَشِيرًا وَنَذِيرًا } ، أي مبشرا ومنذرا ، { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } ، وروينا عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » (1) وقيل: كافة أي كافا يكفهم عما هم عليه من الكفر ، والهاء للمبالغة .
[29] { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ، يعني القيامة .
[30] { قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ } ، أي لا تتقدمون عليه يعني يوم القيامة ، وقال الضحاك : يوم الموت لا تتأخرون عنه

ولا تتقدمون بأن يزاد في أجلكم أو ينقص منه .

_____
(1) أخرجه البخاري في التيمم 1 / 435 ومسلم في المساجد رقم (521) 1 / 370 والمصنف في شرح السنة 13 / 196 .

[31] { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } ، يعنى التوراة والإنجيل ، { وَلَوْ تَرَى } ، يا محمد ، { إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ } ، محبوسون ، { عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ } ، يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال ، { يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا } ، استحقروا وهم الأتباع ، { لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا } ، وهم القادة والأشراف ، { لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ } ، أي أنتم منعتمونا عن الإيمان بالله ورسوله .

[32] { قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا } ، أجابهم المتبوعون في الكفر ، { لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ } ، بترك الإيمان .
[33] { وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ } ، أي مكركم بنا في الليل والنهار ، والعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار على توسع في الكلام . وقيل: مكر الليل والنهار وهو طول السلامة وطول الأمل فيهما ، كقوله تعالى: { فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ } . { إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا } ، وأظهروا { النَّدَامَةَ } ، وقيل: أخفوا ، وهو من الأضداد ، { لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، في النار والأتباع والمتبوعين جميعا . { هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } من الكفر والمعاصي في الدنيا .

[34] { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا } ، رؤساؤها وأغنياؤها ، { إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } .
[35] { وَقَالُوا } ، يعني قال المترفون للفقراء الذين آمنوا ، { نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا } ، ولو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد ، { وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } ، أي إن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا .
[36] { قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ } ، يعني إن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاء وامتحانا لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضييق على سخطه ، { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } ، أنها كذلك .

[37] { وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى } ، أي قربى ، قال الأخفش : قربى اسم مصدر كأنه قال: بالتي تقربكم عندنا تقريبا ، { إِلَّا مَنْ آمَنَ } ، يعني من آمن { وَعَمِلَ صَالِحًا } ، قال ابن عباس يريد إيمانه وعمله يقربه مني ، { فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا } ، أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة إلى سبعمائة في { وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ } ، قرأ حمزة : (في الغرفة) على واحدة ، وقرأ الآخرون بالجمع لقوله: { لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا } .
[38] { وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ } ، يعملون ، { فِي آيَاتِنَا } ، في إبطال حجتنا ، { مُعَاجِزِينَ } ، معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا ويفوتوننا ، { أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ } .

[39] { قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ } ، يعطي خلفه قال سعيد بن جبير : ما كان في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه ، وقال الكلبي : ما تصدقتم من صدقه وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق ، إما أن يعجله في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة ، { وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } ، خير من يعطي ويرزق . وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك » (1) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا » (2) .

_____
(1) أخرجه البخاري في التوحيد 13 / 464 ومسلم في الزكاة برقم (993) 2 / 690 .
(2) أخرجه البخاري في الزكاة 3 / 304 ومسلم في الزكاة برقم (1010) 2 / 700 .

[40] قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ } ، قرأ يعقوب وحفص { يَحْشُرُهُمْ } ، ويقول بالياء فيهما ، وقرأ الآخرون بالنون ، { جَمِيعًا } يعني هؤلاء الكفار ، { ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ } ، في الدنيا ، قال قتادة : هذا استفهام تقرير ، كقوله تعالى لعيسى : { أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ } ، فتتبرأ منهم الملائكة .
[41] { قَالُوا سُبْحَانَكَ } ، تنزيها لك ، { أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ } ، أي نحن نتولاك ولا نتولاهم ، { بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ } ، يعني الشياطين ، فإن قيل لهم: كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله: { يَعْبُدُونَ الْجِنَّ } ، قيل: أراد الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة ، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة ، فقوله { يَعْبُدُونَ } أي يطيعون الجن { أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ } ، يعني مصدقون للشياطين .

[42] ثم يقول الله: { فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا } ، بالشفاعة ، { وَلَا ضَرًّا } بالعذاب ، يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ، { وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ } .
[43] { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا } ، يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ، { إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى } ، يعنون القرآن ، { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } ، أي بين .
[44] { وَمَا آتَيْنَاهُمْ } ، يعني هؤلاء المشركين ، { مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا } ، يقرؤونها ، { وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ } ، أي لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب .

[45] { وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } ، من الأمم رسلنا وهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم ، { وَمَا بَلَغُوا } يعني هؤلاء المشركين ، { مِعْشَارَ } ، أي عشر ، { مَا آتَيْنَاهُمْ } ، أي أعطينا الأمم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر ، { فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ } ، أي إنكاري وتغييري عليهم ، يحذر كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية .

[46] { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ } أي بخصلة واحدة ، تم بين تلك الخصلة فقال: { أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ } ، أي لأجل الله ، { مَثْنَى } ، أي اثنين اثنين ، { وَفُرَادَى } ، أي واحدا واحدا ، { ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا } ، جميعا أي تجتمعون فتنظرون وتتحاورون وتنفردون ، فتفكرون في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا ، { مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ } ، أي جنون ، وليس المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق ، كقوله: { وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ } . { إِنْ هُوَ } ، ما هو ، { إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } ، قال مقاتل : تم الكلام عند قوله (ثم تتفكروا) أي في خلق السماوات والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثم ابتدأ فقال: ما بصاحبكم من جنة .

[47] { قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ } ، على تبليغ الرسالة ، { مِنْ أَجْرٍ } ، جعل { فَهُوَ لَكُمْ } ، يقول: قل لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجرا فتفهمونني ، ومعنى قوله: { فَهُوَ لَكُمْ } أي لم أسألكم شيئا كقول القائل: ما لي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء ، { إِنْ أَجْرِيَ } ، ما ثوابي ، { إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } .
[48] { قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ } ، والقذف الرمي بالسهم والحصى ، والكلام ، ومعناه أتى بالحق وبالوحي ينزله من السماء فيقذفه إلى الأنبياء ، { عَلَّامُ الْغُيُوبِ } ، رفع بخبر إن أي وهو علام الغيوب .

[49] { قُلْ جَاءَ الْحَقُّ } ، يعني القرآن والإسلام ، { وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ } ، أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدىء شيئا أو يعيد ، كما قال تعالى: { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ } ، وقال قتادة . الباطل هو إبليس ، وهو قول مقاتل والكلبي ، وقيل: الباطل الأصنام .
[50] { قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي } ، وذلك أن كفار مكة يقولون له : إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك ، وقال الله تعالى: { قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي } أي إثم ضلالتي على نفسي ، { وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي } ، من القرآن والحكمة ، { إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } .

[51] { وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا } ، قال قتادة : عند البعث حين يخرجون من قبورهم ، { فَلَا فَوْتَ } ، أي فلا يفوتونني كما قال: { وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ } ، وقيل: إذا فزعوا ، فوت ولا نجاة ، { وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ } ، قال الكلبي : من تحت أقدامهم ، وقيل: أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها ، وحيثما كانوا فهم من الله قريب ، لا يفوتونه . وقيل: من مكان قريب يعني عذاب الدنيا . وقال الضحاك : يوم بدر . وقال ابن أبزى : خسف بالبيداء ، وفي الآية حذف تقديره: ولو ترى إذ فزعوا لرأيت أمرا تعتبر به .

[52] { وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ } ، حين عاينوا العذاب ، قيل: عند اليأس وقيل: عند البعث . { وَأَنَّى } ، من أين ، { لَهُمُ التَّنَاوُشُ } التناوش بالمد والهمزة ، وبواو صافية من غير مد ولا همز ، ومعناه التناول أي كيف تناول ما بعد عنهم ، وهو الإيمان والتوبة ، وقد كان قريبا في الدنيا فضيعوه ، ومن همز قيل: معناه هذا أيضا . وقيل: التناوش بالهمزة من النبش وهو حركة في إبطاء ، يقال: جاء نبشا أي مبطئا متأخرا ، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه ،

وعن ابن عباس قال: يسألون الرد إلى الدنيا فيقال: وأنى لهم الرد إلى الدنيا ، { مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } أي من الآخرة إلى الدنيا .

[53] { وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ } ، أي بالقرآن ، وقيل: بمحمد صلى الله عليه وسلم ، من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة ، { وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } ، قال مجاهد ، يرمون محمدا بالظن لا باليقين ، وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن ، ومعنى الغيب: هو الظن لأنه غاب علمه عنهم ، والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون ، والمعنى يرمون محمدا بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون . وقال قتادة : يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار .
[54] { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ } , أي الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا . وقيل: نعيم الدنيا وزهرتها , { كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ } , يعني بنظرائهم , ومن كان على مثل حالهم من الكفار , { مِنْ قَبْلُ } . أي لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت اليأس , { إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ } , من البعث ونزول العذاب بهم , { مُرِيبٍ } , موقع لهم الريبة والتهمة .

(35) سورة فاطر
[1] { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } , خالقهما ومبدعها على غير مثال سبق , { جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ } ذوي أجنحة { مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ } ، قال قتادة ومقاتل : بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة أجنحة ، ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله ، { يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ } ، وقال ابن مسعود في قوله عز وجل: { لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } ، قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح ، وقال ابن شهاب في قوله يزيد في الخلق ما يشاء قال: حسن الصوت . وعن قتادة قال: هو الملاحة في العينين . وقيل: هو العقل والتمييز . { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .
[2] { مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ } ، قيل: من مطر ورزق ، { فَلَا مُمْسِكَ لَهَا } ، لا يستطيع أحد حبسها ، { وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ } ، فيما أمسك { الْحَكِيمُ } ، فيما أرسل من مطر ورزق .

[3] { يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ } قرأ حمزة والكسائي غَيْرِ بجر الراء ، وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله ،لأن { مِنْ } زيادة ، وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال لا خالق غير الله ، { يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } ، أي من السماء المطر ومن الأرض النبات ، { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } .

[4] { وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ } ، يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ، { وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } .
[5] { يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ } ، يعني وعد القيامة ، { فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ } ، وهو الشيطان .
[6] { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } ، أي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه ، { إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ } ، أي أشياعه وأولياءه { لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } ، أي ليكونوا في السعير ، ثم بين حال مرافقيه ومخالفيه فقال:
[7] { الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } .

[8] قوله تعالى: { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ } ، قال ابن عباس : نزلت في أبي جهل ومشركي مكة ، وقال سعيد بن جبير : نزلت في أصحاب الأهواء والبدع . وقال قتادة : منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكبائر فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكبائر ، { أَفَمَنْ زُيِّنَ } شبه وموه (عليه) وحسن { لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ } أي قبيح عمله ، { فَرَآهُ حَسَنًا } ، زين له الشيطان ذلك بالوسواس ، وفي الآية حذف مجازه: أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا ، { فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } ، وقيل: جوابه تحت قوله: { فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ } ، فيكون معناه أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة ، أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات . وقال الحسن بن الفضل : فيه تقديم وتأخير مجازه: أفمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر ، ومعنى الآية: لا تهتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا ، قرأ أبو

جعفر فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب ، { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } .
[9] { وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ } من القبور .

[10] قوله عز وجل: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا } ، وقال الفراء : معنى الآية من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا ، وقال قتادة : من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله ، معناه: الدعاء إلى طاعة من له العزة ، أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته ، كما يقال: من كان يريد المال فالمال لفلان ، أي فليطلبه من عنده وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله: { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا }{ كَلَّا } ، وقال: { الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } ، { إِلَيْهِ } ، أي إلى الله ، { يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } ، وهو قوله لا إله إلا الله ، وقيل: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقيل: الكلم الطيب ذكر الله . وعن قتادة : إليه يصعد الكلم الطيب أي يقبل الله الكلم الطيب . قوله: { وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } ، أي يرفع العمل الصالح الكلم الطيب ، فالهاء في قوله

يرفعه راجعة إلى الكلم الطيب ، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين . وقال الحسن وقتادة : الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه ، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله ، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال ، فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ، ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } ، وجاء في الحديث: « لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا قولا ولا عملا إلا بنية » (1) وقال قوم: الهاء في قوله يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادرا عن التوحيد ، وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل ، وقيل: الرفع من صفة الله عز وجل معناه: العمل الصالح يرفعه الله عز وجل . وقال سفيان بن عيينة :

العمل الصالح الخالص يعني أن الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال ، دليله قوله عز وجل: { فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } ، فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء ، {

_____
(1) هكذا رواه البغوي بغير سنده ، وتبعه عليه الخازن في تفسيره ، وذكر الإمام الطبري في تفسيره ج 22 ص 80 أوله وعزاه لقتادة .

وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ } ، قال الكلبي : أي الذين يعملون السيئات . وقال مقاتل : يعني الشرك . وقال أبو العالية : يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة ، كما قال الله تعالى: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ } ، وقال مجاهد وشهر بن حوشب : هم أصحاب الرياء . { لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ } ، يبطل ويهلك في الآخرة .
[11] قوله عز وجل: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ } ، أي آدم ، { ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ } ، يعني نسله ، { ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا } ذكرانا وإناثا { وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ } ، لا يطول عمره ، { وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ } ، يعني من عمر آخر ، كما يقال لفلان: عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر ، { إِلَّا فِي كِتَابٍ } ، وقيل: قوله ولا ينقص من عمره منصرف إلى الأول { إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } ، أي كتابة الأجل والأعمار على الله هين .

[12] قوله تعالى: { وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ } ، يعني العذب والمالح ثم ذكرهما فقال ، { هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ } ، طيب ، { سَائِغٌ شَرَابُهُ } أي جائز في الخلق هنيء ، { وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ } ، شديد الملوحة . وقال الضحاك : هو المر .
{ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا } ، يعني الحيتان من العذب والمالح جميعا { وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً } ، أي من المالح دون العذب ، { تَلْبَسُونَهَا } ، يعني اللؤلؤ . وقيل: نسب اللؤلؤ إليهما ، عيون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من ذلك ، { وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ } ، جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة ، { لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ } ، بالتجارة ، { وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } الله على نعمه .
[13] { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ } ، يعني الأصنام ، { مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ } ، وهو لفافة النواة ، وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة .

[14] { إِنْ تَدْعُوهُمْ } ، يعني إن تدعوا الأصنام ، { لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ } ، ما أجابوكم ، { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ } ، يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياها ، يقولون: ما كنتم إيانا تعبدون . { وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } ، يعني نفسه أي لا ينبئك أحد مثلي خبير عالم بالأشياء .
[15] { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ } ، إلى فضل الله والفقير المحتاج ، { وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } ، الغني عن خلقه المحمود في إحسانه إليهم . 16

[17] { إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ }{ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } ، شديد .

[18] { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ } ، أي نفس مثقلة بذنوبها غيرها ، { إِلَى حِمْلِهَا } ، أي حمل ما عليها من الذنوب ، { لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } ، أي ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه . قال ابن عباس : يلقى الأب والأم ابنه فيقول: يا بني احمل عني بعض ذنوبي ، فيقول: لا أستطيع حسبي ما علي . { إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ } ، يخافون ، { رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ } ، ولم يروه . وقال الأخفش : تأويله أي إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب ، { وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى } ، أصلح وعمل خيرا ، { فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ } ، لها ثوابه ، { وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } .

[19] { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } ، يعني الجاهل والعالم . وقيل: الأعمى عن الهدى والبصير بالهدى ، أي المؤمن والمشرك .
[20] { وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ } ، يعني الكفر والإيمان .
[21] { وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ } ، يعني الجنة والنار ، قال ابن عباس : الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار . وقيل: الحرور يكون بالنهار مع الشمس .
[22] { وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ } ، يعني المؤمنين والكفار . وقيل: العلماء والجهال . { إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ } ، حتى يتعظ ويجيب ، { وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ } ، يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور حين لم يجيبوا .
[23] { إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ } ، ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار .
[24] { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ } ، ما من أمة فيما مضى { إِلَّا خَلَا } ، سلف ، { فِيهَا نَذِيرٌ } ، نبي منذر .

[25] { وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ } ، بالكتب { وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ } ، الواضح كرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد .
[26] { ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ } ، أي إنكاري .
[27] { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ } طرق وخطط واحدتها جدة مثل مدة ومدد ، { بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ } ، يعني سود غرابيب على التقديم والتأخير ، يقال: أسود غربيب أي شديد السواد تشبيها بلون الغراب ، أي طرائق سود .

[28] { وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ } ، ذكر الكناية لأجل من ، وقيل: رد الكناية إلى ما في الإضمار ، مجازه: ومن الناس والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه , { كَذَلِكَ } , يعني كما اختلف ألوان الثمار والجبال , وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } , قال ابن عباس : يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا »(1) . وقال مسروق : كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } , أي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده .
[29] قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ } , يعني قرأوا القرآن , { وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ } , لن تفسد ولن تهلك ، والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب ، قال الفراء : قوله يرجون جواب لقوله: { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ } .

---

(1) قطعة من حديث رواه البخاري في التفسير 8 / 280 ومسلم في الفضائل برقم (2359) 4 / 1823 .

[30] { لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ } ، جزاء أعمالهم بالثواب ، { وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ } ، قال ابن عباس : يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن ، { إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ } ، قال ابن عباس : يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم .

[31] { وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ } ، يعني القرآن ، { هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } ، من الكتب ، { إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ } .
[32] { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ } ، يعني الكتاب الذي أنزلنا إليك الذي ذكر في الآية الأولى وهو القرآن جعلناه ينتهي إلى ، { الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } ، ويجوز أن يكون { ثُمَّ } بمعنى الواو ، أي وأورثنا ، كقوله: { ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا } ، أي وكان من الذين آمنوا ، ومعنى أورثنا أعطينا لأن الميراث عطاء ، قاله مجاهد .

وقيل: أورثنا أي أخرنا ، ومنه الميراث لأنه أخر عن الميت ، ومعناه أخرنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه ، وأهلنا له الذين اصطفينا من عبادنا ، قال ابن عباس : يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قسمهم ورتبهم فقال: { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } اختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين قرأ هذه الآية: « أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب ، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ، ثم يدخل الجنة » (1) ثم قرأ هذه الآية: { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ } . وقال عقبة بن صهبان : سألت عائشة عن قول الله عز وجل: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } الآية ، فقالت: يا بني كلهم في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من

_____
(1) قال الهيثمي في المجمع 7 / 95: رواه الطبراني وأحمد باختصار . وأخرجه الحاكم 2 / 426 والطبري 22 / 137 .

أصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم ، فجعلت نفسها معنا . وقال مجاهد والحسن وقتادة : فمنهم ظالم لنفسه وهم أصحاب المشأمة ، ومنهم مقتصد هم أصحاب الميمنة ، ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم . وعن ابن عباس قال: السابق: المؤمن المخلص ، والمقتصد: المرائي ، والظالم: الكافر نعمة الله غير الجاحد لها ، لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال: { جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } ، وقال بعضهم: يذكر ذلك عن الحسن ، قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته ، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته ، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته . وقيل: الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه ، والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه ، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره ، وقيل: الظالم من وحد الله بلسانه ولم

يوافق فعله قوله ، والمقتصد من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه ، والسابق من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله . وقيل: الظالم التالي للقرآن ، والمقتصد القارئ له العالم به ، والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه . وقيل: الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر ، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة

ولا صغيرة ، وقال سهل بن عبد الله : السابق العالم ، والمقتصد المتعلم ، والظالم الجاهل وقال بعضهم: المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي . وقيل: المراد منه المنافق ، فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله: { جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وإرسال الرسول إليهم وإنزال الكتب . والأول هو المشهور أن المراد من جميعهم المؤمنون ، وعليه عامة أهل العلم . قوله: { وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } أي: سابق إلى الجنة وإلى رحمة الله بالخيرات أي بالأعمال الصالحات ، { بِإِذْنِ اللَّهِ } ، أي أمر الله وإرادته ، { ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } ، يعني إيراثهم الكتاب .

[33] ثم أخبر بثوابهم فقال: { جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } ، يعني الأصناف الثلاثة ، قرأ أبو عمرو (يدخلونها) بضم الياء وفتح الخاء ، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء ، { يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } .

[34] { وَقَالُوا } أي ويقولون إذا دخلوا الجنة ، { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ } ، والحزن واحد كالبخل والبخل . قال ابن عباس : حزن النار . وقال قتادة : حزن الموت . وقال مقاتل : حزنوا لأنهما كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم . وقال عكرمة : حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات . وقال القاسم : حزن زوال النعم وتقليب القلب ، وخوف العاقبة ، وقيل: حزن أهوال يوم القيامة . وقال الكلبي : ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال الزجاج : أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد { إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ } .
[35] { الَّذِي أَحَلَّنَا } ، أنزلنا ، { دَارَ الْمُقَامَةِ } ، أي الإقامة ، { مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ } ، أي لا يصيبنا فيها عياء ولا مشقة ، { وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ } ، عياء من التعب .

[36] قوله تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا } ، أي لا يهلكون فيستريحوا كقوله عز وجل: { فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ } ، أي قتله . وقيل: لا يقضى عليهم الموت فيموتوا ، كقوله: { وَنَادَوْا يا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ } أي ليقض علينا الموت فنستريح ، { وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا } ، من عذاب النار ، { كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ } ، كافر ، قرأ أبو عمرو (يجزى) بالياء وضمها وفتح الزاي كُلُّ رفع على غير تسمية الفاعل ، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي { كُلَّ } نصب .

[37] { وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ } ، يستغيثون ويصيحون ، { فِيهَا } وهو افتعال من الصراخ وهو الصياح يقولون ، { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا } ، منها من النار ، { نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } ، في الدنيا من الشرك والسيئات ، فيقول الله لهم توبيخا { أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ } ، قيل: هو البلوغ . وقال عطاء وقتادة والكلبي : ثمان عشرة سنة . وقال الحسن : أربعون سنة . وقال ابن عباس :

ستون سنة ، يروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعذر الله تعالى إلى ابن آدم ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أعذر الله تعالى إلى امرئ أخر أجله حتى بلّغه ستين سنة » (1) { وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ } ، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، هذا قول أكثر المفسرين . وقيل: القرآن . وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع : هو الشيب . معناه: أولم نعمركم حتى شبتم ، ويقال: الشيب نذير الموت . وفي الأثر: ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها: استعدي فقد قرب الموت . قوله: { فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ } .

_____

(1) أخرجه البخاري في الرقاق 11 / 238

[38] { إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } .

[39] { هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ } ، أي يخلف بعضكم بعضا ، وقيل: جعلكم أمة خلفت من قبلها . ورأت فيمن قبلها ، ما ينبغي أن تعتبر به ، { فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ } ، أي عليه وبال كفره { وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا } ، غضبا { وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا } .

[40] { قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } ، أي جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني الأصنام ، { أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا } ، قال مقاتل : هل أعطينا كفار مكة كتابا ، { فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ } ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص { بَيِّنَةٍ } على التوحيد ، وقرأ الآخرون بينات على الجمع ، يعني دلائل واضحة منه في ذلك الكتاب من ضروب البيان ، { بَلْ إِنْ يَعِدُ } ، أي ما يعد ، { الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا } ، الغرور ما يغر الإنسان مما لا أصل له ، قال مقاتل : يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة غرور وباطل .

[41] قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا } ، أي: كيلا تزولا ، { وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ } ، أي ما يمسكهما أحد من بعده ، أي أحد سواه ، { إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } ، فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم ههنا؟ قيل: لأن السماوات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار فأمسكهما الله تعالى عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة .

[42] { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ } ، يعني كفار مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم ، وأقسموا بالله وقالوا: لو أتى رسول الله لنكونن أهدى دينا منهم ، وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث محمد كذبوه ، فأنزل الله عز وجل: { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ } ، رسول ، { لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ } ، يعني من اليهود والنصارى ، { فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ } ، محمد صلى الله عليه وسلم ، { مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا } ، أي ما زادهم مجيئه إلا تباعدا عن الهدى .

[43] { اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ } ، نصب { اسْتِكْبَارًا } على البدل من النفور ، { وَمَكْرَ السَّيِّئِ } ، يعني العمل القبيح ، أضيف المكر إلى صفته ، قال الكلبي : هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ حمزة (ومكر السيئ) ساكنة الهمزة تخفيفا وهي قراءة الأعمش ، { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ

السَّيِّئُ } ، أي لا يحل ولا يحيط المكر السيئ ، { إِلَّا بِأَهْلِهِ } ، فقتلوا يوم بدر ، وقال ابن عباس : عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك . والمعنى: إن وبال مكرهم راجع إليهم ، { فَهَلْ يَنْظُرُونَ } ، ينتظرون ، { إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ } ، إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار ، { فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا } .
[44] { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ } , يعني ليفوت عنه { مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا } .

[45] { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا } ، من الجرائم ، { مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا } ، يعني على ظهر الأرض كناية عن غير مذكور ، { مِنْ دَابَّةٍ } ، كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح ، { وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا } ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل طاعته وأهل معصيته .

(36) سورة يس
[1] { يس } ، ون ، قرأ بإخفاء النون فيهما ابن عامر والكسائي وأبو بكر وورش بخلف عنه في: نون والقلم ، والباقون يظهرون فيهما ، واختلفوا في تأويل (يس) حسب اختلافهم في حروف التهجي ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قسم ، يروى عنه أن معناه: يا إنسان بلغة طيء ، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة . وقال أبو العالية : يا رجل . وقال أبو بكر الوراق : يا سيد البشر .
[2] { وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ } .
[3] { إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } ، أقسم الله بالقرآن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم من المرسلين ، وهو رد على الكفار حيث قالوا: { لَسْتَ مُرْسَلًا } .
[4] { عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ، هو خبر بعد خبر ، أي إنك لمن المرسلين وإنك على صراط مستقيم . وقيل: معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم .
[5] { تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ } ، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص (تنزيل) بنصب اللام كأنه قال نزل تنزيلا ، وقرأ الآخرون بالرفع ، أي هو تنزيل العزيز الرحيم .

[6] { لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ } ، قيل: (ما) للنفي أي لم ينذر آباؤهم لأن قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل (ما) بمعنى الذي أي لتنذر قوما بالذي أنذر آباؤهم ، { فَهُمْ غَافِلُونَ } ، عن الإيمان والرشد .
[7] { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ } ، وجب العذاب ، { عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } ، هذا كقوله: { وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } .

[8] { إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا } قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل ، ولم يكن هناك غل ، أراد: منعناهم عن الإيمان بموانع ، فجعل الأغلال مثلا لذلك ، قال الفراء : معناه إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ } معناه لا تمسكها عن النفقة . { فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ } ، وهي كناية عن الأيدي وإن لم يجر لها ذكر لأن الغل يجمع اليد إلى

العنق ، معناه: إنا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان ، { فَهُمْ مُقْمَحُونَ } المقمح الذي رفع رأسه وغض بصره ، يقال: بعير قامح إذا روى من الماء فأقمح إذا رفع رأسه وغض بصره . قال الأزهري : أراد أن أيديهم لما غلت إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورءوسهم ، فهم مرفوعوا الرءوس برفع الأغلال إياها .
[9] { وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا } ، قرأ حمزة والكسائي وحفص (سدا) بفتح السين ، وقرأ الآخرون بضمها ، { فَأَغْشَيْنَاهُمْ } ، فأعميناهم من التغشية وهي التغطية ، { فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } ، سبيل الهدى .

[10] { وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } .
[11] { إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ } ، يعني إنما ينفع إنذارك من اتبع الذكر يعني القرآن فعمل بما فيه ، { وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ } ، حسن وهو الجنة .
[12] { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى } ، عند البعث ، { وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا } ، من الأعمال من خير وشر ، { وَآثَارَهُمْ } ، أي ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا » (1) .
وقال قوم: قوله: (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي: خطاهم إلى المسجد . روي عن أبي سعيد الخدري قال: شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى: (ونكتب ما قدموا وآثارهم) (2) . قوله تعالى: { وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ } حفظناه وعددناه وبيناه ، { فِي إِمَامٍ مُبِينٍ } ، وهو اللوح المحفوظ .

_____
(1) أخرجه مسلم في الزكاة رقم (1017) 2 / 704 والمصنف في شرح السنة 6 / 159 .
(2) أخرجه الترمذي في التفسير 9 / 94 وقال (حديث حسن غريب) وصححه الحاكم 2 / 428 .

[13] قوله عز وجل: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ } ، يعني اذكر لهم شبها مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهي أنطاكية ، { إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ } ، يعني رسل عيسى عليه الصلاة والسلام .
[14] فذلك قوله تعالى: { إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ } ، قال وهب : اسمهما يوحنا وبولس ، { فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا } ، يعني فقوينا { بِثَالِثٍ } ، برسول ثالث وهو شمعون ، وقرأ أبو بكر عن عاصم (فعززنا) بالتخفيف وهو بمعنى الأول كقولك: شددنا وشددنا ، بالتخفيف بالتثقيل ، وقيل: أي فغلبنا من قولهم: من عز بز . وقال كعب : الرسولان صادق وصدوق ، والثالث شلوم ، وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى إنما بعثهم بأمره تعالى ، { فَقَالُوا } ، جميعا لأهل أنطاكية ، { إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ } .
[15] { قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ } ، ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون .
[16] { قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ } .
[17] { وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } .

[18] { قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ } ، تشاءمنا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم ، فقالوا: أصابنا هذا بشؤمكم ، { لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ } ، لنقتلنكم ، وقال قتادة : بالحجارة { وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ } .
[19] { قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ } ، يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قبلكم . وقال ابن عباس والضحاك : حظكم من الخير والشر ، { أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ } ، يعني وعظتم بالله ، وهذا استفهام محذوف ، الجواب: إن ذكرتم ووعظتم بالله تطيرتم بنا ، وقرأ أبو جعفر (أن) بفتح الهمزة الملينة ذكرتم بالتخفيف ، { بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ } ، مشركون مجاوزون الحد .

[20] قوله عز وجل: { وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى } ، وهو حبيب النجار ، وقال السدي : كان قصارا . وقال وهب : كان رجلا يعمل الحرير وكان سقيما فد أسرع فيه الجذام ، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة ، وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين ، فيطعم نصفا لعياله ويتصدق بنصفه ، فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم ، { قَالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ } .
[21] { اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ } ، قال قتادة : كان حبيب في غار يعبد الله ، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فاظهر دينه ، فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: تسألون عن هذا أجرا؟ قالوا: لا ، فأقبل على قومه فقال: (يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) ، فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم ؟

[22] فقال: { وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } ، قرأ حمزة ويعقوب (ما لي) بإسكان الياء ، والآخرون بفتحها . قيل . أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم ، لأن الفطرة أثر النعمة ، وكانت عليه أظهر , وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق وقيل: إنهم - لما قال: اتبعوا المرسلين- أخذوه فرفعوه إلى الملك ، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم؟ فقال: (وما لي لا أعبد الذي فطرني) ، يعني وأي شيء في إذا لم أعبد الخالق ، (وإليه ترجعون) تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم .
[23] { أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً } ، استفهام بمعنى الإنكار ، أي لا أتخذ من دونه آلهة ، { إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ } ، بسوء ومكروه ، { لا تُغْنِ عَنِّي } ، لا تدفع عني ، { شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا } أي لا شفاعة لها أصلا فتغني { وَلا يُنْقِذُونِ } ، من ذلك المكروه ، وقيل: لا ينقذون من العذاب لو عذبني الله إن فعلت ذلك .
[24] { إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } ، خطأ ظاهر .
[25] { إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ } ، يعني فاسمعوا مني ، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه .

[26] فذلك قوله: { قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ } ، فلما أفضى إلى الجنة ، { قَالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ } .
[27] { بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي } ، يعني بغفران ربي لي ، { وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ } ، تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه ، ليرغبوا في دين الرسل ، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النقمة ، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم .

[28] فذلك قوله: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ } ، يعني الملائكة ، { وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ } ، وما كنا نفعل هذا بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر مما يظنون . وقيل: معناه (وما أنزلنا على قومه من بعده) أي على قوم حبيب من بعد قتله من جند وما كما منزلين ، ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم ، كالطوفان والصاعقة والريح ، ثم بين عقوبتهم .
[29] فقال تعالى: { إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً } ، وقرأ أبو جعفر : صيحة واحدة , بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع . قال المفسرون: أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة ، { فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ } ، ميتون .

[30] { يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ } ، قال عكرمة : يعني يا حسرتهم على أنفسهم والحسرة شدة الندامة ، وفيه قولان: أحدهما يقول الله تعالى: (يا حسرة) وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسل ، والآخر أنه من قول الهالكين . قال أبو العالية : لما عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة أي ندامة على العباد يعني على العباد يعني الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم ، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم . قال الأزهري : الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين . وقيل العرب تقول . يا حسرتي ويا عجبا على طريق المبالغة والنداء عندهم بمعنى التنبيه ، فكأنه يقول : أيها العجب هذا وقتك؟ وأيتها الحسرة هذا أوانك؟ حقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب ، ثم بين سبب الحسرة والندامة ، فقال: { مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } .
[31] { أَلَمْ يَرَوْا } ، ألم يخبروا يعني أهل مكة ، { كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ } ، والقرن أهل كل عصر ، سموا بذلك لاقترانهم في الوجود ، { أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ } ، أي لا يعودون إلى الدنيا فلا يعتبرون بهم .

[32] { وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ } ، قرأ عاصم وحمزة (لما) بالتشديد هاهنا وفي الزخرف والطارق ، وافق ابن عامر إلا في الزخرف ، ووافق أبو جعفر في الطارق ، وقرأ الآخرون بالتخفيف ، فمن شدد جعل (إن) بمعنى الجحد ، و (لما) بمعنى إلا ، تقديره: وما كل إلا جميع ، ومن خفف جعل (إن) للتحقيق و (ما) صلة ، مجازه: كل جميع ، { لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ } .
[33] { وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا } ، بالمطر ، { وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا } ، يعني الحنطة والشعير وما أشبههما ، { فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ } ، أي من الحب .
[34] { وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ } بساتين ، { مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا } ، في الأرض ، { مِنَ الْعُيُونِ } .

[35] { لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ } ، أي من الثمر الحاصل بالماء ، { وَمَا عَمِلَتْهُ } ، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (عملت) بغير هاء ، وقرأ الآخرون (عملته) بالهاء أي يأكلون من الذي عملته ، { أَيْدِيهِمْ } ، من الزرع والغرس ، والهاء عائدة إلى (ما) التي هي بمعنى الذي . وقيل: ما للنفي في قوله ما عملته أيديهم أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم ، ولا صنع لهم فيها ، وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل ، وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها ، { أَفَلَا يَشْكُرُونَ } ، نعمة الله .
[36] { سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا } ، أي الأصناف كلها ، { مِمَّا تُنْبِتُ

الْأَرْضُ } ، من الثمار والحبوب ، { وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ } ، يعني الذكور والإناث , { وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ } ، مما خلق من الأشياء مع دواب البر والبحر .

[37] { وَآيَةٌ لَهُمُ } ، تدل على قدرتنا ، { اللَّيْلُ نَسْلَخُ } ، ننزع ونكشط ، { مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ } ، داخلون في الظلمة ، ومعناه نذهب النهار ونجيء بالليل ، وذلك أن الأصل هي الظلمة والنهار داخل عليها ، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل ، فتظهر الظلمة .
[38] { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا } ، أي إلى مستقر لها . قيل: إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة . وقيل: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا تجاوزه . وقيل : مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف , ونهاية هبوطها في الشتاء , { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } , وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس : والشمس تجري لا مستقر لها , وهي قراءة ابن مسعود أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبدا ذلك تقدير العزيز العليم .

[39] { وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ } , أي قدرنا له , قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة (القمر) برفع الراء لقوله: { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } , وقرأ الآخرون بالنصب لقوله: (قدرناه) أي قدرنا القمر , { مَنَازِلَ } , وقد ذكرنا عددها في سورة يونس (1) فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دق فذلك قوله: { حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ } , والعرجون عود العذق الذي عليه الشماريخ فإذا قدم عتق ويبس وتقوس واصفر ، فشبه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به .

_____
(1) انظر هنا (ص 390) من هذا المختصر

[40] { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ } ، أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ، ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه ، وهو قوله تعالى: { وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ } ، أي هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته . وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر ، لا يطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء ، وإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة . وقيل : (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي تجتمع معه في فلك واحد (ولا الليل سابق النهار) أي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما فاصل ، { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } ، يجرون .

[41] { وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ } ، والمراد بالذرية الآباء والأجداد ، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد ، { فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ } ، أي المملوء ، وأراد سفينة نوح ، وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح ، وكانوا في أصلابهم .
[42] { وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } , قيل: أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها . وقيل: أراد بالسفن التي تجري في الأنهار فهي في الأنهار كالفلك الكبار في البحار ، هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما ، وروي عن ابن عباس : أنه قال: وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ، يعني الإبل؛ فالإبل في البر كالسفن في البحر .
[43] { وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ } ، أي لا مغيث ، { لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ } ،

ينجون من الغرق . قال ابن عباس : ولا أحد ينقذهم من عذابي .
[44] { إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } ، إلى انقضاء آجالهم ، يعني إلا أن يرحمهم ويمتعهم إلى حين آجالهم .

[45] { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ } ، قال ابن عباس : ما بين أيديكم يعني الآخرة ، فاعملوا لها وما خلفكم يعني من الدنيا فاحذروها ، ولا تغتروا بها . وقيل: ما بين أيديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم ، وما خلفكم عذاب الآخرة ، { لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } ، والجواب محذوف تقديره : إذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه ، دليله ما بعده .
[46] { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ } ، أي دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ، { إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } .

[47] { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } ، أعطاكم الله ، { قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ } ، أنرزق ، { مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ } ، وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله ، وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم ، قالوا: أنطعم أنرزق من لو يشاء الله أطعمه رزقه ، ثم لم يرزقه مع قدرته عليه ، فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله ، وهذا مما يتمسك به البخلاء ، يقولون: لا نعطي من حرمه الله ، وهذا الذي يزعمون باطل ، لأن الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء ، فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله ، ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما أمر وفرض له في مال الغني ، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه ، { إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } ، يقول الكفار للمؤمنين: ما أنتم إلا في خطإ بين في اتباعكم محمدا وترك ما نحن عليه .
[48] { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ } ، أي القيامة والبعث ، { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } .

[49] قال الله تعالى: { مَا يَنْظُرُونَ } ، أي ما ينتظرون ، { إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً } ، قال ابن عباس : يريد النفخة الأولى ، { تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ } ، يعني يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء ، ويتكلمون في المجالس والأسواق ، قرأ حمزة (يخصمون) بسكون الخاء وتخفيف الصاد ، أي يغلب بعضهم بعضا بالخصام ، وقرأ الآخرون بتشديد الصاد ، أي يختصمون ، أدغمت التاء في الصاد .
[50] قوله عز وجل: { فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً } ، أي لا يقدرون الإيصاء . قال مقاتل : عجلوا عن الوصية فماتوا ، { وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ } ، ينقلبون ، والمعنى أن الساعة لا تمهلهم لشيء .
[51] { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ } ، وهي الأخيرة نفخة البعث ، وبين النفختين أربعون سنة ، { فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ } ، يعني القبور ، واحدها: جدث ، { إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ } ، يخرجون من القبور أحياء ، ومنه قيل للولد: نسل لخروجه من بطن أمه .

[52] { قَالُوا يا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا } قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة : إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين ، فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل . وقال أهل

المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم ، فقالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ ثم قالوا: { هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } ، أقروا حين لم ينفعهم الإقرار . وقيل: قالت الملائكة لهم: (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) . قال مجاهد : يقول الكفار: (من بعثنا من مرقدنا) فيقول المؤمنون: { هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } .
[53] { إِنْ كَانَتْ } ، ما كانت ، { إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً } ، يعني النفخة الأخيرة ، { فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ } .
[54] { فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } .

[55] { إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ } ، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (في شغل) اختلفوا في معنى الشغل ، قال ابن عباس : في افتضاض الأبكار . وقال وكيع بن الجراح : في السماع . وقال الكلبي : في شغل عن أهل النار وعما هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم . وقال الحسن : شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب . وقال ابن كيسان : في زيارة بعضهم بعضا . وقيل: في ضيافة الله تعالى . { فَاكِهُونَ } ، قرأ أبو جعفر (فكهون) حيث كان ، وافقه حفص في المطففين وهما لغتان مثل الحاذر والحذر ، أي ناعمون . قال مجاهد والضحاك : معجبون بما هم فيه . وعن ابن عباس قال: فرحون .
[56] { هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ } ، أي حلائلهم ، { فِي ظِلَالٍ } ، قرأ حمزة والكسائي ظلل بضم الظاء من غير ألف ، جمع ظله ، وقرأ العامة (في ظلال) بالألف وكسر الظاء على جمع ظل ، { عَلَى الْأَرَائِكِ } ، يعني السرر في الحجال واحدتها أريكة . قال ثعلب : لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة . { مُتَّكِئُونَ } ، ذوو اتكاء .
[57] { لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ } ، يتمنون ويشتهون .

[58] { سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ } ، أي يقول الله لهم قولا , وقيل: يسلم عليهم في ديارهم . وقيل: تسلم عليهم الملائكة من ربهم . وقال مقاتل : تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم . وقيل: يعطيهم السلامة يقول: اسلموا السلامة الأبدية .
[59] { وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ } ، قال مقاتل : اعتزلوا اليوم الصالحين . قال أبو العالية : تميزوا . وقال السدي : كونوا على حدة . وقال الزجاج : انفردوا عن المؤمنين . قال الضحاك : إن لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين ، لا يرى ولا يرى .
[60] { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ } ألم آمركم يا بني آدم ، { أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ } ، أي لا تطيعوا الشيطان في معصية الله ، { إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } ، ظاهر العداوة .
[61] { وَأَنِ اعْبُدُونِي } ، أطيعوني ووحدوني ، { هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } .

[62] { وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا } ، قرأ أهل المدينة وعاصم (جبلا) معناها: الخلق والجماعة أي خلقا كثيرا { أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ } ، ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس ، ويقال لهم لما دنوا من النار .
[63] { هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } ، بها في الدنيا .
[64] { اصْلَوْهَا } ادخلوها { الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } .

[65] { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ، هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم { مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } ، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم .

[66] { وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ } ، أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق ، وهو معنى الطمس كما قال الله: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ } يقول: كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة ، { فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ } ، فتبادروا إلى الطريق ، { فَأَنَّى يُبْصِرُونَ } ، فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟ يعني: لو تشاء لأضللناهم عن الهدى ، وتركناهم عميا يترددون ، فكيف يبصرون الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن والسدي ، وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء : معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم ، فأعميناهم عن غيهم ، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى ، فأبصروا رشدهم ، (فأنى يبصرون) ولم أفعل ذلك بهم ؟
[67] { وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ } ، يعني مكانتهم ، يريد: لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم ، وقيل: لو نشاء لجعلناهم حجارة ، وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم . { فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ } ، يعني إلى ما كانوا عليه على وقيل: لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع .

[68] { وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ } أي نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق . وقيل: ننكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها إلى نقصانها بعد زيادتها . { أَفَلَا يَعْقِلُونَ } ، فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت .
[69] قوله تعالى: { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ } ، قال الكلبي : إن كفار مكة قالوا: إن محمدا شاعر ، وما يقوله شعر ، فأنزل الله تكذيبا لهم: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) أي ما يتسهل له ذلك وما كان يتزن له بيت من الشعر ، حتى إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا ، { إِنْ هُوَ } ، يعني ما القرآن ، { إِلَّا ذِكْرٌ } ، موعظة ، { وَقُرْآنٌ مُبِينٌ } ، فيه الفرائض والحدود والأحكام .

[70] { لِيُنْذِرَ } ، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب (لتنذر) بالتاء وكذلك في الأحقاف ، وافق ابن كثير في الأحقاف ، أي لتنذر يا محمد ، وقرأ الآخرون بالياء أي لينذر القرآن ، { مَنْ كَانَ حَيًّا } ، يعني مؤمنا حي القلب لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر ، { وَيَحِقَّ الْقَوْلُ } ، ويجب حجة العذاب { عَلَى الْكَافِرِينَ } .

[71] { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا } ، تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد ، { أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ } ، ضابطون قاهرون ، أي لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم .
[72] وهي قوله: { وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ } ، سخرناها لهم ، { فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ } ، أي ما يركبون وهي الإبل ، { وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ } ، من لحمانها .
[73] { وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ } ، أي من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها ، { وَمَشَارِبُ } ، من ألبانها ، { أَفَلَا يَشْكُرُونَ } ، رب هذه النعم .
[74] { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ } ، يعني: لتمنعهم من عذاب الله ، ولا يكون ذلك قط .

[75] { لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ } ، قال ابن عباس : لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب . { وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ } ، أي الكفار جند للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق إليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا . وقيل: هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار .
[76] { فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ } ، يعني قول كفار مكة في تكذيبك ، { إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ } ، في ضمائرهم من التكذيب ، { وَمَا يُعْلِنُونَ } ، من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بألسنتهم من الأذى .
[77] قوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ } ، جدل بالباطل ، { مُبِينٌ } ، بين الخصومة ، يعني أنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم ، فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع الخصومة ، « نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في إنكار البعث ، وأتاه بعظم قد بلي ففتته بيده ، فقال: أترى يحيي الله هذا بعدما رم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعم ويبعثك ويدخلك النار » فأنزل الله هذه الآيات (1) .

_____
(1) أخرجه الطبري 23 / 30 والواحدي في أسباب النزول .

[78] { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ } ، بدء أمره ثم ، { قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } ، بالية ، ولم يقل رميمة لأنه معدول عن فاعله وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن أخواته ، كقوله: { وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا } ، أسقط الهاء لأنها كانت مصروفة عن باغية .
[79] { قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا } ، خلقها ، { أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } .
[80] { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا } ، قال ابن عباس : هما شجرتان يقال لأحدهما: المرخ والأخرى: العفار ، فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء ، فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله عز وجل ، تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار ، وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا العناب . { فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ } ، تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر ، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان .

[81] فقال: { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ } ، قرأ يعقوب يقدر بالياء على الفعل ، { عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى } ، أي قل بلى هو قادر على ذلك ، { وَهُوَ الْخَلَّاقُ } ، يخلق خلقا بعد خلق ، { الْعَلِيمُ } بجميع ما خلق .
[82] { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } .
[83] { فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ } ، أي ملك ، { كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } .

(37) سورة الصافات
[1] { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا } ، قال ابن عباس ، رضي الله عنهما والحسن وقتادة : هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة ، وقيل: هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريده . وقيل: هي الطيور دليله قوله تعالى: { وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ } .
[2] قوله تعالى: { فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا } ، يعني تزجر السحاب وتسوقه ، وقال قتادة : هي زواجر القرآن تنهي وتزجر عن القبائح .

[3] { فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا } ، هم الملائكة يتلون ذكر الله عز وجل . وقيل: هم جماعة قراء القرآن وهذا كله قسم أقسم الله تعالى به ، وجواب القسم:
[4] قوله: { إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ } ، وقيل: فيه إضمار، أي ورب الصافات والزاجرات والتاليات ، وذلك أن كفار مكة قالوا: { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا } ؟ فأقسم الله بهؤلاء .

[5] { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ } ، أي مطالع الشمس ، فإن قيل: قد قال في موضع: (رب المشارق والمغارب) ، وقال في موضع: { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } وقال في موضع: { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } ، فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟ قيل: أما قوله: { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } ، أراد به جهة المشرق وجهة المغرب . وقوله: { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف . وقوله: { بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ } ، أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة ، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها ، وتغرب في كوة منها لا ترجع إلى الكوة التي تطلع الشمس منها من ذلك اليوم إلى العام المقبل ، فهي المشارق والمغارب ، وقيل: كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب ، كأنه أراد رب جميع ما شرقت عليه الشمس وغربت .

[6] { إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ } ، قرأ عاصم ، برواية أبي بكر (بزينة) منونة ، (الكواكب) نصب أي بتزييننا الكواكب وقرأ حمزة وحفص (بزينة) منونة (الكواكب) خفضا على البدل ، أي بزينة بالكواكب ، أي زيناها بالكواكب . وقرأ الآخرون (بزينة الكواكب) ، بلا تنوين على الإضافة . قال ابن عباس : بضوء الكواكب .
[7] { وَحِفْظًا } . أي وحفظناها حفظا . { مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ } ، متمرد يرمون بها .
[8] { لَا يَسَّمَّعُونَ } ، قرأ حمزة والكسائي وحفص (يسمعون) بتشديد السين والميم ، أي لا يتسمعون ، فأدغمت التاء في السين ، وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم ، { إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى } ، أي إلى الكتيبة من الملائكة ، والملأ الأعلى هم الملائكة لأنهم في السماء ومعناه أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملأ الأعلى ، { وَيُقْذَفُونَ } ، يرمون ، { مِنْ كُلِّ جَانِبٍ } ، من كل آفاق السماء بالشهب .

[9] { دُحُورًا } ، يبعدونهم عن مجالس الملائكة ، يقال: دحره دحرا ودحورا إذ طرده وأبعده ، { وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ } ، دائم ، قال مقاتل : دائم إلى النفخة الأولى لأنهم يحرقون ويتخبلون .
[10] { إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ } ، اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة ، { فَأَتْبَعَهُ } ، لحقه ، { شِهَابٌ ثَاقِبٌ } ، كوكب مضيء قوي لا يخطئه يقتله ، أو يحرقه أو يخبله ، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعا في السلامة ونيل المراد ، كراكب السفينة ، قال عطاء : سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لأنه يثقبهم .

[11] { فَاسْتَفْتِهِمْ } ، يعني سلهم يعني أهل مكة ، { أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا } ، يعني من السماوات والأرض والجبال ، وهذا استفهام بمعنى التقرير أي هذه الأشياء أشد خلقا كما قال: { لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } ، وقال: { أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ } ، وقيل: (أم من خلقنا) يعني من الأمم الخالية ، لأن (من) يذكر فيمن يعقل ، يقول: إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الأمم ، وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب؟! ثم ذكر خلق الإنسان ، فقال: { إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ } ، يعني جيد حر لاصق يعلق باليد ، ومعناه اللازم إبدال الميم باء كأنه يلزم اليد . وقال مجاهد والضحاك : منتن .

[12] { بَلْ عَجِبْتَ } ، قرأ حمزة والكسائي بضم الباء ، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس ، والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من الآدميين كما قال: { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ } أن قال عز وجل: { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } والعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه ، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم ، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا ، وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم . أي عجبت من تكذيبهم إياك ، { وَيَسْخَرُونَ } يعني وهم يسخرون من تعجبك . قال قتادة : عجب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به ، فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به ، فعجب من ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تعالى: (بل عجبت ويسخرون) .
[13] { وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ } ، يعني إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون .

[14] { وَإِذَا رَأَوْا آيَةً } ، قال ابن عباس ومقاتل يعني انشقاق القمر ، { يَسْتَسْخِرُونَ } ، يسخرون ويستهزئون ، وقيل: يستدعي بعضهم عن بعض السخرية .
[15] { وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } ، يعني سحر بين .
[16] { أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ } .
[17] { أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ } . أي وآباؤنا الأولون .
[18] { قُلْ نَعَمْ } ، تبعثون ، { وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ } ، صاغرون ، والدخور أشد الصغار .
[19] { فَإِنَّمَا هِيَ } أي قصة البعث أو القيامة ، { زَجْرَةٌ } ، أي صيحة ، { وَاحِدَةٌ } ، يعني نفخة البعث ، { فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ } ، أحياء .
[20] { وَقَالُوا يا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ } ، أي يوم الحساب ويوم الجزاء .
[21] { هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ } ، يوم القضاء ، وقيل: يوم الفصل بين المحسن والمسيء ، { الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } . 22 ,

[23] { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا } أي أشركوا ، اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء ، { وَأَزْوَاجَهُمْ } ، أشياعهم وأتباعهم وأمثالهم ، قال قتادة والكلبي : كل من عمل مثل عملهم فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا . وقال الضحاك ومقاتل : وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة . وقال الحسن : وأزواجهم المشركات . { وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ }{ مِنْ دُونِ اللَّهِ } في الدنيا ، يعني الأوثان والطواغيت . وقال مقاتل : يعني إبليس وجنوده ، واحتج بقوله: { أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ } ، { فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ

الْجَحِيمِ } ، قال ابن عباس : دلوهم إلى طريق النار . وقال ابن كيسان : قدموهم . والعرب تسمي السابق هاديا .
[24] { وَقِفُوهُمْ } ، واحبسوهم ، يقال: وقفته وقفا فوقف وقوفا . قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حبسوا عند الصراط لأن السؤال عند الصراط ، فقيل: وقفوهم { إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ } ، قال ابن عباس : عن جميع أقوالهم وأفعالهم .

[25] { مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ } ، أي لا تتناصرون ، يقال لهم توبيخا: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا ، يقول لهم خزنة النار هذا جواب لأبي جهل حيث قال يوم بدر: { نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ } .
[26] فقال الله تعالى: { بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ } ، قال ابن عباس : خاضعون . وقال الحسن : منقادون؟ يقال استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع له ، والمعنى: هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم .
[27] { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ } ، أي الرؤساء والأتباع { يَتَسَاءَلُونَ } ، يتخاصمون .
[28] { قَالُوا } ، أي الأتباع للرؤساء ، { إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ } ، أي من قبل الدين فتضلوننا عنه وترونا أن الدين ما تضلوننا به ، قاله الضحاك ، وقال مجاهد : عن الصراط الحق ، واليمين عبارة عن الدين والحق ، وقال بعضهم: كان الرؤساء يحلفون لهم أن ما يدعونهم إليه هو الحق ، فمعنى قوله . (تأتوننا عن اليمين) أي من ناحية الإيمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها .
وقيل: عن اليمين أي عن القوة والقدرة ، كقوله: { لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ } ، والمفسرون على القول الأول .

[29] { قَالُوا } ، يعني الرؤساء للأتباع ، { بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } ، لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه ، أي إنما الكفر من قبلكم .
[30] { وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ } ، من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا ، { بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ } ، ضالين .
[31] { فَحَقَّ } ، وجب ، { عَلَيْنَا } ، جميعا ، { قَوْلُ رَبِّنَا } ، يعني كلمة العذاب ، وهي قوله: { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } . { إِنَّا لَذَائِقُونَ } ، العذاب ، أي أن الضال والمضل جميعا في النار .
[32] { فَأَغْوَيْنَاكُمْ } ، فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه ، { إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ } ، ضالين .
[33] قال الله: { فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } ، الرؤساء والأتباع .
[34] { إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ } ، قال ابن عباس : الذين جعلوا لله شركاء .
[35] { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } ، يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها .

[36] { وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ } ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم .
[37] قال الله عز وجل ردا عليهم: { بَلْ جَاءَ } محمد { بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ } ، أي أنه أتى بما أتى به الرسل قبله .
[38 ، 39] { إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ }{ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ، في الدنيا من الشرك .

[40] { إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ } ، الموحدين .
[41] { أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ } ، يعني بكرة وعشيا كما قال: { وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } .
[42] { فَوَاكِهُ } جمع الفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها ، وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت ، { وَهُمْ مُكْرَمُونَ } ، بثواب الله . 43 ,
[44] { فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ }{ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ } ، لا يرى بعضهم قفا بعض .
[45] { يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ } ، إناء فيه شراب ولا يكون كأسا حتى يكون فيه شراب ، وإلا فهو إناء ، { مِنْ مَعِينٍ } ، خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون .

[46] { بَيْضَاءَ } ، قال الحسن : خمر الجنة أشد بياضا من اللبن ، { لَذَّةٍ } ، أي لذيذة ، { لِلشَّارِبِينَ } .
[47] { لَا فِيهَا غَوْلٌ } ، قال الشعبي : لا تغتال عقولهم فتذهب بها . قال الكلبي : إثم . وقال قتادة : وجع البطن . وقال الحسن : صداع . وقال أهل المعاني: الغول فساد يلحق في خفاء ، يقال: اغتاله اغتيالا إذا أفسد عليه أمره في خفية ، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد ، منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقيء والبول ، ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة . { وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ } ، قرأ حمزة والكسائي (ينزفون) بكسر الزاي وافقهما عاصم في الواقعة ، وقرأ الآخرون بفتح الزاي فيهما فمن فتح الزاي فمعناه: لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون ، يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا سكر ، ومن كسر الزاي فمعناه: لا ينزف شرابهم ، يقال أنزف الرجل فهو منزوف إذا فنيت خمره .
[48] { وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ } ، حابسات الأعين غاضات الجفون ، قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ، { عِينٌ } ، أي حسان الأعين ، يقال: رجل أعين وامرأة عيناء ونساء عين .

[49] { كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ } ، جمع البيضة ، { مَكْنُونٌ } ، مضمون مستور ، وإنما ذكر المكنون والبيض جمع لأنه رده إلى اللفظ . قال الحسن : شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها ، فلونها أبيض في صفرة . ويقال: هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة (بيضاء) مشربة صفرة ، والعرب تشبهها ببيضة النعامة .
[50] { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ } ، يعني أهل الجنة في الجنة يسأل بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا .
[51] { قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ } ، يعني من أهل الجنة ، { إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ } ، في الدنيا ينكر البعث . قال مجاهد : كان شيطانا . وقال الآخرون: كان من الإنس . وقال مقاتل : كانا أخوين . وقال الباقون: كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا ، وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما في سورة الكهف في قوله تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ } .

[52] { يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ } ، بالبعث .
[53] { أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ } ، مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار .
[54] { قَالَ } ، الله تعالى لأهل الجنة: { هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ } ، إلى النار .
وقيل: يقول المؤمن لإخوانه أهل الجنة: هل أنتم مطلعون إلى النار لننظر كيف

منزلة أخي فيقول أهل الجنة: أنت أعرف به منا .
[55] { فَاطَّلَعَ } ، قال ابن عباس : إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار ، فاطلع هذا المؤمن ، { فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ } ، فرأى قرينه في وسط النار ، وإنما سمي وسط الشيء سواء لاستواءَ الجوانب منه .
[56] { قَالَ } له ، { تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ } والله لقد كدت أن تهلكني ، قال مقاتل : والله لقد كدت أن تغويني ، ومن أغوى إنسانا فقد أهلكه .
[57] { وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي } ، رحمته وإنعامه علي بالإسلام ، { لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ } ، معك في النار . 58 ,

[59] { أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ }{ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى } ، في الدنيا ، { وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } قال بعضهم: يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت: أفما نحن بميتين؟ فتقول لهم الملائكة: لا .
[60] فيقولون: { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } ، وقيل: إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون . وقيل: يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره .
[61] قال الله تعالى: { لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ } ، أي لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: (أولئك لهم رزق معلوم) ، إلى (فليعمل العاملون) .
[62] { أَذَلِكَ } . أي ذلك الذي ذكر لأهل الجنة ، { خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ } ، التي هي نزل أهل النار . والزقوم: شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم ، يكره أهل النار على تناولها ، فهم يتزقمونه على أشد كراهية ، ومنه قولهم: تزقم الطعام إذا تناوله على كره ومشقة .
[63] { إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ } ، للكافرين ، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر ؟ .

[64] فقال الله تعالى: { إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ } ، قعر النار ، وقال الحسن : أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها .
[65] { طَلْعُهَا } ، ثمرها سمي طلعا لطلوعه ، { كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ } ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها ، لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان- وإن كانت الشياطين لا ترى- لأن قبح صورتها متصور في النفس ، وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي ، وقال بعضهم . أراد بالشياطين الحيات ، والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا . وقيل . هي شجرة قبيحة مرة منتنة تكون في البادية تسميها العرب رءوس الشياطين .
[66] { فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ } ، والملء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه .
[67] { ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا } ، خلطا ومزاجا ، { مِنْ حَمِيمٍ } من ماء حار شديد الحرارة ، يقال: إنهم إذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوبا له .

[68] { ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ } ، بعد شرب الحميم ، { لَإِلَى الْجَحِيمِ } ، وذلك أنهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما يورد الإبل الماء ، ثم يردون إلى الجحيم ، دل عليه قوله تعالى: { يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ } ، وقرأ ابن مسعود : (ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم) . 69 ,

[70] { إِنَّهُمْ أَلْفَوْا } وجدوا ، { آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ } . { فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } ، يسرعون ، قال الكلبي : يعملون مثل أعمالهم .
[71] { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } ، من الأمم الخالية . 72 ,
[73] { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ }{ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ } ، الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب .
[74] { إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ } ، الموحدين نجوا من العذاب .
[75] { وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ } ، دعا ربه على قومه فقال: { أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ } { فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ } ، نحن يعني أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه .
[76] { وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } ، الغم العظيم الذي لحق قومه وهو الغرق .

[77] { وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ } ، وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح ، روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم ، قال سعيد بن المسيب : كان ولد نوح ثلاث: سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب وفارس والروم ، وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك .
[78] { وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ } ، أي أبقينا له ثناء حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة .
[79] { سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ } ، أي سلام عليه منا في العالمين . وقيل: أي تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة .
[80] { إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } ، قال مقاتل : جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين . 81 ,
[82] { إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ }{ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ } ، يعني الكفار . 83 ,
[84] قوله تعالى: { وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ } ، أي من أهل دينه وملته وسنته ، { لإبراهيم } . { إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } ، مخلص من الشرك والشك .

[85] { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ } ، استفهام توبيخ .
[86] { أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ } ، يعني أتأفكون إفكا وهو أسوأ الكذب ، وتعبدون آلهة سوى الله .
[87] { فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ، إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم . 88 ,
[89] { فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ }{ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ } ، قال ابن عباس : كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه ، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة ، وكان لهم من الغد عيد ومجمع وكانوا يدخلون على أصنامهم ويفرشون لهم الفراش ، ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم ، زعموا التبرك عليه فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه ، فقالوا لإبراهيم : ألا تخرج غدا معنا إلى عيدنا ، فنظر إلى النجوم فقال: إني سقيم ، قال ابن عباس : مطعون ، وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما . قال الحسن : مريض . وقال مقاتل : وجع . وقال الضحاك : سأسقم .
[90] { فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ } ، إلى عيدهم فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها .

[91] كما قال الله تعالى: { فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ } ، ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه ، { فَقَالَ } استهزاء بها . { أَلَا تَأْكُلُونَ } ، يعني الطعام الذي بين أيديكم . 92 ,
[93] { مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ }{ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ } ، أي كان يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى العمل من الشمال . وقيل: باليمين أي بالقوة . وقيل: أراد به القسم أي بالقسم الذي سبق منه وهو قوله: { وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ } .
[94] { فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ } ، يعني إلى إبراهيم ، { يَزِفُّونَ } ، يسرعون ، وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه ، وقرأ الأعمش وحمزة (يزفون) بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها ، وهما لغتان . وقيل بضم الياء: أي يحملون دوابهم على الجد والإسراع .
[95] { قَالَ } ، لهم إبراهيم على وجه الحجاج ، { أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ } ، يعني ما تنحتون بأيديكم .
[96] { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } ، بأيديكم من الأصنام .

[97] { قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ } ، معظم النار ، قال مقاتل : بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا ، وملئوه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها .
[98] { فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا } ، شرا وهو أن يحرقوه ، { فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ } ، أي المقهورين حيث سلم الله تعالى إبراهيم ورد كيدهم .
[99] { وَقَالَ } يعني إبراهيم ، { إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي } , أي مهاجر إلى ربي ، والمعنى: أهجر دار الكفر وأذهب إلى مرضاة ربي ، قاله بعد الخروج من النار ، كما قال: { إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي } ، { سَيَهْدِينِ } ، إلى حيث أمرني بالمصير إليه وهو الشام . قال مقاتل : فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد .
[100] فقال: { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ } ، يعني هب لي ولدا صالحا من الصالحين .
[101] { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ } ، قيل بغلام في صغره حليم في كبره ، ففيه بشارة أنه نبي وأنه يعيش فينتهي في السن حتى يوصف بالحلم .

[102] { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ } ، قال ابن عباس وقتادة : يعني المشي معه إلى الجبل . وقال مجاهد عن ابن عباس : لما شب حتى بلغ سعيه سعي إبراهيم ، والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله . قال الكلبي : يعني العمل لله تعالى ، وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد ، قالوا: هو العبادة لله تعالى ، واختلفوا في سنه ، قيل: كان ابن ثلاث عشرة سنة . وقيل: كان ابن سبع سنين . قوله تعالى: { قَالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ } ، اختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق ، فقال قوم: هو إسحاق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس . وقال آخرون: هو إسماعيل ، وإليه ذهب عبد الله بن عمر ، وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق احتج من القرآن بقوله: { فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ }{ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ } أمر بذبح من بشر به ، وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق ، كما قال في سورة هود: { فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ } ، ومن ذهب إلى أنه إسماعيل

احتج بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال: { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ } ، دل على أن المذبوح غيره ، { فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى } قرأ حمزة والكسائي (تري) بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير ، وإنما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزيمته على طاعته ، وقرأ العامة بفتح التاء والراء إلا أبا عمرو فإنه يميل الراء ، قال له ابنه: { قَالَ يا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ } ، وقال ابن إسحاق وغيره: فلما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدية ننطلق إلى هذا الشعب نحتطب ، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر ، { قَالَ يا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } .

[103] { فَلَمَّا أَسْلَمَا } ، انقادا وخضعا لأمر الله تعالى ، قال قتادة : أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه ، { وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ } ، أي صرعه على الأرض . قال ابن عباس : أضجعه على الأرض والجبهة بين الجبينين .
[104 , 105] { وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يا إِبْرَاهِيمُ }{ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا } ، تم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال: { إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } ، والمعنى: إنا كما عفونا عن إبراهيم عند ذبح ولده نجزي من أحسن في طاعتنا ، قال مقاتل : جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه .
[106] { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ } ، الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه . وقال مقاتل : البلاء هاهنا النعمة ، وهي أن فدي ابنه بالكبش ، فإن قيل: كيف قال صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح؟ قيل: جعله مصدقا لأنه قد أتى بما أمكنه ، والمطلوب إسلامهما لأمر الله تعالى وقد فعلا .

[107] قوله: { وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ } ، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن ، فقال: هذا فداء لابنك فاذبحه دونه ، فكبر جبريل وكبر الكبش وكبر إبراهيم وكبر ابنه ، فأخذ إبراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه ، قال مجاهد : سماه عظيما لأنه متقبل . وقال الحسين بن الفضل : لأنه كان من عند الله . وقيل: عظيم في الشخص . وقيل: في الثواب .
[108] { وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ } ، أي تركنا له في الآخرين ثناء حسنا .
[109- 112] { سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ }{ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }{ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ }{ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ } ، فمن جعل الذبيح إسماعيل قال: بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبيا جزاء لطاعته ، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بشر إبراهيم بنبوة إسحاق . رواه عكرمة عن ابن عباس . قال: بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ .

[113] { وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ } ، يعني على إبراهيم في أولاده ، { وَعَلَى إِسْحَاقَ } ، يكون أكثر الأنبياء من نسله ، { وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ } ، أي مؤمن ، { وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } ، أي كافر ، { مُبِينٌ } ، أي ظاهر الكفر .
[114] قوله تعالى: { وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ } ، أنعمنا عليهم بالنبوة .
[115] { وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا } ، بنى إسرائيل ، { مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } ، أي الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم . وقيل: من الغرق .
[116] { وَنَصَرْنَاهُمْ } ، يعني موسى وهارون وقومهما ، { فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ } ، على القبط .
[117] { وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ } ، أي المستنير وهو التوراة .
[118- 122] { وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ }{ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ }

{ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ }{ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }{ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } .

[123] قوله تعالى: { وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } ، روي عن عبد الله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس . وفي مصحفه: وإن إدريس لمن المرسلين . وهذا قول عكرمة ، وقال الآخرون: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل . قال ابن عباس : هو ابن عم اليسع . قال محمد بن إسحاق : هو إلياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران .
[124 , 125] { إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ }{ أَتَدْعُونَ } ، أتعبدون ، { بَعْلًا } ، وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه ، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك ، قال مجاهد وعكرمة وقتادة : البعل الرب بلغة أهل اليمن . { وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ } ، فلا تعبدونه .
[126] { اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ } ، قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب (الله ربكم ورب) بنصب الهاء والباءين على البدل ، وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف .

[127] { فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ } ، في النار .
[128] { إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ } ، من قومه فإنهم نجوا من العذاب .
[129 ، 130] { وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ }{ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يا سِينَ } ، قرأ نافع وابن عامر (آل يا سين) بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لأنها في المصحف مفصولة ، وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة ، فمن قرأ (آل يس) مقطوعة قيل: أراد آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا القول بعيد لأنه لم يسبق له ذكر ، وقيل: أراد إلياس ، والقراءة المعروفة بالوصل ، واختلفوا فيه ، فقد قيل: إلياسين لغة في إلياس مثل إسماعيل واسماعين وميكائيل وميكائين ، وقال الفراء : هو جمع أراد إلياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين ، فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف ، وفي حرف عبد الله بن مسعود : سلام على إدراسين يعني إدريس وأتباعه ، لأنه يقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين .

[131- 135] { إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }{ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ } { وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ }{ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ }{ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ } ، أي الباقين في العذاب .
[136] { ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ } ، والتدمير الإهلاك .
[137] { وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ } ، على آثارهم ومنازلهم ، { مُصْبِحِينَ } ، وقت الصباح .
[138] { وَبِاللَّيْلِ } ، يريد تمرون بالنهار وبالليل عليهم إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم ، { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } ، فتعتبرون .
[139] قوله تعالى: { وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } ، أي من جملة رسل الله .
[140] { إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ } ، يعني هرب ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ووهب: كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمستور منهم ، فقصد البحر فركب السفينة ، فاحتبست السفينة فقال الملاحون: هاهنا عبد آبق من سيده ، فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس ، فاقترعوا ثلاثا فوقعت على يونس ، فقال يونس : أنا الآبق ، وزج نفسه في الماء .

[141] فذلك قوله عز وجل: { فَسَاهَمَ } ، فقارع والمساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة ، { فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ } ، أي المقروعين .
[142] { فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ } ، ابتلعه ، { وَهُوَ مُلِيمٌ } ، آت بما يلام عليه .
[143] { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ } ، من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر ، وقال ابن عباس : من المصلين . وقال وهب : من العابدين . وقال الحسن : ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا . وقال الضحاك : شكر الله تعالى له طاعته القديمة . وقيل: { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ } في بطن الحوت. قال سعيد بن جبير : يعني قوله: { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } .
[144] { لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } ، لصار بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة .
[145] { فَنَبَذْنَاهُ } ، طرحناه ، { بِالْعَرَاءِ } ، يعني على وجه الأرض ، قال السدي : بالساحل ، والعراء: الأرض الخالية عن الشجر والنبات . { وَهُوَ سَقِيمٌ } ، عليل كالفرخ الممعط ، وقيل: كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة .

[146] { وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ } ، أي له ، وقيل: عنده ، { شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ } ، يعني القرع على قول جميع المفسرين ، وقال الحسن ومقاتل : كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين ، قال مقاتل بن حيان : فكان يونس يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي ، فإن قيل: قال هاهنا: (فنبذناه بالعراء) ، وقال في موضع آخر: { لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ } ، فهل ما يدل على أنه لم ينبذ ، قيل: لولا هناك يرجع إلى الذم ، معناه: لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ، ولكن تداركه النعمة فنبذ وهو غير مذموم .

[147] { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ } ، قال قتادة : أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه ، وقوله: (وأرسلناه) أي وقد أرسلناه ، وقيل . كان إرساله بعد خروجه من بعد بطن الحوت إليهم ، وقيل: إلى قوم آخرين . { أَوْ يَزِيدُونَ } ، قال مقاتل والكلبي : معناه بل يزيدون . وقال الزجاج : (أو) هاهنا على أصلها ، ومعناه أو يزيدون على تدبركم وظنكم ، كالرجل يرى قوما فيقول هؤلاء ألف أو يزيدون فالشك على تقدير المخلوقين ، والأكثرون على أن معناه ويزيدون ، واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة ، فقال ابن عباس ومقاتل : « كانوا عشرين ألفا » ، ورواه أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) ، وقال الحسن : بضعا وثلاثين ألفا . وقال سعيد بن جبير : سبعين ألفا .
[148] { فَآمَنُوا } ، يعني الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب ، { فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } ، أي حين انقضاء آجالهم . وتقدم قبل ذلك في سورة يونس آية (98) .

_____
(1) أخرجه الترمذي في التفسير 9 / 97 وقال :(حديث غريب) والطبري 23 / 104 .

[149] قوله تعالى: { فَاسْتَفْتِهِمْ } ، فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ ، { أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ } ، وذلك أن جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، يقول: جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين .
[150] { أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا } ، معناه: أخلقنا الملائكة إناثا ، { وَهُمْ شَاهِدُونَ } ، حاضرون خلقنا إياهم ، نظيره قوله: { أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ } .
[151 , 152] { أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ } ، من كذبهم ، { لَيَقُولُونَ }{ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } .
[153] { أَصْطَفَى } ، قرأ أبو جعفر (لكاذبون) ، (اصطفى) موصولا على الخبر عن قول المشركين ، وعند الوقف يبتديان: اصطفى بكسر الألف ، وقراءة العامة بقطع الألف لأنها ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ، فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة ، مثل أستكبرت ونحوها ، { الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ } .

[154] { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } ، لله بالبنات ولكم بالبنين .
[155] { أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } ، أفلا تتعظون .
[156] { أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ } ، برهان بين على أن لله ولدا .
[157] { فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ } ، الذي لكم فيه حجة ، { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } , في قولكم .
[158] { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا } . قال مجاهد وقتادة : وأراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنابهم عن الأبصار . وقال ابن عباس : حي من الملائكة يقال لهم الجن ، ومنهم إبليس ، قالوا: هم بنات الله . وقال الكلبي : قالوا -لعنهم الله-: بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة ، تعالى الله عن ذلك ، وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله ، فقال أبو بكر الصديق : فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات الجن . وقال الحسن : معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين في عبادة الله ، { وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ } ، يعني قائلي هذا القول ، { لَمُحْضَرُونَ } ، في النار ثم نزه نفسه عما قالوا فقال:

[159 , 160] { سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ }{ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ } ، هذا استثناء من المحضرين يعني أنهم لا يحضرون .
[161] قوله عز وجل: { فَإِنَّكُمْ } ، يقول لأهل مكة ، { وَمَا تَعْبُدُونَ } ، من الأصنام .
[162] { مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ } ، على ما تعبدون ، { بِفَاتِنِينَ } ، بمضلين أحدا .
[163] { إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ } ، إلا من قدر الله أنه سيدخل النار أي سبق له في علم الله الشقاوة .
[164] قوله تعالى: { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ } ، أي ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السماوات يعبد الله فيه ، قال ابن عباس : ما في السماوات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح .
[165] { وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ } ، قال قتادة : هم الملائكة صفوا أقدامهم . وقال الكلبي : صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض .

[166] { وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ } ، أي المصلون المنزهون الله عن السوء ، يخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يعبدون الله بالصلاة

والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين ، كما زعمت الكفار ، ثم أعاد الكلام إلى الأخبار عن المشركين فقال:
[167] { وَإِنْ كَانُوا } ، أي وقد كانوا يعنى أهل مكة ، { لَيَقُولُونَ } ، لام التأكيد .
[168] { لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ } ، أي كتابا مثل كتاب الأولين .
[169 , 170] { لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ }{ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } ، أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به ، { فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } ، هذا تهديد لهم .
[171] { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ } ، وهي قوله: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي } .
[172 , 173] { إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ }{ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } ، أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة .

[174] { فَتَوَلَّ } ، أعرض ، { عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ } ، قال ابن عباس : يعني الموت . وقال مجاهد : يوم بدر . وقال السدي : حتى يأمرك بالقتال . وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله . قال مقاتل بن حيان : نسختها آية القتال .
[175] { وَأَبْصِرْهُمْ } ، إذا نزل بهم العذاب ، { فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ } ، ذلك . فقالوا متى هذا العذاب؟
[176 , 177] فقال الله عز وجل: { أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ }{ فَإِذَا نَزَلَ } ، يعني العذاب ، { بِسَاحَتِهِمْ } ، قال مقاتل : بحضرتهم . وقيل: بفنائهم . قال الفراء : العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ، { فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ } ، فبئس صباح الكافرين الذين أنذروا بالعذاب ، ثم كرر ما ذكرنا تأكيدا لوعيد العذاب فقال:
[178 , 179] { وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ }{ وَأَبْصِرْ } ، العذاب إذا نزل بهم ، { فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ } ، ثم نزه نفسه:
[180] فقال: { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ } ، الغلبة والقوة ، { عَمَّا يَصِفُونَ } ، من اتخاذ الصاحبة والأولاد .
[181] { وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ } ، الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع .

[182] { وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام .

(38) سورة ص
[1] { ص } ، قيل: هو قسم ، وقيل: هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور ، وقال محمد بن كعب القرظي : ص مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد . وقال الضحاك : معناه صدق الله . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدق محمد صلى الله عليه وسلم ، { وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ } ، أي ذي البيان ، وقال الضحاك : ذي الشرف ، دليله قوله تعالى: { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ } ، وهو قسم ، واختلفوا في جواب القسم ، قيل جوابه قد تقدم ، وهو قوله { ص } أقسم الله بالقرآن أن محمدا قد صدق . وقال الفراء : ص معناه وجب وحق فهي جواب قوله: { وَالْقُرْآنِ } ، كما تقول: نزل والله ، وقيل . جواب القسم محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار ، ودل على هذا المحذوف .

[2] قوله تعالى: { بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، قال قتادة : موضع القسم قوله: { بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، كما قال { وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ }{ بَلْ عَجِبُوا } . وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: بل الذين كفروا { فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ } والقرآن ذي الذكر، وقال الأخفش : جوابه قوله تعالى:{ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ } ، كقوله: { تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا } وقوله: { وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ } - { إِنْ كُلُّ نَفْسٍ } ، وقيل: جوابه قوله: { إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا } ، وقال الكسائي : قوله: { إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ } ، وهذا ضعيف لأنه تخلل بين هذا القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة ، وقال القتيبي : (بل) لتدارك كلام ونفي آخر ، ومجاز الآية: إن الله أقسم ب ص والقرآن ذي الذكر أن الذين كفروا من أهل مكة في عزة حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق خلاف وعداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال مجاهد : { فِي عِزَّةٍ } : معازّين (1) .

_____

(1) في نسخة أخرى: (متعازّين) .

[3] { كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ } ، يعني من الأمم الخالية ، { فَنَادَوْا } ، استغاثوا عند نزول العذاب وهول النقمة ، { وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ } ، أي ليس حين نزول العذاب بهم حين فرار ، والمناص مصدر ناص ينوص ، هو الفرار والتأخر ، يقال: ناص ينوص إذا تأخر وباص يبوص إذا تقدم ، ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن ، وقال النحويون: هي لا ، زيدت فيها التاء ، كقولهم: رب وربت وثم وثمت ، وأصلها هاء وصلت بلا ، فقالوا: لاه ، كما قالوا ثمة فجعلوها في الوصل تاء والوقف عليه بالتاء عند الزجاج ، وعند الكسائي بالهاء لاه ، وذهب إلى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا ، ثم يبتدئ: تحين ، وهو اختيار أبي عبيد ، وقال: كذلك وجدت في مصحف عثمان .
[4] { وَعَجِبُوا } ، يعني الكفار الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله . { بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، { أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ } ، يعني رسولا من أنفسهم ينذرهم ، { وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ } .

[5] { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا } كيف يسع الخلق كلهم إله واحد ، { إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } ، أي عجيب ، والعجب والعجاب واحد ، كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض . [6] { وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ } ، أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه ويقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على آلهتكم أي اثبتوا على عبادة آلهتكم ، { إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ } ، أي الأمر يراد بنا , وذلك أن عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يراد بنا ، وقيل: يراد بأهل الأرض ، وقيل: يراد بمحمد أن يملك علينا.
[7] { مَا سَمِعْنَا بِهَذَا } ، أي بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد ، { فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ } ، قال ابن عباس والكلبي ومقاتل : يعنون في النصرانية لأنها آخر الملل وهم لا يوحدون ، بل يقولون ثالث ثلاثة ، وقال مجاهد وقتادة : يعنون ملة قريش ودينهما الذي هم عليه ، { إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ } ، كذب وافتعال .

[8] { أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ } ، القرآن ، { مِنْ بَيْنِنَا } ، وليس بأكبرنا ولا أشرفنا ، يقوله أهل مكة ، قال الله عز وجل: { بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي } ، أي وحيي وما أنزلت ، { بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ } ، أي لم يذوقوا عذابي ، ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول .

[9] { أَمْ عِنْدَهُمْ } ، أعندهم ، { خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ } ، يعني نعمة ربك مفاتيح النبوة يعطونها من شاءوا ، ونظيره { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ } أي نبوة ربك ، { الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ } ، العزيز في ملكه الوهاب وهب النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم .
[10] { أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } ، أي ليس لهم ذلك ، { فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ } ، أي إن ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون قال مجاهد وقتادة : أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء ، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه ، وهذا أمر توبيخ وتعجيز .

[11] { جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ } ، أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند ما هنالك ، و (ما) صلة ، { مَهْزُومٌ } ، مغلوب ، { مِنَ الْأَحْزَابِ } ، أي من جملة الأجناد يعني قريشا ، قال قتادة : أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين ، وقال سيهزم الجمع ويولون الدبر ، فجاء تأويلها يوم بدر ، وهنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم ، { مِنَ الْأَحْزَابِ } ، أي: من جملة الأحزاب ، أي: هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب ، فقهروا وأهلكوا .

[12] ثم قال معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ } ، قال ابن عباس ومحمد بن كعب : ذو البناء المحكم ، وقيل: أراد ذو الملك الشديد الثابت ، وقال القتيبي : تقول العرب هم في عز ثابت الأوتاد ، يريدون أنه دائم شديد ، وأصل هذا أن بيوتهم كانت تثبت بالأوتاد ، وقال الضحاك : ذو القوة والبطش . وقال عطية : ذو الجنود والجموع الكثيرة ، يعني أنهم كانوا يقوون أمره ، ويشدون ملكه ، كما يقوي الوتد الشيء ، وسميت الأجناد أوتادا لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم ، وهو رواية عطية عن ابن عباس ، وقال الكلبي ومقاتل : (الأوتاد) جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها ، وكان إذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل يد ورجل منه إلى سارية ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت . وقال مجاهد ومقاتل بن حيان : كان يمد الرجل مستلقيا على الأرض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد . وقال السدي : كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات (1) . وقال قتادة وعطاء : كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب

_____
(1) سيأتي الكلام على ذلك في سورة الفجر آية (10) .

عليها بين يديه .
[13] { وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ } , الذي تحزبوا على الأنبياء ، فاعلم أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب .
[14] { إِنْ كُلٌّ } ، ما كل ، { إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ } ، وجب عليهم ونزل بهم عذابي .

[15] { وَمَا يَنْظُرُ } ، ينتظر ، { هَؤُلَاءِ } ، يعني: كفار مكة ، { إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً } ، وهي نفخة الصور ، { مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ } ، قرأ حمزة والكسائي (فواق) بضم الفاء ، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان ، فالفتح لغة قريش والضم لغة

تميم ، قال ابن عباس وقتادة : من رجوع ، أي: ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع . وقال مجاهد : نظرة . وقال الضحاك : مثنوية ، أي صرف ورد ، والمعنى أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف ، وفرق بعضهم بين الفتح والضم ، فقال الفراء وأبو عبيدة : الفتح بمعنى الراحة والإفاقة ، كالجواب من الإجابة ، وذهبا بها إلى إفاقة المريض من علته ، والفواق بالضم ما بين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق ، أي أن العذاب لا يمهلهم بذلك القدر ، وقيل: هما أيضا مستعارتان من الرجوع ، لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين ، وإفاقة المريض رجوعه إلى الصحة .

[16] { وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ } ، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : يعني كتابنا ، والقط الصحيفة التي أحصت كل شيء ، قال الكلبي : لما نزلت في الحاقة: { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ } ، { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ } ، قالوا استهزاء: عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب . وقال سعيد بن جبير : يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول . وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي : يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب . وقال عطاء : قال النضر بن الحارث ، هو قولهم: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء . وعن مجاهد قال: قطنا حسابنا ، ويقال لكتاب الحساب قط . وقال أبو عبيدة والكسائي : القط الكتاب بالجوائز .

[17] قال الله تعالى: { اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ } ، أي على ما يقوله الكفار من تكذيبك ، { وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ } ، قال ابن عباس : أي القوة في العبادة ، وقيل: ذو القوة في الملك . { إِنَّهُ أَوَّابٌ } ، رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره ، قال ابن عباس : مطيع . قال سعيد بن جبير : مسبح بلغة الحبش .
[18] { إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ } ، كما قال: { وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ } ، { يُسَبِّحْنَ } بتسبيحه ، { بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ } ، قال الكلبي : غدوة وعشية والإشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها . وفسره ابن عباس : بصلاة الضحي .
[19] قوله عز وجل: { وَالطَّيْرَ } ، أي وسخرنا له الطير ، { مَحْشُورَةً } ، مجموعة إليه تسبح معه ، { كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ } ، مطيع رجاع إلى طاعته بالتسبيح ، وقيل: أواب معه أي مسبح .

[20] { وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ } ، أي قويناه بالحرس والجنود ، قال ابن عباس : كان أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل { وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ } ، يعني النبوة والإصابة في الأمور ، { وَفَصْلَ الْخِطَابِ } ، قال ابن عباس : بيان الكلام ، وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل : علم الحكم والتبصر في القضاء . وقال علي بن أبي طالب : هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر ، لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به . ويروى ذلك عن أبي بن كعب قال: فصل الخطاب الشهود والأيمان . وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح . وروي عن الشعبي : أن فصل الخطاب هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد ، إذا أراد الشروع في كلام آخر ، وأول من قاله داود عليه السلام .

[21] قوله عز وجل: { وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ } فما شعر وهو يصلي إلا وهما بين يديه جالسين ، يقال: كانا جبريل وميكائيل ، فذلك قوله عز وحل: { وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ } ، خبر الخصم ، { إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ } ، صعدوا وعلوا ، يقال: تسورت الحائط والسور إذا علوته ، وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمؤنث ، ومعنى الجمع في الاثنين موجود ، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء هذا كما قال الله تعالى: { فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } .

[22] { إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ } ، خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه ، فقال: ما أدخلكما علي ، { قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ } ، أي نحن خصمان { بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ } ، جئناك لتقضي بيننا ، فإن قيل: كيف قال: { بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ } وهما ملكان لا يبغيان؟ قيل: معناه رأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر ، وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما . { فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ } ، أي لا تجر ، يقال: شط الرجل شططا وأشط إشطاطا إذا جار في حكمه ، ومعناه مجاوزة الحد ، وأصل الكلمة من شطت الدار وأشطت إذا بعدت . { وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ } ، أرشدنا إلى طريق الصواب والعدل ، فقال داود لهما: تكلما .

[23] فقال أحدهما: { إِنَّ هَذَا أَخِي } ، أي على ديني وطريقتي ، { لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً } ، يعني امرأة ، { وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ } ، أي امرأة واحدة ، والعرب تكني بالنعجة من المرأة ، قال الحسين بن الفضل : هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغي فهو كقولهم: ضرب زيد عمرا أو اشترى بكر دارا ، ولا ضرب هنالك ولا شراء { فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا } ، قال ابن عباس : أعطنيها . قال مجاهد : انزل لي عنها . وحقيقته ضمها إلي فاجعلني كافلها ، وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى: طلقها لأتزوجها ، { وَعَزَّنِي } ، وغلبني ، { فِي الْخِطَابِ } ، أي في القول . وقيل: قهرني لقوة ملكه . وقال الضحاك : يقول إن تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني ، وحقيقة المعني: أن الغلبة كانت له لضعفي في يده ، وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها إلى نسائه .

[24] { قَالَ } ، أي قال داود ، { لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ } أي بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه ، فإن قيل: كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟ قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك ، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول . { وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ } ، الشركاء { لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ } ، يظلم بعضهم بعضا ، { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، فإنهم لا يظلمون أحدا . { وَقَلِيلٌ مَا هُمْ } ، أي قليل هم ، و (ما) صلة ، يعني: الصالحين الذين لا يظلمون قليل ، قالوا: فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء ، فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه ، وذلك قوله: { وَظَنَّ دَاوُدُ } ، أيقن وعلم ، { أَنَّمَا فَتَنَّاهُ } ، إنما ابتليناه ، وقال القائلون بتنزيه الأنبياء في هذه القصة: إن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالا له ، فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه ، فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده إذا هلك ، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن

صغرت فهي عظيمة عند الله { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا } ، أي ساجدا ، عبر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء ، قال الحسين بن الفضل : سألني عبد الله بن طاهر عن قوله: { وَخَرَّ رَاكِعًا } هل يقال للراكع خر؟ قلت: لا ، ومعناه فخر بعدما كان راكعا أي [سجد] . { وَأَنَابَ } ، أي رجع وتاب .
[25] { فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ } ، يعني ذلك الذنب ، { وَإِنَّ لَهُ } ، بعد المغفرة ، { عِنْدَنَا } ، يوم القيامة ، { لَزُلْفَى } لقربة ومكانة ، { وَحُسْنَ مَآبٍ } ، أي حسن مرجع ومنقلب .
[26] قوله عز وجل: { يا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ } تدبر أمور العباد بأمرنا ، { فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ } ، بالعدل ، { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } ، أي بأن تركوا الإيمان بيوم الحساب . وقال الزجاج : بتركهم العمل لذلك اليوم . وقال عكرمة والسدي : في الآية تقديم وتأخير ، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا ، أي تركوا القضاء بالعدل .

[27] { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا } ، قال ابن عباس : لا لثواب ولا لعقاب . { ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، يعني أهل مكة هم الذين ظنوا أنهم خلقوا لغير شيء ، وأنه لا بعث ولا حساب . { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } .
[28] { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ } ، قال مقاتل : قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة من الخير ما يعطون ، فنزلت هذه الآية: { أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } ، أي المؤمنين كالكفار . وقيل: أراد بالمتقين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أي لا نجعل ذلك .
[29] { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ } ، أي هذا الكتاب أنزلناه إليك ، { مُبَارَكٌ } ، كثير خيره ونفعه ، { لِيَدَّبَّرُوا } أي ليتدبروا ، { آيَاتِهِ } ، وليتفكروا فيها ، وقرأ أبو جعفر (ليتدبروا) بتاء واحدة وتخفيف الدال ، قال الحسن : تدبر آياته اتباعه ، { وَلِيَتَذَكَّرَ } ، ليتعظ ، { أُولُو الْأَلْبَابِ } . 30 ,

[31] قوله عز وجل: { وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }{ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ } ، والصافنات هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يد أو رجل ، يقال: صفن الفرس يصفن صفونا إذا قام على ثلاثة قوائم ، وقلب أحد حوافره . وقيل: الصافن في اللغة القائم . والجياد الخيار السراع ، وأحدها جواد . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد الخيل السوابق .
[32] { فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ } ، أي آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل ، والعرب تعاقب بين الراء واللام ، فتقول: ختلت الرجل وخترته ، أي خدعته ، وسميت الخيل خيرا لأنه معقود بنواصيها الخير ، الأجر والمغنم ، قال مقاتل : يعني المال فهي الخيل التي عرضت عليه . { عَنْ ذِكْرِ رَبِّي } ، يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر . { حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ } ، أي توارت الشمس بالحجاب أي استترت بما يحجبها عن الأبصار .

[33] { رُدُّوهَا عَلَيَّ } ، أي ردوا الخيل علي فردوها ، { فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ } ، قال أبو عبيدة : طفق يفعل مثل: ما زال يفعل ، والمراد بالمسح القطع ، فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف ، هذا قول ابن عباس والحسن

وقتادة ومقاتل وأكثر المفسرين ، وكان ذلك مباحا له لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرم ، ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر . وقال محمد بن إسحاق : لم يعنفه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل . وقال بعضهم: إنه ذبحها ذبحا وتصدق بلحومها ، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحا في شريعته . وقال قوم: معناه أنه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة . وقال الزهري وابن كيسان : إنه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبا لها وشفقة عليها ، وهذا قول ضعيف ، والمشهور هو الأول .
[34] قوله عز وجل: { وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ } ، اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه ، { وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ } ، أي رجع إلى ملكه بعد أربعين يوما فلما رجع .

[35] { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي } ، قال مقاتل وابن كيسان : لا يكون لأحد من بعدي ، قال عطاء بن أبي رباح : يريد هب لي ملكا لا تسلبنيه في آخر عمري ، وتعطيه غيري كما استلبته فيما مضى من عمري . { إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } ، قيل: سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ، ومعجزة ، وقيل: سأل ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد إليه ملكه ، وزاده فيه . وقال مقاتل بن حيان : كان لسليمان ملكا ولكنه أراد بقول: { لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي } تسخير الرياح والطير والشياطين ، بدليل ما بعده .
[36] قوله عز وجل: { فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً } ، لينة ليست بعاصفة ، { حَيْثُ أَصَابَ } ، حيث أراد ، تقول العرب: أصاب الصواب فأخطأ الجواب تريد أراد الصواب .
[37] { وَالشَّيَاطِينَ } ، أي سخرنا له الشياطين ، { كُلَّ بَنَّاءٍ } ، يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، { وَغَوَّاصٍ } ، يستخرجون له اللآلئ من البحر ، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر .

[38] { وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ } ، مشدودين في القيود ، أي وسخرنا له آخرين يعني مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد .
[39] { هَذَا عَطَاؤُنَا } ، أي قلنا له هذا عطاؤنا ، { فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ } ، المن هو الإحسان إلى من تشاؤه ومن لا تشاؤه ، معناه: أعط من شئت وأمسك عمن شئت ، { بِغَيْرِ حِسَابٍ } ، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت . قال الحسن : ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة ، إلا سليمان فإن أعطى أجر ، وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة . وقال مقاتل : هذا في أمر الشياطين ، يعني: خل من شئت منهم وأمسك من شئت في وثاقك لا تبعة عليك فيما تتعاطاه .
[40] { وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ } .

[41] قوله عز وجل: { وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ } ، بمشقة وضر ، قرأ أبو جعفر (بنُصُب) بضم النون والصاد ، وقرأ يعقوب بفتحهما ، وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد ، ومعنى الكل واحد . قال قتادة ومقاتل : بنصب في الجسد ، { وَعَذَابٍ } ، في المال وقد ذكرنا قصة أيوب في سورة الأنبياء عليهم السلام [آية 83] .
[42] فلما انقضت مدة بلائه قيل له: { ارْكُضْ بِرِجْلِكَ } ، اضرب برجلك

الأرض ففعل فنبعت عين ماء ، { هَذَا مُغْتَسَلٌ } ، فأمره الله يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ، ثم مشى أربعين خطوة فركض الأرض برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد ، فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه ، فقوله: { هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ } ، يعني الذي اغتسل منه بارد ، { وَشَرَابٌ } ، أراد الذي شرب منه .

[43 , 44] { وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ } { وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا } ، وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش ، { فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ } ، في يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فأمره الله أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار ويضربها ضربة واحدة ، { إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ } .
[45] { وَاذْكُرْ عِبَادَنَا } ، قرأ ابن كثير (عبدنا) على التوحيد ، وقرأ الآخرون (عبادنا) بالجمع ، { إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي } ، قال ابن عباس : أولي القوة في طاعة الله ، { وَالْأَبْصَارِ } ، في المعرفة بالله أي البصائر في الدين ، قال قتادة ومجاهد : أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين .

[46] { إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ } ، اصطفيناهم ، { بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ } ، قرأ أهل المدينة (بخالصة) مضافا وقرأ الآخرون بالتنوين ، فمن أضاف فمعناه: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة وأن يعملوا لها ، والذكرى بمعنى الذكر ، قال مالك بن دينار : نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها ، وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها . وقال قتادة : كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عز وجل . وقال السدي : أخلصوا بخوف الآخرة . وقيل: معناه أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة . قال ابن زيد : ومن قرأ بالتنوين: فمعناه بخلة خالصة ، وهي ذكرى الدار ، فيكون ذكرى الدار بدلا عن الخالصة . وقيل: أخلصناهم: جعلناهم مخلصين ، بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة .
[47- 49] { وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ } { وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ } { هَذَا ذِكْرٌ } ، أي هذا الذي يتلى عليكم ذكر ، وقيل ذكر أي شرف وذكر جميل يتذكرون به { وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ } .
[50] { جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ } ، أي أبوابها مفتحة لهم . 51 ,

[52] { مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ } { وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ } ، مستويات الأسنان ، بنات ثلاث وثلاثين سنة ، واحدها ترب . وعن مجاهد قال: متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن .
[53] { هَذَا مَا تُوعَدُونَ } ، قرأ ابن كثير (يوعدون) بالياء هاهنا وفي (ق) أي ما يوعد المتقون ، وافق أبو عمرو هاهنا وقرأ الباقون بالتاء فيهما ، أي قل للمؤمنين: هذا ما توعدون ، { لِيَوْمِ الْحِسَابِ } ، أي في يوم الحساب .
[54] { إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ } ، فناء وانقطاع .
[55] { هَذَا } ، أي الأمر هذا { وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ } ، للكافرين ، { لَشَرَّ مَآبٍ } ، مرجع .
[56] { جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا } ، يدخلونها { فَبِئْسَ الْمِهَادُ } .

[57] { هَذَا } أي هذا العذاب ، { فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ } ، قال الفراء : أي هذا حميم وغساق فليذوقوه ، والحميم الماء الحار الذي انتهى حره وغساق ، قرأ حمزة والكسائي وحفص (وغساق) حيث كان بالتشديد ، وخففها الآخرون

، فمن شدد جعله اسما على فعال نحو الخباز والطباخ ، ومن خفف جعله اسما على فعال نحو العذاب ، واختلفوا في معنى الغساق ، قال ابن عباس : هو الزمهرير يحرقهم ببرده ، كما تحرقهم النار بحرها . قال مقاتل ومجاهد : هو الذي انتهى برده . وقيل: هو المنتن بلغة الترك . وقال قتادة : هو ما يغسق أي ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة ، من قولهم غسقت عينه إذا انصبت ، والغسقان الانصباب .
[58] { وَآخَرُ } ، قرأ أهل البصرة (وآخر) بضم الألف على جمع أخرى ، مثل الكبرى والكبر ، واختاره أبو عبيدة لأنه نعته بالجمع ، فقال: أزواج ، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد ، { مِنْ شَكْلِهِ } ، مثله أي مثل الحميم والغساق { أَزْوَاجٌ } ، أي أصناف أخر من العذاب .

[59] { هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ } ، قال ابن عباس : هذا هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للكفار: هذا يعني الأتباع فوج: جماعة مقتحم معكم النار ، أي داخلوها كما أنتم دخلتموها ، والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج ، والاقتحام الدخول في الشيء رميا بنفسه فيه ، قال الكلبي : إنهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم في النار خوفا من تلك المقامع ، فقالت القادة: { لَا مَرْحَبًا بِهِمْ } ، يعني بالأتباع ، { إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ } ، أي داخلوها كما صلينا .
[60] { قَالُوا } ، فقال الأتباع للقادة ، { بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ } ، والمرحب والرحب: السعة ، تقول العرب: مرحبا وأهلا وسهلا أي أتيت رحبا وسعة ، وتقول: لا مرحبا بك أي لا رحبت عليك الأرض . { أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا } ، يقول الأتباع للقادة: أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم وسننتموه لنا وقيل: أنتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم إيانا إلى الكفر ، { فَبِئْسَ الْقَرَارُ } ، أي فبئس دار القرار جهنم .

[61] { قَالُوا } ، يعني الأتباع ، { رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا } ، أي شرعه وسنه لنا ، { فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ } ، أي ضعف عليه العذاب في النار . قال ابن مسعود : يعني حيات وأفاعي .

[62] { وَقَالُوا } ، يعني صناديد قريش وهم في النار ، { مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ } ، في الدنيا ، { مِنَ الْأَشْرَارِ } ، يعنون فقراء المؤمنين: عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان رضى الله عنهم ، ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء ، فقالوا:

[63] { أَأَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا } ، قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي : (من الأشرار اتخذناهم) وصلَ ، ويكسرون الألف عند الابتداء ، وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام ، قال أهل المعاني: القراءة الأولى أولى لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سخريا فلا يستقيم الاستفهام ، وتكون أم على هذه القراءة بمعنى بل، ومن فتح الألف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل (أم) في قوله: { أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ } ، قال الفراء : هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب ، { أم زاغَت } أي مالت { عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ } ، ومجاز الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار؟ أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا؟ وقيل: أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا؟ فقال ابن كيسان : يعني أم كانوا خيرا منا ولكن

نحن لا نعلم ، وكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا .
[64] { إِنَّ ذَلِكَ } ، الذي ذكرت ، { لَحَقٌّ } ثم بين فقال ، { تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ } ، أي تخاصم أهل النار في النار لحق .

[65] { قُلْ } ، يا محمد لمشركي مكة ، { إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ } ، مخوف ، { وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } .
[66] { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ } .
[67] قوله: { قُلْ } ، يا محمد ، { هُوَ } ، يعني القرآن ، { نَبَأٌ عَظِيمٌ } ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وقيل: هو يعني القيامة لقوله: { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ }{ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ } .
[68] { أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ }{ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى } ، يعني الملائكة ، { إِذْ يَخْتَصِمُونَ } ، يعني في شأن آدم عليه السلام ، حين قال الله تعالى: { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا } .
[70] { إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ } ، قال الفراء . إن شئت جعلت { أَنَّمَا } في موضع رفع أي ما يوحي إلي إلا الإنذار ، وإن شئت جعلت المعنى: ما يوحى إلي إلا أني نذير مبين . وقرأ أبو جعفر : (إنما) بكسر الألف ، لأن الوحي قول .

[71] قوله عز وجل: { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ } ، يعني آدم عليه السلام .
[72- 75] { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ } ، أتممت خلقه ، { وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ }{ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ }{ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }{ قَالَ يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَأَسْتَكْبَرْتَ } ، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ، { أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ } ، المتكبرين ، استفهام توبيخ وإنكار ، يقول: أستكبرت بنفسك حتى أبيت السجود؟ أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم؟ . 76 ,
[77] { قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ }{ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا } ، أي من الجنة ، وقيل: من السماوات . وقال الحسن وأبو العالية : أي من الخلقة التي أنت فيها . قال الحسن بن الفضل : هذا تأويل صحيح لأن إبليس تجبر وافتخر بالخلقة ، فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ، { فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } ، مطرود .

[78- 81] { وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ }{ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }{ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ }{ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ } ، وهو النفخة الأولى .

[82 , 84] { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ }{ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ }{ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ } ، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب : (فالحق) برفع القاف على الابتداء وخبره محذوف تقديره: الحق مني ، ونصب الثانية أي: وأنا أقول الحق ، قاله مجاهد ، وقرأ الآخرون بنصبهما ، واختلفوا في وجههما ، قيل: نصب الأول على الإغراء كأنه قال: الزم الحق ، والثاني بإيقاع القول عليه أي أقول الحق . وقيل: الأول قسم أي فبالحق وهو الله عز وجل فانتصب بنزع الخافض ، وهو حرف الصفة ، وانتصاب الثاني بإيقاع القول عليه . وقيل: الثاني تكرار القسم ، أقسم الله بنفسه . 85 ,

[86] { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ }{ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ } ، على تبليغ الرسالة ، { مِنْ أَجْرٍ } ، جعل , { وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } ، المتقولين القرآن من تلقاء نفسي ، وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلفه .
[87] قوله: { إِنْ هُوَ } ، ما هو يعني القرآن ، { إِلَّا ذِكْرٌ } ، موعظة ، { لِلْعَالَمِينَ } ، للخلق أجمعين .

[88] { وَلَتَعْلَمُنَّ } ، أنتم يا كفار مكة ، { نَبَأَهُ } ، خبر صدقه ، { بَعْدَ حِينٍ } ، قال ابن عباس وقتادة : بعد الموت . وقال عكرمة : يعني يوم القيامة . وقال الكلبي : من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ، ومن مات علمه بعد موته . قال الحسن : ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين .

(39) سورة الزمر
[1] { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ } ، أي هذا تنزيل الكتاب . وقيل: تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره ، { مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } ، أي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره .
[2] { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ } ، قال مقاتل : لم ينزله باطلا لغير شيء ، { فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } ، الطاعة .

[3] { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } ، قال قتادة : شهادة أن لا إله إلا الله . وقيل: لا يستحق الدين الخالص إلا الله . وقيل: الدين الخالص من الشرك هو لله .
{ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ } ، أي من دون الله ، { أَوْلِيَاءَ } ، يعني الأصنام ، { مَا نَعْبُدُهُمْ } ، أي قالوا ما نعبدهم ، { إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } ، وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس ، قال قتادة : وذلك أنهم كانوا إذا قيل لهم: من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله ، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأوثان؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى أي قربى ، وهو اسم أقيم في مقام المصدر ، كأنه قال: إلا ليقربونا إلى الله تقريبا ويشفعوا لنا عند الله ، { إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ } ، يوم القيامة ، { فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } ، من أمر الدين ، { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } ، لا يرشد لدينه من كذب فقال: إن الآلهة لتشفع . وكفى باتخاذ الآلهة دونه كذبا وكفرا .

[4] { لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى } ، لاختار ، { مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ } ، يعني الملائكة ، كما قالوا: لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ، ثم نزه نفسه فقال: { سُبْحَانَهُ } ، تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته ، { هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } .
[5] { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ } ، قال قتادة : يغشى هذا هذا ، كما قال: { يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ } ، وقيل: يدخل أحدهما على الآخر كما قال: { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ } ، وقال الحسن والكلبي : ينقص من الليل فيزيد في النهار ، وينقص من النهار فيزيد في الليل ، فما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل ، ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة ، وأصل التكوير اللف والجمع ، ومنه: كور العمامة . { وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ } .

[6] { خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ } ، يعني آدم ، { ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا } ، يعني حواء ، { وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ } ، معنى الإنزال ههنا: الإحداث والإنشاء ، كقوله تعالى: { أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي } ، وقيل: إنه أنزل الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون منه اللباس ، وسبب النبات الذي تبقى به الأنعام . وقيل: { وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ } جعلها لكم نزلا ورزقا ، { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } ، أصناف ، مر تفسيرها في سورة الأنعام آية (143) . { يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ } ، نطفة ثم علقة ثم مضغة ، كما قال الله تعالى: { وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا } ، { فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ } ، قال ابن عباس : ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ، { ذَلِكُمُ اللَّهُ } ، أي الذي خلق هذه الأشياء ، { رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } ، عن طريق الحق بعد هذا البيان .

[7] { إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ } ، قال ابن عباس والسدي : لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر ، وهم الذين قال الله تعالى: { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } ، فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى ، كقوله تعالى: { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ } ، يريد بعض العباد ، وأجراه قوم على العموم ، وقالوا: لا يرضى لأحد من عباده الكفر ، ومعنى الآية: لا يرضى لعباده الكفر أن يكفروا به ، ويروى ذلك عن قتادة ، وهو قول السلف ، قالوا: كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل ، وإن كان بإرادته ، { وَإِنْ تَشْكُرُوا } ، تؤمنوا بربكم وتطيعوه ، { يَرْضَهُ لَكُمْ } ، فيثيبكم عليه ، قرأ أبو عمرو (يرضه لكم) ساكنة الهاء ، ويختلسها أهل المدينة وعاصم وحمزة ، والباقون بالإشباع ، { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } .

[8] { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ } ، راجعا إليه مستغيثا به ، { ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ } ، أعطاه نعمة منه ، { نَسِيَ } ، ترك ، { مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ } ، أي نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه ، { وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا } ، يعني الأوثان ، { لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ } ، ليزل عن دين الله ، { قُلْ } ، لهذا الكافر ، { تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا } ، في الدنيا إلى أجلك ، { إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } ، قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة . وقال مقاتل : نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي . وقيل: عام في كل كافر .

[9] { أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ } ، قرأ ابن كثير ونافع وحمزة (أمن) بتخفيف الميم ، وقرأ الآخرون بتشديدها ، فمن شدد فله وجهان ، أحدهما: أن تكون الميم في (أم) صلة ، فيكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوفا ، مجازه: أمن هو قانت كمن هو غير قانت؟ كقوله: { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } ، يعني كمن لم يشرح صدره . والوجه الآخر: أنه عطف على الاستفهام ، مجازه: الذي جعل لله أندادا خير أمن هو قانت؟ ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على معناه: أهذا كالذي جعل لله أندادا؟ وقيل: الألف في (أمن) بمعنى حرف النداء ، تقديره: يا من هو قانت ، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء ، فتقول: أبني فلان ويا بني فلان ، فيكون معنى الآية . قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ، ويا من هو قانت { آنَاءَ اللَّيْلِ } ، إنك من أهل الجنة ، قاله ابن عباس ، وفي رواية عطاء : نزلت في أبي بكر الصديق . وقال الضحاك : نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان

، وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان ، والقانت: المقيم على الطاعة . قال ابن عمر : القنوت قراءة القرآن وطول

القيام ، وآناء الليل: ساعاته ، { سَاجِدًا وَقَائِمًا } ، يعني في الصلاة ، { يَحْذَرُ الْآخِرَةَ } ، يخاف الآخرة ، { وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ } ، يعني كمن لا يفعل شيئا من ذلك ، { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } ، قيل: الذين يعلمون عمار ، والذين لا يعلمون: أبو حذيفة المخزومي ، { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } .

[10] { قُلْ يا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ } ، بطاعته واجتناب معاصيه ، { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ } ، أي آمنوا وأحسنوا العمل ، حسنة يعني الجنة ، قاله مقاتل . وقال السدي : في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة والعافية ، { وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ } ، قال ابن عباس : يعني ارتحلوا من مكة . وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي . وقيل: نزلت في مهاجري الحبشة . وقال سعيد بن جبير : من أمر بالمعاصي ببلد فليهرب منها إلى غيرها . { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } ، الذي صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى . وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء , وصبروا وهاجروا قال علي رضي الله عنه: كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا الصابرين ، فإنه يحثى لهم حثيا ، قال الله تعالى: { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } , حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل .

[11] { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } , مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا .
[12] { وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ } , من هذه الأمة .
[13] { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي } , وعبدت غيره , { عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } , وهذا حين دعي إلى دين آبائه . 14 ,
[15] { قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}{ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ } , أمر توبيخ وتهديده , { قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ } . أزواجهم وخدمهم ، { يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ } ، قال ابن عباس : وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلا في الجنة وأهلا ، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له ، ومن عمل بمعصية الله دخل النار ، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله . وقيل: خسران النفس بدخول النار ، وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله ، وذلك هو الخسران المبين .

[16] { لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ } ، أطباق سرادقات من النار ودخانها ، { وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ } ، فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهي إلى القعر ، سمي الأسفل ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله عز وجل: { لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ } . { ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يا عِبَادِ فَاتَّقُونِ } . 17 ,

[18] { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ } ، الأوثان ، { أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ } ، رجعوا إلى عبادة الله ، { لَهُمُ الْبُشْرَى } ، في الدنيا بالجنة وفي العقبى بالمغفرة ، { فَبَشِّرْ عِبَادِي }{ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ } ، القرآن { فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } ، قال السدي : أحسن ما يؤمرون به فيعملونه . وقيل: هو أن الله ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو ، والعفو أحسن الأمرين . وقيل: ذكر العزائم [والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم] (1) وقيل: يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن . وقال عطاء عن ابن عباس : آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد ، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا ، فنزلت فيهم: { فَبَشِّرْ عِبَادِي }{ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } ، وكله حسن . { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ } ، وقال ابن زيد : نزلت { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ } الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا

_____

(1) أخرجه الإمام أحمد في المسند 5 / 239 .

إله إلا الله ، زيد بن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي . والأحسن: قول لا إله إلا الله .
[19] { أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ } ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من سبق في علم الله أنه من أهل النار . وقيل: كلمة العذاب قوله: { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ } وقيل: كلمة العذاب قوله: "هؤلاء في النار ولا أبالي " (1) . { أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ } ، أي لا تقدر عليه . قال ابن عباس : يريد أبا لهب وولده .
[20] { لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ } ، أي منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها ، { تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ } ، أي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلفه .

_____

(1) ما بين المعكوفتين من نسخة محمد النمر وزملائه .

[21] قوله عز وجل: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ } ، أدخل ذلك الماء ، { يَنَابِيعَ } ، عيونا وركايا ، { فِي الْأَرْضِ } ، قال الشعبي : كل ماء في الأرض فمن السماء نزل ، { ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ } ، بالماء { زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ } ، أحمر وأصفر وأخضر ، { ثُمَّ يَهِيجُ } ، ييبس ، { فَتَرَاهُ } ، بعد خضرته ونضرته ، { مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا } ، فتاتا متكسرا ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ } .

[22] قوله عز وجل: { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } ، وسعه لقبول الحق ، { فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ } ، كمن أقسى الله قلبه ؟ قوله عز وجل: { فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } ، قال مالك بن دينار . ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب ، وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة .

[23] قوله عز وجل: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا } ، يشبه بعضه بعضا في الحسن ، ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف . { مَثَانِيَ } ، يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والأمر والنهي والأخبار والأحكام ، { تَقْشَعِرُّ

} ، تضطرب وتشمئز ، { مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ } ، والاقشعرار تغير في جلد الإنسان عند الوجل والخوف ، وقيل: المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم ، { ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } ، أي لذكر الله ، أي إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله ، وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم ، كما قال الله تعالى: { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } ، وحقيقة المعنى: أن قلوبهم تقشعر من الخوف وتلين عند الرجاء . { ذَلِكَ } ، يعني أحسن الحديث ، { هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } .

[24] { أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ } ، أي شدته ، { يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ، قال مجاهد : يجر على وجهه في النار . وقال عطاء : يرمى به في النار منكوسا فأول شيء تمسه النار وجهه . قال مقاتل : هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه إلى عنقه , وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر ، وهو معلق في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه ، للأغلال التي في عنقه ويده . ومجاز الآية: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب؟ { وَقِيلَ } ، يعني تقول الخزنة { لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ } أي وباله .
[25] { كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } ، من قبل كفار مكة كذبوا الرسل ، { فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } ، يعني وهم آمنون غافلون من العذاب .
[26] { فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ } ، العذاب والهوان ، { فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } .
[27] { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } , يتعظون .

[28] { قُرْءَانًا عَرَبِيًّا } , نصب على الحال , { غَيْرَ ذِي عِوَجٍ } , قال ابن عباس : غير مختلف . قال مجاهد , غير ذي لبس . قال السدي : غير مخلوق . ويروى ذلك عن مالك بن أنس , وحكى عن سفيان ابن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق , { لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } , الكفر والتكذيب .

[29] { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا } , قال الكسائي نصب رجلا لأنه تفسير للمثل , { فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ } , متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم , يقال رجل شكس شرس إذا كان سيئ الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالإنصاف . { وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ } , قرأ أهل مكة والبصرة (سالما) بالألف أي خالصا له لا شريك ولا منازع له فيه ، وقرأ الآخرون (سلما) بفتح اللام من غير ألف ، وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم: هو لك سلم ، أي مسلم لا منازع لك فيه . { هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا } ، هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذي يعبد آلهة شتى ، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد ، وهذا استفهام إنكار أي لا يستويان ، ثم قال: { الْحَمْدُ لِلَّهِ } ، أي لله الحمد كله دون غيره من المعبودين . { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } ، ما يصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل .
[30] { إِنَّكَ مَيِّتٌ } ، أي ستموت ، { وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } . أي سيموتون ، قال الفراء والكسائي : الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت ، الميت بالتخفيف من فارقه الروح ، ولذلك لم يخفف ههنا .

[31] { ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ } ، قال ابن عباس : يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم .

[32] قوله عز وجل: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ } ، فزعم أن له ولدا وشريكا ، { وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ } ، بالقرآن ، { إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى } ، منزل ومقام ، { لِلْكَافِرِينَ } ، استفهام بمعنى التقرير .

[33] { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ } ، قال ابن عباس : { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ } يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا إله إلا الله { وَصَدَّقَ بِهِ } الرسول أيضا بلغه إلى الخلق . وقال السدي : والذي جاء بالصدق جبريل جاء بالقرآن ، وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول . وقال الكلبي وأبو العالية : والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق به أبو بكر رضي الله عنه . وقال قتادة ومقاتل : والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق به هم المؤمنون ، لقوله عز وجل: { أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } ، وقال عطاء : والذي جاء بالصدق الأنبياء وصدق به الأتباع ، وحينئذ يكون الذي بمعنى الذين ، وقال الحسن : هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاءوا به في الآخرة . وفي قراءة عبد الله بن مسعود : والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به . { أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } . 34 ,

[35] { لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ }{ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا } ، يسترها عليهم بالمغفرة ، { وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ } ، قال مقاتل : يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوئ .
[36] قوله عز وجل: { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } ، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي : (عباده) بالجمع يعني الأنبياء عليهم السلام ، قصدهم قومهم بالسوء كما قال: { وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ } فكفاهم الله شر من عاداهم { وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ } وذلك أنهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرة معاداة الأوثان . وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون ، { وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } .
[37] { وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ } ، منيع في ملكه منتقم من أعدائه .

[38] { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ } ، بشدة وبلاء ، { هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ } ، بنعمة وبركة ، { هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } ، قرأ أهل البصرة (كاشفات) و (ممسكات) بالتنوين ، (ضره) و (رحمته) بنصب الراء والتاء , وقرا الآخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الإضافة ، قال مقاتل : فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا ، فقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: { قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ } ، ثقتي به واعتمادي عليه ، { عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } ، يثق به الواثقون .
[39 ، 40] { قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } { مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ } ، أي ينزل عليه عذاب دائم .

[41] { إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا } ، وبال ضلالته عليه ، { وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ } ، بحفيظ ورقيب لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم .

[42] قوله عز وجل: { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ } ، أي الأرواح ، { حِينَ مَوْتِهَا } ، فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها ، وقوله: { حِينَ مَوْتِهَا } يريد موت أجسادها . { وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ } ، يريد يتوفى الأنفس التي لم تمت ، { فِي مَنَامِهَا } ، والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز ، ولكل إنسان نفسان إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس ، والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام ، وهو بعد النوم يتنفس . { فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ } ، فلا يردها إلى الجسد ، قرأ حمزة والكسائي (قضي) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء ، (الموت) رفع على ما لم يسم فاعله ، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد ، (الموت) نصب لقوله عز وجل: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ) . { وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى } ، ويرد الأخرى ، وهي التي لم يقض عليها الموت ، إلى الجسد ، { إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } ، إلى أن يأتي وقت موته ، ويقال للإنسان نفس وروح ، فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح . وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد ، فبذلك

يرى الرؤيا فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } ، لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح وإرسال ما يرسل منها . قال مقاتل : لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث ، يعني إن توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث .
[43] { أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ } ، يا محمد ، { أَوَلَوْ كَانُوا } ، وإن كانوا يعني الآلهة ، { لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا } ، من الشفاعة ، { وَلَا يَعْقِلُونَ } أنكم تعبدونهم ، وجواب هذه محذوف تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم .
[44] { قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا } ، قال مجاهد : لا يشفع أحد إلا بإذنه ، { لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } .

[45] { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ } ، نفرت . وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل : انقبضت عن التوحيد . وقال قتادة : استكبرت . وأصل الاشمئزاز النفور والاستكبار ، { قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ } . { وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ } ، يعني الأصنام ، { إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } ، يفرحون ، قال مجاهد ومقاتل . وذلك حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم فألقى الشيطان في أمنيته: تلك الغرانيق العلى ، ففرح به الكفار .
[46] { قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } .

[47] قوله عز وجل: { وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ } ، قال مقاتل : ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة . قال السدي : ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات ، والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يحتسبوا .

[48] { وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا } ، أي مساوئ أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله . { وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } .
[49] { فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ } ، شدة ، { دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ } ، أعطيناه ، { نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ } ، أي على علم من الله أني له أهل . وقال مقاتل : على خير علمه الله عندي ، وذكر الكناية لأن المراد من النعمة الإنعام ، { بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ } ، يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبلية . وقيل: بل الكلمة التي قالها فتنة . { وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } ، أنه استدراج وامتحان .
[50] { قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } قال مقاتل : يعني قارون فإنه قال: { إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي } ، { فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ، فما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئا .

[51] { فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا } ، أي جزاؤها يعني العذاب ، ثم [أوعد] كفار مكة فقال: { وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ } ، بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عز وجل .
[52] { أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ } ، أي يوسع الرزق لمن يشاء ، { وَيَقْدِرُ } ، أي يقتر على من يشاء ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } .
[53] قوله عز وجل: { قُلْ يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ } أراد بالإسراف ارتكاب الكبائر . { إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } .
[54] قوله عز وجل: { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ } ، أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة ، { وَأَسْلِمُوا لَهُ } ، وأخلصوا له التوحيد ، { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ } .

[55] { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ } ، يعني القرآن ، والقرآن كله حسن ، ومعنى الآية ما قاله الحسن : التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فإن في القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الأدون لئلا يرغب فيه ، وذكر الأحسن لتؤثره . قال السدي : الأحسن ما أمر الله به في الكتاب ، { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ }

[56] { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ } ، يعني لئلا تقول نفس ، قال المبرد : أي بادروا واحذروا أن تقول نفس . وقال الزجاج : خوف أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول ، { يا حَسْرَتَا } ، يا ندامتا ، والتحسر الاغتمام على ما فات ، وأراد يا حسرتي على الإضافة ، لكن العرب تحول يا ء الكناية ألفا في الاستغاثة ، فتقول: يا ويلتا ويا ندامتا ، وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الاضافة ، وكذلك قرأ أبو جعفر يا حسرتاي ، وقيل: معنى قوله يا حسرتا يا أيتها الحسرة هذا وقتك ، { عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ } ، قال الحسن : قصرت في طاعة الله . وقال مجاهد : في أمر الله . وقال سعيد بن جبير . في حق الله . وقيل: ضيعت في ذات الله . وقيل: معناه قصرت في الجانب الذي يردني إلى رضاء الله . والعرب تسمي الجنب جانبا ، { وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ } ، المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين ، قال قتادة : لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته .

[57 ، 58] { أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ }{ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ } ، عيانا ، { لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً } ، رجعة إلى الدنيا ، { فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } ، الموحدين .
[59] يقال لهذا القائل: { بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي } ، يعني القرآن ، { فَكَذَّبْتَ بِهَا } ، وقلت إنها ليست من الله ، { وَاسْتَكْبَرْتَ } ، تكبرت عن الإيمان بها ، { وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } .
[60] { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ } فزعموا أن له ولدا وشريكا ، { وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ } ، عن الإيمان .

[61] { وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ } ، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (بمفازاتهم) بالألف على الجمع ، أي بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة ، وقرأ الآخرون { بِمَفَازَتِهِمْ } على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز ، أي ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة . قال المبرد : المفازة مفعلة من الفوز ، والجمع حسن كالسعادة والسعادات . { لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ } ، لا يصيبهم المكروه ، { وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } .
[62] { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } ، أي الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها .
[63] { لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، أي مفاتيح خزائن السماوات والأرض ، واحدها مقلاد ، مثل: مفتاح ، مفاتيح . وقال قتادة ومقاتل : مفاتيح السماوات والأرض بالرزق والرحمة . وقال الكلبي : خزائن المطر وخزائن النبات .
{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } .

[64] قوله عز وجل: { قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } ؟ قال مقاتل : وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه . قرأ أهل الشام (تأمروننني) بنونين خفيفتين على الأصل ، وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف ، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام .
[65] { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } ، أي الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد منه غيره . وقيل: هذا أدب من الله عز وجل لنبيه وتهديد لغيره ، لآن الله تعالى عصمه من الشرك . { وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } .
[66] { بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } ، لإنعامه عليك .

[67] قوله عز وجل: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } ، ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به ، ثم أخبر عن عظمته فقال: { وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون » ، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم (1) .

_____
(1) في صفات المنافقين برقم (2786) 4 / 2147 .

[68] قوله عز وجل: { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ } أي ماتوا من الفزع ، وهي النفخة الأولى ، { إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ } ،

اختلفوا في الذين استثناهم عز وجل ، وقد ذكرناهم في سورة النمل ، قال الحسن : إلا من شاء الله يعني الله وحده ، { ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ } ، أي في الصور ، { أُخْرَى } ، أي مرة أخرى ، { فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } ، من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم .

[69] قوله عز وجل: { وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ } ، أضاءت ، { بِنُورِ رَبِّهَا } ، بنور خالقها ، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو . وقال الحسن والسدي : بعدل ربها ، وأراد بالأرض عرصات القيامة ، { وَوُضِعَ الْكِتَابُ } ، أي كتاب الأعمال ، { وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ } ، قال ابن عباس : يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة ، وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقال عطاء : يعني الحفظة يدل عليه قوله تعالى: { وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ } ، { وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ } ، أي بالعدل ، { وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } ، أي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم .
[70] { وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ } ، أي ثواب ما عملت ، { وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ } ، قال عطاء : يريد أني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد .

[71] { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ } سوقا عنيفا ، { زُمَرًا } ، أفواجا بعضها على إثر بعض ، كل أمة على حدة . قال أبو عبيدة والأخفش : زمرا أي جماعات في تفرقة ، واحدتها زمرة . { حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا } ، السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك ، قرأ أهل الكوفة (فتحت) بالتخفيف ، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير { وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا } ، توبيخا وتقريعا لهم ، { أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ } ، وجبت ، { كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } وهو قوله: { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } .

[72 ، 73] { قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } { وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم . قال ابن عباس : طاب لكم المقام . قال قتادة : هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة .
[74] { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ } ، أي أرض الجنة . وهو قوله عز وجل . { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } . { نَتَبَوَّأُ } ، ننزل ، { مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ } ، قال الله تعالى { فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } ، ثواب المطيعين .

[75] { وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ } ، أي محدقين محيطين بالعرش ، المحيطين بحوافه أي بجوانبه ، { يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } ، قيل: هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لأن التكليف متروك في ذلك اليوم ، { وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ } ، أي قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل ، { وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، يقول أهل الجنة: شكرا حين تم وعد الله لهم .

(40) سورة غافر
[1] قوله عز وجل (حم) قد سبق الكلام في حروف التهجي. قال السدي عن ابن عباس : حم اسم الله الأعظم. وروى عكرمة عنه قال : الر وحم ، ونون ، حروف الرحمن مقطعة . وقال سعيد بن جبير وعطاء الخراساني : الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حي حليم حنان ، والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان . وقال الضحاك والكسائي : معناه قضى ما هو كائن كأنه أشار إلى أن معناه حم بضم الحاء وتشديد الميم ، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر حم بكسر الحاء ، والباقون بفتحها .

[2 ، 3] { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }{ غَافِرِ الذَّنْبِ } ، ساتر الذنب و { وَقَابِلِ التَّوْبِ } ، يعني التوبة مصدر تاب يتوب توبا . وقيل: التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم . وقال ابن عباس . غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله ، وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله . { شَدِيدِ الْعِقَابِ } ، لمن لا يقول لا إله إلا الله ، { ذِي الطَّوْلِ } ، ذي الغنى عمن لا يقول لا إله إلا الله . قال مجاهد . ذي الطول ذي السعة والغنى . وقال الحسن : ذو الفضل . قال قتادة : ذو النعم: ذو القدرة وأصل الطول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه . { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ } .

[4] { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ } ، في دفع آيات الله بالتعذيب والإنكار ، { إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا } ، قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا } ، و { وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } قوله تعالى: { فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ } ، تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم ، فإن عاقبة أمرهم العذاب ، نظيره قوله عز وجل: { لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ } .

[5] { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ } ، وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من [بعد] قوم نوح ، { وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ } ، قال ابن عباس : ليقتلوه ويهلكوه ، وقيل . ليأسروه . والعرب تسمي الأسير أخيذا { وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا } ، ليبطلوا ، { بِهِ الْحَقَّ } ، الذي جاء به الرسل ومجادلتهم مثل قولهم: { إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا } ، { لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ } ونحو ذلك . { فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ }
[6] { وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ } ، يعني كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت { عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا } ، من قومك ، { أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ }

[7] قوله عز وجل: { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ } ، حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون ، وهم سادة المائكة . قوله عز وجل: { يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ } ، يصدقون بأنه واحد لا شريك له { وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا } ، يعني يقولون ربنا ، { وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا } ، قيل: نصب على التفسير ، وقيل: على النقل ، أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ، { فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ } ، دينك . { وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } ، قال مطرف : أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين .

[8] { رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ } ، آمن ، { مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ، قال سعيد بن جبير : يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك ، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم ، فيقال: أدخلوهم (1) .
[9] { وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ } ، العقوبات ، { وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ } ، أي ومن تقه السيئات يعني العقوبات ، وقيل: جزاء السيئات ، { يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } .
[10] { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ } ، يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم ، وعاينوا العذاب ، فيقال لهم ،: { لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ } ، يعني لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم .

_____
(1) أخرجه الطبري 23 / 45 .

[11] { قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ } ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما موتتان وحياتان ، وهذا كقوله تعالى: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } ، وقال السدي : أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم للسؤال ، ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة . { فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ } ، أي من خروج من النار إلى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك ، نظيره: { هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ } .

[12] قال الله تعالى: { ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ } ، وفيه متروك استغني عنه لدلالة الظاهر عليه ، مجازه: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك ، وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعي الله وحده كفرتم أي إذا قيل لا إله إلا الله أنكرتم ، وقلتم: { أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا }، { وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ } ، غيره ، { تُؤْمِنُوا } ، تصدقوا ذلك الشرك ، { فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } . الذي لا أعلى منه ولا أكبر .
[13] { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا } ، يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق ، { وَمَا يَتَذَكَّرُ } ، وما يتعظ بهذه الآيات { إِلَّا مَنْ يُنِيبُ } ، يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره .
[14] { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } ، الطاعة والعبادة . { وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } .

[15] { رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ } ، رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة { ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ } ، ينزل الوحي ، سماه روحا لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح ، { مِنْ أَمْرِهِ } ، قال ابن عباس : من قضائه . وقيل: من قوله . وقال مقاتل: بأمره . { عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ } ، أي لينذر النبي بالوحي ، { يَوْمَ التَّلَاقِ } ، وقرأ يعقوب بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد يوم التلاق ، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض . وقال قتادة : ومقاتل : يلتقي فيه الخلق والخالق . قال ابن زيد : يتلاقى العباد . وقال ميمون بن مهران : يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم . وقيل: يلتقي العابدون والمعبودون . وقيل: يلتقي فيه المرء مع

عمله .
[16] { يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ } ، خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء ، { لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ } ، من أعمالهم وأحوالهم ، { شَيْءٌ } ، ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق ، { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ } ، فلا أحد يجيبه فيجيب بنفسه فيقول ، { لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } ، الذي قهر الخلق بالموت .

[17] { الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ } ، يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، { لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } .
[18] { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ } ، يعني يوم القيامة سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب ، نظيره قوله عز وجل: { أَزِفَتِ الْآزِفَةُ } ، أي قربت القيامة . { إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ } ، وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر ، فهي لا تعود إلى أماكنها وهي لا تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا ، { كَاظِمِينَ } ، مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا ، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به . { مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ } ، قريب ينفعهم ، { وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ } فيشفع فيهم .
[19] { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ } أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل . قال مجاهد : نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه . { وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } .

[20] { وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ } ، يعني الأوثان ، { لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ } ، لأنها لا تعلم شيئا ولا تقدر على شيء { إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } .
[21] { أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ } ، فلم ينفعهم ذلك . { فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ } ، يدفع عنهم العذاب .

[22- 25] { ذَلِكَ } أي ذلك العذاب الذي نزل بهم ، { بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ }{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ }{ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ }{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا } ، يعني فرعون وقومه ، { اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ } ، قال قتادة : هذا غير القتل الأول لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان ، فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم ، فمعناه أعيدوا عليهم القتل ، { وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ } ، ليصدوهم ببذلك عن متابعة موسى ومظاهرته ، { وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ } ، وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم ، { إِلَّا فِي ضَلَالٍ } ، أي يذهب كيدهم باطلا ، ويحيق بهم ما يريده الله عز وجل .

[26] { وَقَالَ فِرْعَوْنُ } ، لملئه ، { ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى } ، وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفا من الهلاك ، { وَلْيَدْعُ رَبَّهُ } ، أي وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا ، { إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ } ، أن يغير ، { دِينَكُمْ } الذي أنتم عليه ، { أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } أراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره .

[27 ، 28] { وَقَالَ مُوسَى } ، لما توعده فرعون بالقتل ، { إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ }{ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ } ، واختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل والسدي : كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال: { وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى } ، وقال قوم: كان إسرائيليا ، ومجاز الآية . وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون ، وكان اسمه حزبيل عند ابن عباس ، وأكثر العلماء . وقال ابن إسحاق : كان اسمه جبريل . وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا . { أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ } ، لأن يقول ربي الله ، { وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ } ، أي بما يدل على صدقه ، { وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ } ، لا يضركم ذلك ، { وَإِنْ يَكُ صَادِقًا } ، فكذبتموه وهو صادق ، { يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ } ، قال أبو عبيد : المراد بالبعض الكل ، أي إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما وعدكم من العذاب . قال الليث : (بعض) ههنا صلة

، يريد: يصبكم الذي يعدكم . وقال أهل المعاني: هذا على الظاهر في الحجاج كأنه قال أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم ، فذكر البعض ليوجب الكل ، { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي } ، إلى دينه ، { مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ } ، مشرك ، { كَذَّابٌ } ، على الله .
[29] { يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ } ، غالبين في أرض مصر ، { فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ } ، من يمنعنا من عذاب الله ، { إِنْ جَاءَنَا } ، والمعنى لكم الملك اليوم فلا تعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي ، فإنه لا مانع من عذاب الله إن حل بكم ، { قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ } ، من الرأي والنصيحة ، { إِلَّا مَا أَرَى } ، لنفسي . وقال الضحاك : ما أعلمكم إلا ما أعلم ، { وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } ، ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى .

[30] { وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ }{ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ } ، أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب ، { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ } ، أي لا يهلكهم قبل إيجاب الحجة عليهم .

[31] { وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ } ، يوم القيامة يدعى كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار ، وأصحاب النار أصحاب الجنة ، وينادي أصحاب الأعراف ، وينادي بالسعادة والشقاوة ، ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وفلان ابن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا ، وينادي حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، وقرأ ابن عباس والضحاك : يوم التناد بتشديد الدال أي يوم التنافر ، وذلك أنهم هربوا فندوا في الأرض كما تند الإبل إذا شردت عن أربابها . وقال الضحاك : وكذلك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا ، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه ، فذلك قوله تعالى: { وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا } ، وقوله: { يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا } .

[32-34] { يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ } ، منصرفين عن موقف الحساب إلى النار . وقال مجاهد : فارين غير معجزين ، { مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ } ، يعصمكم من عذابه ، { وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }{ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ

} ، يعني يوسف بن يعقوب من قبل ، أي من قبل موسى ، { بِالْبَيِّنَاتِ } ، يعني قوله { أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } ، { فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ } ، قال ابن عباس : من عبادة الله وحده لا شريك له ، { حَتَّى إِذَا هَلَكَ } ، مات ، { قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا } ، أي أقمتم على كفركم وظننتم أن لا يجدد عليكم الحجة ، { كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ } ، مشرك { مُرْتَابٌ } ، شاك .

[35] { الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ } ، قال الزجاج . هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في آيات الله آي في إبطالها بالتكذيب ، { بِغَيْرِ سُلْطَانٍ } ، حجة ، { أَتَاهُمْ } ، من الله ، { كَبُرَ مَقْتًا } ، أي كبر ذلك الجدال مقتا ، { عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } ، قرأ أبو عمرو وابن عامر (قلب) بالتنوين ، قرأ الآخرون بالإضافة ، دليله قراءة عبد الله بن مسعود (على قلب كل متكبر جبار) .

[36 ، 37] { وَقَالَ فِرْعَوْنُ } ، لوزيره ، { يا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا } ، والصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد وأصله من التصريح وهو الإظهار ، { لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ }{ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ } ، يعني طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء ، { فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى } ، قراءة العامة برفع العين نسقا على قوله . (أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ) ، وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهي قراءة حميد الأعرج ، على جواب لعل بالفاء ، { وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ } ، يعني موسى ، { كَاذِبًا } ، فيما يقولون إن له ربا غيري ، { وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ } ، قرأ أهل الكوفة ويعقوب (وصد) بضم الصاد نسقا على قوله: (زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ) قال ابن عباس : صده الله عن سبيل الهدى . وقرأ الآخرون بالفتح أي صد فرعون الناس عن السبيل . { وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ } ، يعني وما كيده في إبطال آيات الله وآيات موسى إلا في خسار وهلاك .

[38] { وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ } ، طريق الهدى .

[39] { يا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ } ، متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع ، { وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ } التي لا تزول .
[40] { مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ } ، قال مقاتل : لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير .

[41] { وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ } ، يعني مالكم كما تقول العرب: مالي أراك حزينا؟ أي مالك؟ يقول: أخبروني عنكم كيف هذه الحال أدعوكم إلى النجاة من النار بالإيمان بالله ، { وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ } ، إلى الشرك الذي يوجب النار ، ثم فسر فقال:
[42] { تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ } ، الغزيز في انتقامه ممن كفر ، الغفار لذنوب أهل التوحيد .
[43] { لَا جَرَمَ } ، حقا ، { أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ } ، أي إلى الوثن ، { لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ } ، فقال السدي : لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة ، يعني ليست له استجابة [دعوة] . وقيل: ليست به دعوة إلى عبادته في الدنيا لأن الأوثان لا تدعي الربوبية ، ولا تدعو إلى عبادتها ، وفي

الآخرة تتبرأ من عابديها . { وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ } ، مرجعنا إلى الله فيجازي كلا بما يستحق ، { وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ } ، المشركين ، { هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } .

[44] { فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ } ، إذا عاينتم العذاب حين ألا ينفعكم الذكر ، { وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ } ، وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم ، { إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } ، يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم ، فطلبوه فلم يقدروا عليه .
[45] وذلك قوله عز وجل: { فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا } ، ما أرادوا به من الشر ، قال قتادة : نجا مع موسى وكان قبطيا ، { وَحَاقَ } نزل ، { بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } ، الغرق في الدنيا والنار في الآخرة .

[46] وذلك قوله: { النَّارُ } ، هي رفع على البدل من السوء ، { يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا } ، صباحا ومساء ، قال ابن مسعود : أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى النار ويقال: يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة . وقال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي : تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا . ثم أخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا } من الدخول ، أي يقال لهم ادخلوا يا { آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ } ، وقيل من الإدخال ، أي يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب . قال ابن عباس : يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ أغرقوا .

[47] { وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ } ، أي إذكر يا محمد لقومك إذ يختصمون يعني أهل النار في النار { فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا } ، في الدنيا ، { فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ } ، والتبع يكون واحدا وجمعا في قول أهل البصرة ، واحده تابع ، وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له وجمعه أتباع .
[48، 49] { قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ } { وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ } ، حين اشتد عليهم العذاب ، { لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ } .

[50] { قَالُوا } يعني خزنة جهنم لهم ، { أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا } ، أنتم إذا ربكم ، أي إنا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب . قال الله تعالى . { وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ } ، أي يبطل ويضل ولا ينفعهم .
[51] قوله عز وجل: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ، قال ابن عباس : بالغلبة والقهر . وقال الضحاك : بالحجة وفي الآخرة بالعذاب . وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة ، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم ، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم ، ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم ، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل ، قتل به سبعون ألفا ، فهو منصورون بأحد هذه الوجوه ، { وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } ، يعني يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب .

[52] { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ } ، إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم ، وإن تابوا لم ينفعهم ، { وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ } ، البعد من الرحمة ، { وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } ، يعني جهنم .
[53] { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى } ، قال مقاتل : الهدى من الضلالة ، يعني التوراة ، { وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ } ، التوراة .
[54] { هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ } .
[55] { فَاصْبِرْ } ، يا محمد على أذاهم ، { إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ } ، في إظهار دينك ، وإهلاك أعدائك { حَقٌّ } ، قال الكلبي : نسخت آية القتال آية الصبر ، { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } ، هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده ، { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ } ، صل شاكرا لربك ، { بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } ، قال الحسن : يعني صلاة العصر وصلاة الفجر . وقال ابن عباس . الصلوات الخمس .

[56] { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ } ، ما في قلوبهم والصدر موضع القلب ، فكنى به عن القلب لقرب الجوار ، { إِلَّا كِبْرٌ } ، قال ابن عباس : ما يحملهم على تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ، { مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ } ، قال مجاهد : ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر ، لأن الله عز وجل مذلهم . قال ابن قتيبة : إن في صدورهم إلا تكبر على محمد صلى الله عليه وسلم ، وطمع في أن يغلبوه وما هم ببالغي ذلك . قال أهل التفسير: نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان ، فيبلغ سلطانه البر والبحر ، ويرد الملك إلينا ، قال الله تعالى: { فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ } ، من فتنة الدجال ، { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } .

[57] { لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } مع عظمهما ، { أَكْبَرُ } ، أعظم في الصدور ، { مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } ، أي من إعادتهم بعد الموت ، { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ } ، يعني الكفار ، { لَا يَعْلَمُونَ } ، حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها . وقال قوم: أكبر أي أعظم من خلق الدجال ، (ولكن أكثر الناس) ، يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال .
[58] قوله تعالى: { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ } ، قرأ أهل الكوفة (تتذكرون) بالتاء ، وقرأ الآخرون بالياء لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم .

[59] { إِنَّ السَّاعَةَ } ، أي القيامة { لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا } . { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ } .
[60] { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم ، فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة ، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر: « إن الدعاء هو العبادة » ، ثم قرأ: { ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } (1) عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من لم يدع الله غضب الله عليه » (2) ، وقيل: الدعاء: هو الذكر والسؤال ، { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } صاغرين ذليلين .

---

(1) أخرجه أبو داود في الصلاة 2 / 141 والترمذي في التفسير 9 / 121 وقال (حديث حسن صحيح) والنسائي في التفسير 2 / 253 وابن ماجه في الدعاء برقم (3828) 2 / 1258 والحاكم 1 / 490 وصححه ووافقه الذهبي والمصنف في شرح السنة 5 / 188 .
(2) أخرجه أحمد (2 / 442) ، والبخاري في الأدب المفرد (658) ، والترمذي (3373) وابن ماجه (3827) ، والحاكم (1 / 491) ، والمصنف في شرح السنة (رقم 1389)

[61- 63] { اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ }{ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ }{ كَذَلِكَ } ، يعني كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل ، كذلك { يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } .

[64 ، 65] { اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا } ، فراشا ، { وَالسَّمَاءَ بِنَاءً } سقفا كالقبة { وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ } قال مقاتل : خلقكم فأحسن خلقكم . قال ابن عباس : خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده ، وغير ابن آدم يتناول بفيه . { وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ } ، قيل: هو من غير رزق الدواب { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }{ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، قال الفراء: هو خبر وفيه إضمار الأمر ، مجازه: فادعوه واحمدوه . وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين ، فذلك قوله عز وجل: { فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } .
[66] { قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ، وذلك حين دعي إلى الكفر .

[67] { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا } أي أطفالا ، { ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ } ، أي من قبل أن يصير شيخا . { وَلِتَبْلُغُوا } ، جميعا ، { أَجَلًا مُسَمًّى } ، وقتا معلوما محدودا لا تجاوزونه ، يريد أجل الحياة إلى الموت ، { وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } ، أي لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته .
[68 ، 69] { هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ } ، يعني القرآن يقولون ليس من عند الله، { أَنَّى يُصْرَفُونَ } ، كيف يصرفون عن دين الحق. قيل: هم المشركون. وعن محمد بن سيرين وجماعة : إنها نزلت في القدرية. 70، [71] { الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }{ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ } ، يجرون.

[72] { فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ } ، قال مقاتل : توقد بهم النار. وقال مجاهد : يصيرون وقودا للنار. 73،
[74] { ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ }{ مِنْ دُونِ اللَّهِ } يعني الأصنام، { قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا } ، فقدناهم فلا نراهم، { بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا } ، قيل: أنكروا. وقيل: معناه بل لم نكن ندعو من قبل شيئا ينفع ويضر. وقال الحسين بن الفضل : أي لم نكن نصنع من قبل شيئا أي ضاعت عبادتنا لها، كما يقول من ضاع عمله: ما كنت أعمل شيئا. قال الله -عزّ وجلّ-: { كَذَلِكَ } أي

كما أضل هؤلاء، { يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ } .
[75] { ذَلِكُمْ } العذاب الذي نزل بكم، { بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ } تبطرون وتأشرون، { فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ } تفرحون وتختالون.
76،

[77] { ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ }{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ } ، بنصرك، { حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ } ، من العذاب في حياتك، { أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ } ، قبل أن يحل ذلك بهم، { فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ } .

[78] { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ } ، خبرهم في القرآن، { وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } ، بأمر الله وإرادته، { فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ } ، قضاؤه بين الأنبياء والأمم، { قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ } . 79،
[80] { اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا } ، بعضها، { وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }{ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ } ، في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها. { وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ } ، تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد ولتبلغوا عليها حاجاتكم، { وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ } ، أي على الإبل في البر وعلى السفن في البحر، نظيره قوله تعالى: { وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } .
[81] { وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ } ، دلائل قدرته، { فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ } .

[82] { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ } ، يعني مصانعهم وقصورهم، { فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ } ، لم ينفعهم، { مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ، وقيل: هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أي شيء أغنى عنهم كسبهم؟
83،
[84] { فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا } ، رضوا، { بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ } ، قال مجاهد هو قولهم: نحن أعلم لن نبعث ولن نعذب، سمي ذلك علما على ما يدعونه وهو في الحقيقة جهل. { وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } { فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ } ، يعني تبرأنا مما كنا نعدل بالله.

[85] { فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا } ، عذابنا، { سُنَّةَ اللَّهِ } ، قال نصبها بنزع الخافض، أي كسنة الله. وقيل: على المصدر. وقيل: على الإغراء أي احذروا سنة الله، { الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ } ، وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب. { وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } ، بذهاب نعيم الدارين، قال الزجاج : الكافر خاسر في كل وقت، ولكنهم يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

(41) سورة فصلت
[1، 2] { حم }{ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } ، قال الأخفش : تنزيل مبتدأ وخبره قوله عزّ وجلّ:
[3] { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ } بينت آياته { قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } ، اللسان العربي ولو كان بغير لسانهم ما علموه ونصب قرآنا بوقوع البيان عليه أي فصلناه قرآنا.

[4] { بَشِيرًا وَنَذِيرًا } ، نعتان للقرآن أي بشيرا لأولياء الله ونذيرا لأعدائه، { فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } ، أي لا يصغون إليه تكبرا.
[5] { وَقَالُوا } ، يعني مشركي مكة { قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ } ، في أغطية، { مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ } ، فلا نفقه ما تقول، { وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ } ، صمم فلا نسمع ما تقول، والمعنى: إنا في ترك القبول عندك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع، { وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ } ،
خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ما تقول، { فَاعْمَلْ } ، أنت على دينك، { إِنَّنَا عَامِلُونَ } ، على ديننا.

[6] { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ } ، يعني كواحد منكم ولولا الوحي ما دعوتكم، وهو قوله: { يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ } ، قال الحسن : علمه الله التواضع، { فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ } ، توجهوا إليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله، { وَاسْتَغْفِرُوهُ } ، من ذنوبكم، { وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ } .
[7] { الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } ، قال ابن عباس : الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد. وقال الحسن وقتادة : لا يقرون بالزكاة ولا يرون إيتاءها واجبا وكان يقول: الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك.
وقال الضحاك ومقاتل : لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون. وقال مجاهد : لا يزكون أعمالهم { وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } .

[8] { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } ، قال ابن عباس : غير مقطوع. وقال مقاتل : غير منقوص، ومنه المنون لأنه ينقص منة الإنسان وقوته، وقيل: غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد : غير محسوب.
وقال السدي : نزلت هذه الآيه في المرضى والزمنى والهرمى، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم كأصح ما كانوا يعملون فيه.
[9] قوله -عزّ وجلّ-: { قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } ، يوم الأحد ويوم الاثنين، { وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ } .

[10] { وَجَعَلَ فِيهَا } أي في الأرض، { رَوَاسِيَ } جبالا ثوابت، { مِنْ فَوْقِهَا } ، من فوق الأرض، { وَبَارَكَ فِيهَا } أي في الأرض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار، { وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا } ، قال الحسن ومقاتل : قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم. وقال عكرمة والضحاك : قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد. قال الكلبي : قدر الخبز لأهل قطر والذرة لأهل قطر والسمك لأهل قطر وكذلك أقواتها. { فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ } ، يريد خلق ما في الأرض وقدر الأقوات في يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهمًا مع الأحد والاثنين أربعة أيام، رد الآخر على الأول في الذكر { سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ } قرأ أبو جعفر (سَوَاءٌ) رفع على الابتداء أي هي سواء، وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله: { فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ } ، وقرأ الآخرون (سواء) نصب على المصدر استوت استواء، ومعناه: سواء للسائلين عن ذلك.
قال قتادة والسدي : من سأل عنه فهكذا الأمر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الأرض والأقوات؟

[11] { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ } ، أي عمد إلى خلق السماء، { وَهِيَ دُخَانٌ } ، وكان ذلك الدخان بخار الماء، { فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا } ،

أي: ائتيا ما آمركما أي: افعلاه، كما يقال: ائت ما هذا الأحسن أي افعله. وقال طاوس عن ابن عباس : ائتيا أعطيا، يعني: أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد. قال ابن عباس : قال الله -عزّ وجلّ-: أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك، وقال لهما افعلا ما آمركما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع، { قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } ، ولم يقل طائعتين لأنه ذهب به إلى السماوات والأرض ومن فيهن، مجازه: أتينا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل.

[12] { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ } ، أي أتمهن وفرغ من خلقهن، { وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا } ، قال عطاء عن ابن عباس : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله. وقال قتادة والسدي . يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل : وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة. { وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ } ، وكواكب، { وَحِفْظًا } لها، ونصب حفظا على المصدر، أي حفظناها بالكواكب حفظا من الشياطين الذين يسترقون السمع، { ذَلِكَ } ، الذي ذكر من صنعه، { تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ } ، في ملكه، { الْعَلِيمِ } ، بخلقه.
[13] قوله -عزّ وجلّ-: { فَإِنْ أَعْرَضُوا } ، يعني هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان، { فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ } ، خوفتكم، { صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } أي هلاكا مثل هلاكهم، والصاعقة: المهلكة من كل شيء.

[14] { إِذْ جَاءَتْهُمُ } ، يعني عادا أو ثمودا، { الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ } ، أراد بقوله: { مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ } الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم، { وَمِنْ خَلْفِهِمْ } يعني من بعد الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا إليهم هود وصالح ، فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى عاد وثمود وفي قوله (ومن خلفهم) راجعة إلى الرسل، { أَلَّا } بأن لا، { تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ } بدل هؤلاء الرسل، { مَلَائِكَةً } ، أي لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة، { فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }
[15] قوله -عزّ وجلّ-: { فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً } ، وذلك أن هودا هددهم بالعذاب، فقالوا: من أشد منا قوة، ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، قال الله تعالى ردا عليهم: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } .

[16] { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا } ، عاصفة شديدة الصوت، من الصرة وهي الصيحة. وقيل: هي الباردة من الصِّر وهو البرد، { فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ } ، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (نَحْسات) بسكون الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها نكدات مشئومات ذات نحوس. وقال الضحاك : أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر، { لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ } ، أي عذاب الهون والذل، { فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى } ، أشد إهانة { وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ } .
[17] { وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ } ، دعوناهم، قاله مجاهد ، وقال ابن عباس : بينا لهم سبيل الهدى. وقيل: دللناهم على الخير والشر، كقوله: { هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ

} ، { فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى } فاختاروا الكفر على الإيمان { فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ } ، أي هلكة العذاب { الْهُونِ } ، أي ذي الهون وهو الذي يهينهم ، ويجزيهم { بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } . 18،

[19] { وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }{ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ } ، قرأ نافع ويعقوب : (نحشر) بالنون، (أعداء) نصب، وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين (أعداء) رفع أي يجمع إلى النار { فَهُمْ يُوزَعُونَ } ، يساقون ويدفعون إلى النار، وقال قتادة والسدي : يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا.
[20] { حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا } جاءوا النار { شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ } ، أي بشراتهم، { بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ، وقال السدي وجماعة: المراد بالجلد الفروج. وقال مقاتل : تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم.

[21] { وَقَالُوا } ، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، { لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ } ، تم الكلام هاهنا. وقال الله تعالى، { وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } ، وليس هذا من جواب الجلود، { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } .
[22] { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ } ، أي: تستخفون - عند أكثر أهل العلم. وقال مجاهد : تتقون. وقال قتادة : تظنون. { أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ } .
[23] قوله تعالى: { وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ } ، أهلككم، أي: ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون، أرداكم. قال ابن عباس : طرحكم في النار، { فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } ثم أخبر عن حالهم فقال:

[24] { فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ } ، مسكن لهم، { وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا } ، يسترضوا وطلبوا العتبى، { فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ } ، المرضين، والمعتب الذي قبل عتابه وأجيب إلى ما سأل، يقال: أعتبني فلان أي أرضاني بعد إسخاطه إياي، واستعتبه طلبت منه أن يعتب أي يرضى.
[25] { وَقَيَّضْنَا لَهُمْ } ، أي بعثنا ووكلنا، وقال مقاتل : هيأنا. وقال الزجاج : سببنا لهم. { قُرَنَاءَ } ، نظراء من الشياطين حتى أضلوهم، { فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } ، من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة، { وَمَا خَلْفَهُمْ } ، من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث، { وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ } مع أمم { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ }

[26] { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، من مشركي قريش، { لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ } ، قال ابن عباس : يعني الغطوا فيه، وكان بعضهم يوصي إلى بعض. إذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو. قال مجاهد : والغوا فيه بالْمُكاء والصفير. وقال الضحاك : أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول. وقال السدي : صيحوا في وجهه. { لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ } ، محمدا على قراءته.
[27] { فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي } ، يعني بأسوأ الذي، أي بأقبح الذي، { كَانُوا يَعْمَلُونَ } ، في الدنيا وهو الشرك بالله.
[28] { ذَلِكَ } ، الذي ذكرت من العذاب الشديد، { جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ } ، ثم

بين ذلك الجزاء فقال: { النَّارُ } ، أي هو النار، { لَهُمْ فِيهَا } ، أي في النار، { دَارُ الْخُلْدِ } ، دار الإقامة لا انتقال منها، { جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ } .

[29] { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، أي في النار يقولون، { رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ } ، يعنون إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنَّا المعصية، { نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا } ، في النار { لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ } ، ليكونا في الدرك الأسفل من النار. قال ابن عباس : ليكونا أشد عذابا منا.

[30] قوله -عزّ وجلّ-: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } ، سئل أبو بكر الصديق -رضي الله تعالى عنه- عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئا. وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب. وقال عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: أخلصوا العمل لله. وقال علي -رضي الله عنه-: أدوا الفرائض. وقال ابن عباس : استقاموا على أداء الفرائض. وقال الحسن : استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته. وقال مجاهد وعكرمة : استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله { تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ } ، قال ابن عباس : عند الموت. وقال قتادة ومقاتل : إذ قاموا من قبورهم. قال وكيع بن الجراح : البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث. { أَلَّا تَخَافُوا } ، من الموت. وقال مجاهد : لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة. { وَلَا تَحْزَنُوا } ، على ما خلفتم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله. وقال عطاء بن أبي رباح : لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم، { وَأَبْشِرُوا

بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } .
[31] { نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ } ، تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة: نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم، { فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } ، أي في الدنيا والآخرة. قال السدي : تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ } ، من الكرامات واللذات، { وَلَكُمْ فِيهَا } ، في الجنة { مَا تَدَّعُونَ } ، تتمنون. 32،

[33] { نُزُلًا } رزقا، { مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ }{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ } ، إلى طاعته، { وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } ، قال ابن سيرين . هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله. وقال الحسن : هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني مع المسلمين. وقالت عائشة : أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين. وقال عكرمة . هو المؤذن أبو إمامة الباهلي ، وعمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والإقامة. وقال قيس بن أبي حازم : هو الصلاة بين الأذان الإقامة.

[34] قوله -عزّ وجلّ-: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ } ، قال الفراء : (لا) هاهنا صلة، معناه: لا تستوي الحسنة والسيئة، يعني الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو والإساءة. { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } ، قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة. { فَإِذَا الَّذِي

بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ } ، يعني إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذي بينك وبينه عداوة، { كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } ، كالصديق والقريب. قال مقاتل بن حيان : نزلت في أبي سفيان بن حرب ، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم أسلم فصار وليا بالإسلام، حميما بالقرابة.
[35] { وَمَا يُلَقَّاهَا } ، ما يلقى هذه الخصلة وهي دفع السيئة بالحسنة، { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا } ، على كظم الغيظ واحتمال المكروه، { وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } ، في الخير والثواب، وقال قتادة : الحظ العظيم الجنة، أي ما يلقاها إلا من وجبت له الجنة.

[36] { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ } ، لاستعاذتك وأقوالك، { الْعَلِيمُ } ، بأفعالك وأحوالك.
[37] قوله: { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ } ، إنما قال { خَلَقَهُنَّ } بالتأنيث لأنه أجراها على طريق جمع التكسير، ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث، { إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } .
[38] { فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا } ، عن السجود، { فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ } ، يعني الملائكة { يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } لا يملون ولا يفترون.

[39] { وَمِنْ آيَاتِهِ } ، دلائل قدرته، { أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً } يا بسة غبراء لا نبات فيها،
{ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .
[40] { إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا } ، يميلون عن الحق في أدلتنا، قال مجاهد : يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط. قال قتادة : يكذبون في آياتنا. قال السدي : يعاندون ويشاقون. قال مقاتل : نزلت في أبي جهل . { لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ } ، وهو أبو جهل ، { خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ، قيل: هو حمزة . وقيل: عثمان . وقيل: عمار بن ياسر .
{ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ } ، أمر تهديد ووعيد، { إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } ، عالم فيجازيكم به.

[41] { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ } ، بالقرآن، { لَمَّا جَاءَهُمْ } ، ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب: (إن الذين كفروا) ،على تقدير الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم. وقيل: خبره قوله من بعد: { أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } ، { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ } ، قال الكلبي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: كريم على الله: قال قتاده : أعزه الله -عزّ وجلّ- فلا يجد الباطل إليه سبيلا.
[42] وهو قوله: { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ } ، قال قتادة والسدي : الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه. قال الحجاج : معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى: الباطل الزيادة والنقصان. وقال مقاتل : لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله. { تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } ، ثم عزّى نبيه -صلى الله عليه وسلم- على تكذيبهم.

[43] فقال: { مَا يُقَالُ لَكَ } ، من الأذى، { إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ } ، يقول إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك ساحر كما يقال لك، وكُذِّبوا كما كذبت، { إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ } ، لمن تاب وآمن بك { وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ } ، لمن أصر على التكذيب.
[44] { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ } ، أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس، { قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا } ، بغير لغة العرب، { لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ } ، هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها، { أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ } ، يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي؟ وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي أنهم كانوا يقولون: المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي.
قال مقاتل : وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي ، وكان يهوديا أعجميا، يعني أبا فكيهة ، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار فضربه سيده، وقال: إنك تعلم محمدا ، فقال يسار : هو يعلمني ، فأنزل الله تعالى هذه الآية: { قُلْ } ، يا محمد { هُوَ } ، يعني القرآن، { لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ }

لما في القلوب، وقيل: شفاء من الأوجاع، { وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى } ، قال قتادة : عموا عن القرآن وصموا عنه فلا ينتفعون به، { أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } ، أي أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون.
[45] { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ } ، فمصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك، { وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ } ، في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن، { لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ } ، لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم، { وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ } ، من صدقك، { مُرِيبٍ } ، موقع لهم الريبة.
[46] { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } .

[47] { إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ } ، أي علمها إذا سئل عنها مردود إليه لا يعلمه غيره، { وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا } أوعيتها واحدها: كِمٌّ { وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ } ، إلا بإذنه، يقول: يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ } ، ينادي الله المشركين، { أَيْنَ شُرَكَائِي } ، الذين كنتم تزعمون أنها آلهة، { قَالُوا } ، يعني المشركين، { آذَنَّاكَ } ، أعلمناك، { مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ } ، أي من شاهد بأن لك شريكا لما عاينوا العذاب تبرءوا من الأصنام.
[48] { وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ } ، يعبدون، { مِنْ قَبْلُ } في الدنيا، { وَظَنُّوا } ، أيقنوا، { مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ } ، مهرب.
[49] { لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ } ، لا يمل الكافر، { مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ } لا يزال يسأل ربه الخير، يعني المال والغنى والصحة، { وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ } ، الشدة والفقر، { فَيَئُوسٌ } ، من روح الله، { قَنُوطٌ } ، من رحمته.

[50] { وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا } ، آتيناه خيرا وعافية وغنى، { مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ } ، من بعد شدة وبلاء أصابته، { لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي } ، أي بعملي وأنا محبوب بهذا، { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى } ، يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث، فإن كان الأمر على ذلك، ورددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، أي الجنة أي كما أعطاني في

الدنيا سيعطيني في الآخرة. { فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا } ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: لنوقفنهم على مساوئ أعمالهم، { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ } .
[51] { وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ } ، كثير، والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، يقال: أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض، أي أكثر.

[52] { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ } ، هذا القرآن { مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } ، خلاف للحق بعيد عنه أي فلا أحد أضل منكم.

[53] { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ } ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يعني منازل الأمم الخالية. { وَفِي أَنْفُسِهِمْ } ، بالبلاء والأمراض. وقال قتادة : في الآفاق يعني وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم يوم بدر. وقال مجاهد والحسن والسدي والكلبي : في الآفاق ما يفتح من القرى على محمد -صلى الله عليه وسلم- والمسلمين، وفي أنفسهم فتح مكة. { حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } ، يعني دين الإسلام. وقيل: القرآن يتبين لهم أنه من عند الله. وقيل: محمد -صلى الله عليه وسلم- يتبين لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى. وقال عطاء وابن زيد : في الآفاق يعني أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار، وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، حتى يتبين لهم أنه الحق. { أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } ، قال مقاتل : أولم يكف بربك لأنه على كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه شيء.
[54] { أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ } ، في شك من البعث، { أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ } ، أحاط بكل شيء علما.

(42) سورة الشورى
[1،2] { حم }{ عسق } ، سئل الحسين بن الفضل لِمَ يُقَطِّع حم عسق ولم يُقطِّع كهيعص؟ فقال: لأنها سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره، ولأنهما عُدَّا آيتين، وأخواتها مثل كهيعص المص المر عدت آية واحدة. وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير، واختلفوا في حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا، وقال: معناها: حم أي قضي ما هو كائن، وروى عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ح حلمه، م مجده، ع علمه، س سناؤه، ق قدرته، أقسم الله بها. وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح : ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش، م ملك يتحول من قوم إلى قوم، ع عدو لقريش يقصدهم، س سيئ يكون فيهم، ق قدرة الله النافذة في خلقه، وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت إليه حم عسق.

[3] فلذلك قال: { كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ } ، وقرأ ابن كثير (يوحى) بفتح الحاء وحجته قوله: (أوحينا إليك) ، { وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ } ، وعلى هذه القراءة قوله: { اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ، تبيين للفاعل كأنه قيل: من يوحي؟ فقيل: الله العزيز الحكيم، وقرأ الآخرون (يوحي) بكسر الحاء، إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم. قال عطاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: يريد أخبار

الغيب.
[4، 5] { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ } ، أي كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين: { اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا } نظيره في سورة مريم: { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا } { لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا } { تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ } . { وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ } ، من المؤمنين، { أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }

[6] { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ } ، يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها، { وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ } ، لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم .
[7] { وَكَذَلِكَ } ، مثل ما ذكرنا، { أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى } ، مكة يعني أهلها، { وَمَنْ حَوْلَهَا } ، يعني قرى الأرض كلها، { وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ } أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين وأهل السماوات والأرضين، { لَا رَيْبَ فِيهِ } ، لا شك في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون { فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ } فضل من الله، { وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ } عدل من الله -عزّ وجلّ.

[8] قوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: على دين واحد. وقال مقاتل : على ملة الإسلام كقوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى } ، { وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ } ، في دين الإسلام، { وَالظَّالِمُونَ } ، الكافرون، { مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ } ، يدفع عنهم العذاب، { وَلَا نَصِيرٍ } ، يمنعهم من النار.
[9] { أَمِ اتَّخَذُوا } ، بل اتخذوا أي الكافرون، { مِنْ دُونِهِ } ، أي من دون الله، { أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ } ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: وليك يا محمد وولي من اتبعك، { وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .
[10] { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ } ، من أمر الدين، { فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ } ، يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب، { ذَلِكُمُ اللَّهُ } ، الذي يحكم بين المختلفين هو { رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } .

[11] { فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا } ، من مثل خلقكم حلائل، قيل: إنما قال من أنفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم ، { وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا } ، أصنافا ذكورا وإناثا { يَذْرَؤُكُمْ } ، يخلقكم، { فِيهِ } ، أي في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: على هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد : نسلا بعد نسل من الناس والأنعام. وقيل: في بمعنى الباء أي يذرؤكم به. وقيل معناه يكثركم بالتزويج. { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } ، مثل صلة أي ليس هو كشيء فأدخل المثل للتوكيد، كقوله: { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ } ، وقيل: الكاف صلة، مجازه: ليس مثله شيء. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ليس له نظير. { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } .
[12] { لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، مفاتيح الرزق في السماوات والأرض. قال الكلبي : المطر والنبات. { يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ } لأن مفاتيح الرزق بيده، { إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } .

[13] { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ } ، بين وسن لكم، { مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا } ، وهو أول أنبياء الشريعة. قال مجاهد : أوصيناك وإياه يا محمد دينا واحدا. { وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ } ، من القرآن وشرائع الإسلام، { وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى } ، واختلفوا في وجه الآية، فقال قتادة : تحليل الحلال وتحريم الحرام. وقال الحكم : تحريم الأمهات والبنات والأخوات. وقال مجاهد : لم يبعث الله نبيا إلا أوصاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة، فذلك دينه الذي شرع لهم. وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك. وقيل: هو ما ذكر من بعد وهو قوله: { أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } ، بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة، { كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } ، من التوحيد ورفض الأوثان ثم قال: { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ } ، يصطفي لدينه من عباده من يشاء، { وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } ، يُقبِل إلى طاعته.

[14] { وَمَا تَفَرَّقُوا } ، يعني أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يعني أهل الكتاب. { إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ } ، بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك، { بَغْيًا بَيْنَهُمْ } ، أي للبغي، قال عطاء : يعني بغيا بينهم على محمد -صلى الله عليه وسلم- { وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ } ، في تأخير العذاب عنهم، { إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } ، وهو القيامة، { لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ } ، بين من آمن وكفر، يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا، { وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ } يعني اليهود والنصارى، { مِنْ بَعْدِهِمْ } ، أي من بعد أنبيائهم، وقيل: من بعد الأمم الخالية. وقال قتادة : معناه من قبلهم أي من قبل مشركي مكة. { لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ } ، أي من محمد -صلى الله عليه وسلم.

[15] { فَلِذَلِكَ فَادْعُ } ، أي فإلى ذلك كما يقال دعوت [إلى] فلان ولفلان، وذلك إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد، { وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } ، أي اثبت على الدين الذي أمرت به، { وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ } أي آمنت بكتب الله كلها، { وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ } ، أن أعدل بينكم، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام. وقيل: لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء، { اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ } ، يعني إلهنا واحد وإن اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله، { لَا حُجَّةَ } ، لا خصومة، { بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ } ، نسختها آية القتال، فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة، { اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا } ، في المعاد لفصل القضاء، { وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } .

[16] { وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ } ، يخاصمون في دين الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- وقال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم، فنحن خير منكم، فهذه خصومتهم. { مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ } ، أي استجاب له الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته، { حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ } ، خصومتهم باطلة، { عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ } ، في الآخرة.
[17] { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } ، قال قتادة ومجاهد ومقاتل : العدل، سمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: أمر الله تعالى بالوفاء، ونهى عن البخس. { وَمَا

يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ } ، ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازه: الوقت قريب. وقالي الكسائي : إتيانها قريب.
قال مقاتل : ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين، فقالوا تكذيبا: متى تكون الساعة؟

[18] فأنزل الله هذه الآية: { يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا } ، ظنا منهم أنها غير آتية، { وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ } ، أي خائفون، { مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ } ، أنها آتية لا ريب فيها، { أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ } يخاصمون وقيل يدخلهم المرية والشك، { فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ } .
[19] { اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ } ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: حفي بهم. قال عكرمة : بار بهم. قال السدي . رفيق. قال مقاتل : لطيف بالبَرِّ والفاجر حيث لا يهلكهم جوعا بمعاصيهم، يدل عليه قوله: { يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ } ، وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه. قال جعفر بن محمد الصادق . اللطف في الرزق من وجهين: أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني: أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة. { وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ } .

[20] { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ } ، الحرث في اللغة: الكسب، يعني من كان يريد بعمله الآخرة، { نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ } ، بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة، { وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا } ، يريد بعمله الدنيا، { نُؤْتِهِ مِنْهَا } ، قال قتادة : أي نؤته بقدر ما قسم الله له، كما قال: { عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ } . { وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } : لأنه لم يعمل للآخرة.
[21] قوله تعالى: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } ، يعني كفار مكة، يقول ألهم آلهة سنوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: شرعوا لهم دينا غير دين الإسلام، { وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ } ، لولا أن الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، حيث قال: { بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ }{ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ } ، لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا، { وَإِنَّ الظَّالِمِينَ } ، المشركين، { لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، في الآخرة.

[22] { تَرَى الظَّالِمِينَ } ، المشركين يوم القيامة، { مُشْفِقِينَ } ، وجلين، { مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ } ، جزاء كسبهم وقع بهم، { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } .

[23] { ذَلِكَ الَّذِي } ، ذكرت من نعيم الجنة، { يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، فإنهم أهله، { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي. وقال عكرمة : لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا إلا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم، وليس كما يقول الكذابون. وقال الحسن : هو القربى إلى الله، يقول: إلا التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح. وقال بعضهم: معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم. وقوله: { إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } ، ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجرا على مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطع، ومعناه: ولكني أذكركم

المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم { وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا } ، أي من يكتسب طاعة نزد له فيها حسنًا بالتضعيف، { إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ } ، للذنوب، { شَكُورٌ } ، للقليل حتى يضاعفها.

[24] { أَمْ يَقُولُونَ } ، بل يقولون يعني كفار مكة، { افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ } ، قال مجاهد : نربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقولهم إنه مفتر، قال قتادة : يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية، ثم ابتدأ فقال: { وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ } ، قال الكسائي : فيه تقديم وتأخير مجازه: والله يمحو الباطل. فهو في محل رفع ولكنه حذفت منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله: { وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ } و { سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ } أخبر أن ما يقولونه باطل يمحوه الله، { وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ } ، أي الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام، { إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } .

[25] { وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ } ، قال ابن عباس : يريد أولياءه وأهل طاعته، قيل: التوبة ترك المعاصي نية وفعلا، والإقبال على الطاعة نية وفعلا، قال سهل بن عبد الله : التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. { وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ } ، إذا تابوا فلا يؤاخذهم بها { وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ } ، قرأ حمزة والكسائي وحفص { تَفْعَلُونَ } بالتاء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن قوم، فقال: قبله يقبل التوبة عن عباده، وبعده: ويزيدهم من فضله.
[26] { وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا } ، أي ويجيب الذين آمنوا، { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، إذا دعوه، وقال عطاء عن ابن عباس : ويثيب الذين آمنوا. { وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ } ، سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه. وقال أبو صالح عنه: يشفعهم في إخوانهم، ويزيدهم من فضله قال في إخوان إخوانهم. { وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ } .

[27] { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ } ، قال خباب بن الأرت : فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فأنزل الله -عزّ وجلّ- هذه الآية { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ } ، وسع الله الرزق { لِعِبَادِهِ } ، { لَبَغَوْا } ، لطغوا وعتوا، { فِي الْأَرْضِ } ، قال ابن عباس : بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس، { وَلَكِنْ يُنَزِّلُ } ، أرزاقهم، { بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ } ، كما يشاء نظرا منه لعباده ولحكمة اقتضتها قدرته، { إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ } .
[28] قوله -عزّ وجلّ-: { وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ } ، المطر، { مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا } ، يعني من بعد ما يئس الناس منه وذلك أدعى لهم إلى الشكر، قال مقاتل : حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نعمته، { وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ } ، يبسط مطره، كما قال: { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ } . { وَهُوَ الْوَلِيُّ } ، لأهل طاعته، { الْحَمِيدُ } ، عند خلقه.

[29] { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ } ، يعني يوم القيامة.

[30] { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } ، قرأ أهل المدينة والشام (بما كسبت) بغير فاء وكذلك هو في مصاحفهم، فمن حذف الفاء جعل (ما) في أول الآية بمعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم. { وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } ، قال الحسن : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر » . (1) ".
[31] { وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } ، بفائتين، { فِي الْأَرْضِ } ، هربا يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم ولا تسبقونني، { وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } .

_____
(1) ضعيف: أخرجه هناد في الزهد (رقم 431) ، وعزاه في الدر (6 / 9) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر، وأخرج ابن جرير (25 / 21) والبيهقي في الشعب وعبد بن حميد نحوه عن قتادة مرسلا، وأخرج نحوه ابن عساكر وابن مردويه عن البراء، وفي الصحيحين عن عائشة بمعناه وقد صححه الألباني في الجامع الصغير بلفظ: «ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب وما يدفع الله عنه أكثر

[32] قوله -عزّ وجلّ-: { وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي } ، يعني السفن، واحدتها جارية وهي السائرة، { فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ } ، أي الجبال، قال مجاهد : القصور ، أحدها علم، وقال الخليل بن أحمد : كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم.
[33] { إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ } ، التي تجريها، { فَيَظْلَلْنَ } ، يعني الجواري، { رَوَاكِدَ } ثوابت { عَلَى ظَهْرِهِ } ، على ظهر البحر لا تجري، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } ، أي لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء.
[34] { أَوْ يُوبِقْهُنَّ } ، يهلكهن ويغرقهن، { بِمَا كَسَبُوا } ، أي بما كسبت ركبانها من الذنوب، { وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ } ، من ذنوبهم فلا يعاقب عليها.

[35] { وَيَعْلَمَ } ، قرأ أهل المدينة والشام: (يعلم) برفع الميم على الاستئناف كقوله -عزّ وجلّ- في سورة براءة: { وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ } ، وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم إذا صرف عنه معطوفه نصب، وهو كقوله تعالى: { وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } ، صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافا وكراهية لتوالي الجزم. { الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ } ، أي يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله.
[36] { فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ } ، من رياش الدنيا، { فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ، ليس من زاد المعاد، { وَمَا عِنْدَ اللَّهِ } ، من الثواب، { خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } ، فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهم يتمتعان بها فإذا صار إلى الآخرة كان ما عند الله خيرا للمؤمن.

[37] { وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ } قد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء [آية: 31] { وَالْفَوَاحِشَ } ، قال السدي : يعني الزنا. وقال مجاهد ومقاتل : ما يوجب الحد. { وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ } ، يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون.
[38] { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ } ، أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته،

{ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } ، يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } .
[39] { وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ } ، الظلم والعدوان، { هُمْ يَنْتَصِرُونَ } ، ينتقمون من ظالميهم من غير أن يعتدوا. قال ابن زيد : جعل الله المؤمنين صنفين: صنف يعفون عن ظالميهم فبدأ بذكرهم، وهو قوله: { وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ } ، وصنف ينتصرون من ظالميهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية. قال إبراهيم : في هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا. قال عطاء : هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم مكنهم الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم، ثم ذكر الله الانتصار فقال:

[40] { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } ، سمي الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة. قال مقاتل : يعني القصاصات في الجراحات والدماء. قال مجاهد والسدي : هو جواب القبيح إذا قال له أحد أخزاك الله يقول أخزاك الله، وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدي. وقال هشام بن حجيرة : الجارح إذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فتشتمه. ثم ذكر العفو فقال: { فَمَنْ عَفَا } ، [عمن] ظلمه، { وَأَصْلَحَ } ، بالعفو بينه وبين ظالمه، { فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } ، قال الحسن : إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا، ثم قرأ هذه الآية. { إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } ، قال ابن عباس : الذين يبدءون بالظلم.
[41] { وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ } أي بعد ظلم الظالم إياه، { فَأُولَئِكَ } ، يعني المنتصرين، { مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ } بعقوبة ومؤاخذة.
[42] { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ } ، يبدءون بالظلم، { وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } ، يعملون فيها بالمعاصي، { أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } .

[43] { وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ } ، فلم ينتصر، { إِنَّ ذَلِكَ } ، الصبر والتجاوز، { لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } ، حقها وجزمها. قال مقاتل : من الأمور التي أمر الله بها. قال الزجاج : الصابر يؤتى بصبره الثواب، فالرغبة في الثواب أتم عزما.
[44] { وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ } ، فماله من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذاب الله، { وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ } ، يوم القيامة، { يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ } ، يسألون الرجعة في الدنيا.

[45] { وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا } ، أي على النار، { خَاشِعِينَ } ، خاضعين متواضعين، { مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ } ، خفي النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلةً في أنفسهم. وقيل: (من) بمعنى الباء أي بطرف خفي ضعيف مع الذل. وقيل: إنما قال: { مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ } لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها. وقيل: معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي. { وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ، قيل: خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار وأهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة. { أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ } .
[46] { وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ } ، طريق إلى الصواب وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قد استدت عليهم طرق الخير.

[47] { اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ } ، أجيبوا داعي الله يعني محمدا -صلى الله عليه وسلم- { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ } ، لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة { مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ } تلجئون إليه { يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ } من منكر يغير ما بكم.
[48] { فَإِنْ أَعْرَضُوا } ، عن الإجابة، { فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ } ، ما عليك، { إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً } ، قال ابن عباس : يعني الغنى والصحة. { فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ } ، قحط، { بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ } ، أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد بأول شدة جميع ما سلف من النعم.

[49] { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، له التصرف فيهما بما يريد، { يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا } ، فلا يكون له ولد ذكر، قيل: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث، { وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ } ، فلا يكون له أنثى.
[50] { أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا } ، يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث، { وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا } ، فلا يلد ولا يولد له. قيل: هذا في الأنبياء عليهم السلام { يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا } يعني لوطا لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان، { وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ } يعني إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى، { أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا } يعني محمدا -صلى الله عليه وسلم- ولد له بنون وبنات، { وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا } يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما، وهذا على وجه التمثيل، والآية عامة في حق كافة الناس، { إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } .

[51] قوله -عزّ وجلّ-: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا } ، وذلك أن اليهود قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى الله -عزّ وجلّ- فأنزل الله تعالى: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا } يوحي إليه في المنام أو بالإلهام، { أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } ، يسمعه كلامه ولا يراه كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام، { أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا } ، إما جبريل أو غيره من الملائكة { فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ } ، أي يوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء، قرأ نافع : (أو يرسل) برفع اللام على الابتداء، (فيوحي) ساكنة الياء، وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفا على محل الوحي لأن معناه: وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه أو يرسل رسولا { إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } .

[52] { وَكَذَلِكَ } ، أي كما أوحينا إلى سائر رسلنا، { أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا } ، قال ابن عباس : نبوة. وقال الحسن : رحمة. وقال السدي ومقاتل : وحيا. وقال الكلبي : كتابا. وقال الربيع : جبريل. وقال مالك بن دينار : يعني القرآن. { مَا كُنْتَ تَدْرِي } ، قبل الوحي، { مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ } ، يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال محمد بن إسحاق بن خزيمة : الإيمان في هذا الموضع الصلاة، ودليله قوله -عزّ وجلّ-: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم ، ولم يتبين له شرائع دينه { وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا } ، قال ابن عباس : يعني الإيمان. وقال السدي : يعني القرآن. { نَهْدِي بِهِ } نرشد به، { مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي } ، أي لتدعو، { إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ، يعني الإسلام.

[53] { صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } ، أي أمور الخلائق كلها في الآخرة.

(43) سورة الزُخْرُف
[1، 2] { حم }{ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ } ، أقسم بالكتاب الذي أبان طرق الهدي من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة.
[3] { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } ، قوله جعلناه أي: صيرنا هذا الكتاب عربيا. وقيل: بيناه. وقيل: سميناه. وقيل: وصفناه، يقال جعل فلان زيدا أعلم الناس، أي وصفه بهذا كقوله تعالى: { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا } وقوله: { جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ } ، وقال { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ } ، كلها بمعنى الوصف والتسمية.

[4] { وَإِنَّهُ } ، يعني القرآن ، { فِي أُمِّ الْكِتَابِ } ، في اللوح المحفوظ ، قال قتادة : أم الكتاب أصل الكتاب ، وأم كل شيء أصله. قال ابن عباس : أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده، ثم قرأ { وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ } ، { لَدَيْنَا } ، فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال: { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ }{ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } . { لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ } ، قال قتادة : يخبر عن منزلته وشرفه، أي إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا لعلي رفيع شريف محكم من الباطل.

[5] { أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا } ، يقال: ضربت عنه وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه، والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا أعرضت عنه، وذلك بأن توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن، ومعناه: أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان ؟ استفهام بمعنى الإنكار، أي لا نفعل ذلك، وهذا قول قتادة وجماعة، قال قتادة : والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله . وقيل: معناه أفنضرب عنكم بذكرنا إياكم صافحين معرضين . قال الكسائي والسدي : أفنطوي عنكم الذكر طيا فلا تدعون ولا توعظون. وقال الكلبي : أفنترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم . وقال مجاهد والسدي : أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم. { أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ } ، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى إذ كنتم كقوله: { وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ، وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لأن كنتم مسرفين مشركين.

[6، 7] { وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ }{ وَمَا يَأْتِيهِمْ } ، أي وما كان يأتيهم، { مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } ، كاستهزاء قومك بك، يُعزِّي نبيه - صلى الله عليه وسلم - .
[8] { فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا } ، أي أقوى من قومك يعني الأولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل ، { وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ } ، أي صفتهم وسنتهم وعقوبتهم ، فعاقبة هؤلاء كذلك في الإهلاك.
[9] { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ } ، أي سألت قومك، { مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } ، وأقروا بأن الله خالقها، وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم، إلى هاهنا تم الإخبار

عنهم، ثم ابتدأ دالا على نفسه بصنعه فقال:
[10] { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } ، إلى مقاصدكم في أسفاركم.

[11] { وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ } ، أي بقدر حاجتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم. { فَأَنْشَرْنَا } ، أحيينا، { بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ } ، أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك، { تُخْرَجُونَ } ، من قبوركم أحياء.
[12] { وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا } ، أي الأصناف كلها. { وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ } ، في البر والبحر.
[13] { لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ } ، ذكر الكناية لأنه ردها إلى (ما) ، { ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ } ، بتسخير المراكب في البر والبحر، { وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا } ، ذلل لنا هذا، { وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ } ، مطيقين، وقيل: ضابطين.
[14] { وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } ، لمنصرفون في المعاد.

[15] قوله تعالى: { وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا } ، أي نصيبا وبعضا وهو قولهم: الملائكة بنات الله، ومعنى الجعل هاهنا الحكم بالشيء والقول كما تقول: جعلت زيدا أفضل الناس، أي وصفته وحكمت به { إِنَّ الْإِنْسَانَ } ، يعني الكافر، { لَكَفُورٌ } ، جحود لنعم الله، { مُبِينٌ } ، ظاهر الكفران.
[16] { أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ } ، هذا استفهام توبيخ وإنكار، يقول: اتخذ ربكم لنفسه البنات، { وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ } ، كقوله: { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا } .
[17] { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا } ، بما جعل الله شبها وذلك أن ولد كل شيء يشبهه، يعني إذا بشر أحدهم بالبنات كما ذكر في سورة النحل: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى }{ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ } ، من الغيظ والحزن.

[18] { أَوَمَنْ يُنَشَّأُ } ، قرأ حمزة والكسائي ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أي يربى، وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي ينبت ويكبر، { فِي الْحِلْيَةِ } ، في الزينة يعني النساء، { وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ } ، في المخاصمة غير مبين للحجة من ضعفهن وسفههن، قال قتادة : في هذه الآية قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها، (أومن) ، في محل من ثلاثة أوجه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإضمار، مجازه: أومن ينشأ في الحلية يجعلونه بنات الله، والخفض ردا على قوله: (مما يخلق) ، وقوله: (بِمَا ضَرَبَ) .

[19] { وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا } ، قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو { عِبَادُ الرَّحْمَنِ } بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى: { بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ } ، وقرأ الآخرون: (عند الرحمن) بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه كقوله -عزّ وجلّ-: { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ } الآية، { أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ } قرأ أهل المدينة على ما لم يسم فاعله، ولينوا الهمزة الثانية بعد الاستفهام، أي أحضروا خلقهم، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي أحضروا خلقهم حين خلقوا، وهذا كقوله: { أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ } ، { سَتُكْتَبُ

شَهَادَتُهُمْ } ، على الملائكة أنهم بنات الله، { وَيُسْأَلُونَ } ، عنها، قال الكلبي ومقاتل : لما قالوا هذا القول سألهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: « ما يدريكم أنهم بنات الله ؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا "، فقال الله تعالى: { سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ }» ، عنها في الآخرة.

[20] { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ } ، يعني الملائكة، قاله قتادة ومقاتل والكلبي ، وقال مجاهد : يعني الأوثان وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منها بعبادتها. قال الله تعالى: { مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ } ، فيما يقولون { إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } ما هم إلا كاذبون في قولهم: إن الله تعالى رضي منا عبادتها، وقيل: إن هم إلا يخرصون، في قولهم: إن الملائكة إناث وإنهم بنات الله.
[21] { أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ } ، أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله، { فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ } .
[22] { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ } ، على دين وملة، قال مجاهد : على إمام. { وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ } ، جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم الأولين مهتدين.

[23] { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا } ، أغنياؤها ورؤساؤها، { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ } ، بهم.
[24] { قَالَ } ، قرأ ابن عامر وحفص : (قال) على الخبر، وقرأ آخرون (قل) على الأمر { أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ } ، قرأ أبو جعفر : (جئناكم) على الجمع، والآخرون (جئتكم) على الواحد، { بِأَهْدَى } ، بدين أصوب، { مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ } ، قال الزجاج : قال لهم: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه "؟ فأبوا أن يقبلوه، { قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } .
[25] { فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } 26،
[27] قوله -عزّ وجلّ-: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ } ، أي بريء، ولا يثنى البراء ولا يجمع ولا يؤنث لأنه مصدر وضع موضع النعت. { مِمَّا تَعْبُدُونَ }{ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } ، يرشدني لدينه.

[28] { وَجَعَلَهَا } ، يعني هذه الكلمة، { كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ } ، قال مجاهد وقتادة : يعني كلمة التوحيد، وهي لا إله إلا الله كلمة باقية في عقبه أي في ذريته. قال قتادة : لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده. وقال القرظي : يعني جعل وصية إبراهيم التي أوصى بها بنيه باقية في نسله وذريته، وهو قوله -عزّ وجلّ-: { وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ } ، وقال ابن زيد : يعني قوله: { أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ، وقرأ: { هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ } ، { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } ، لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه إلى دين إبراهيم . وقال السدي . لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله -عزّ وجلّ.
[29] { بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ } ، يعني المشركين في الدنيا ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، { حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ } ، يعني القرآن، وقال الضحاك : الإسلام. { وَرَسُولٌ مُبِينٌ } ، يبين لهم الأحكام وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوه، فلم يفعلوا، وعصوا. 30،

[31] وهو قوله: { وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ } ، يعني القرآن، { قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ }{ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } ، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، قاله قتادة ، وقال مجاهد : عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد يا ليل الثقفي من الطائف. وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي . ويروى هذا عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما.

[32] قال الله تعالى: { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ } ، يعني النبوة، قال مقاتل : يقول بأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا ؟ ثم قال: { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ، فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا ملكا وهذا مملوكا فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا، كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا، { وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ } ، بالغنى والمال، { لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا } ، ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله، وهذا بأعماله، فيلتئم قوام أمر العالم. وقال قتادة والضحاك : يملك بعضهم بمالهم بعضا بالعبودية والملك. { وَرَحْمَةُ رَبِّكَ } ، يعني الجنة، { خَيْرٌ } ، للمؤمنين، { مِمَّا يَجْمَعُونَ } ، مما يجمع الكفار من الأموال.

[33] { وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً } ، أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر، { لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ } ، مصاعد ودرجا من فضة، { عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ } ، يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته.

[34] { وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا } ، من فضة، { وَسُرُرًا } أي وجعلنا لهم سررا من فضة، { عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ } .
[35] { وَزُخْرُفًا } ، أي ولجعلنا مع ذلك لهم زخرفا وهو الذهب، نظيره: { أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ } ، { وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ، قرأ حمزة وعاصم " لما " بالتشديد على معنى: وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا، فكان: "لما" بمعنى إلا، وخففه الآخرون على معنى وكل ذلك متاع الحياة الدنيا، فيكون: (إن) للابتداء، و (ما) صلة، يريد أن هذا كله متاع الحياة الدنيا يزول ويذهب، { وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } ، خاصة يعني الجنة.

[36] قوله -عزّ وجلّ-: { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ } ، أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرج ثوابه، يقال: عشوت إلى النار أعشو عشوا، إذا قصدتها مهتديا بها، وعشوت عنها أعرضت عنها، كما يقول: عدلت إلى فلان وعدلت عنه وملت إليه وملت عنه. قال القرظي : يولي ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن. قال أبو عبيدة والأخفش : يظلم بصرف بصره عنه. قال الخليل بن أحمد : أصل العشو النظر ببصر ضعيف. وقرأ ابن عباس : (ومن يعش) بفتح الشين أي يعم، يقال عشي يعشي عشيا إذا عمي فهو أعشى، وامرأة عشواء. { نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا } ، قرأ يعقوب : (يقيض) بالياء، والباقون بالنون، نسبب له شيطانا ونضمه إليه ونسلطه عليه، { فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } ، لا يفارقه يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى.
[37] { وَإِنَّهُمْ } ، يعني الشياطين، { لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ } ، أي ليمنعونهم

عن الهدى { وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } ، ويحسب كفار بني آدم أنهم على هدى.

[38] { حَتَّى إِذَا جَاءَنَا } ، قرأ أهل العراق غير أبي بكر : (جاءنا) على الواحد يعنون الكافر، وقرأ الآخرون: جاءانا، على التثنية يعنون الكافر وقرينه قد جعلا في سلسلة واحدة. { قَالَ } ، الكافر لقرينه الشيطان، { يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ } ، أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعمر : العمران. وقيل: أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، والأول أصح، { فَبِئْسَ الْقَرِينُ } ، قال أبو سعيد الخدري : إذا بُعث الكافر زُوِّج بقرينه الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار.
[39] { وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ } ، في الآخرة، { إِذْ ظَلَمْتُمْ } ، أشركتم في الدنيا، { أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ } ، يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم العذاب، لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب. وقال مقاتل : لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر.

[40] { أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } ، يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون.
[41] { فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ } ، بأن نميتك قبل أن نعذبهم، { فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ } ، بالقتل بعدك.
[42] { أَوْ نُرِيَنَّكَ } ، في حياتك، { الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ } من العذاب، { فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ } ، قادرون متى شئنا عذبناهم، وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر، وهذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن وقتادة : عنى به أهل الإسلام من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وقد كان بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- نقمة شديدة في أمته، فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي يقر عينه، وأبقى النقمة بعده.
[43] { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } .

[44] { وَإِنَّهُ } ، يعني القرآن، { لَذِكْرٌ لَكَ } ، أي لشرف لك، { وَلِقَوْمِكَ } ، من قريش، نظيره: { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ } ، أي شرفكم، { وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } ، عن حقه وأداء شكره. قال مجاهد : القوم هم العرب، فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم، ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب، حتى يكون الأكثر لقريش ولبني هاشم. وقيل: ذلك شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به، وسوف تسألون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه.

[45] { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } ، اختلفوا في هؤلاء المسئولين، قال عطاء عن ابن عباس : « لما أسري بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذن جبريل ثم أقام، وقال يا محمد تقدم فصل بهم، فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سل يا محمد من أرسلنا قبلك من رسلنا، الآية، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " لا أسأل فقد اكتفيت » ، وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد ، قالوا: جمع الله له المرسلين ليلة أسري به وأمره أن

يسألهم فلم يشك ولم يسأل. وقال أكثر المفسرين: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد؟ يدل عليه قراءة عبد الله وأبي : (واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا) ، ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله -عزّ وجلّ.

[46، 47] { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ }{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ } استهزاء.

[48] { وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا } ، قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها، { وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ } ، بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس، فكانت هذه دلالات لموسى ، وعذابا لهم، فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها، { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } ، عن كفرهم.
[49] { وَقَالُوا } ، لموسى لما عاينوا العذاب، { يا أَيُّهَا السَّاحِرُ } ، يا أيها العالم الكامل الحاذق، إنما قالوا هذا توقيرا وتعظيما له لأن السحر عندهم كان علما عظيما وصفة ممدوحة، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره. وقال الزجاج : خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر. { ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ } ، أي بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا العذاب، { إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ } ، مؤمنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا.
[50] فذلك قوله -عزّ وجلّ-: { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ } ، ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[51] { وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ } ، أنهار النيل، { تَجْرِي مِنْ تَحْتِي } من تحت قصوري، وقال قتادة : تجري بين يدي في جناني وبساتيني. وقال الحسن : بأمري. { أَفَلَا تُبْصِرُونَ } ، عظمتي وشدة ملكي.
[52] { أَمْ أَنَا خَيْرٌ } ، بل أنا خير، (أم) بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء : الوقف على قوله (أم) وفيه إضمار مجازه أفلا تبصرون أم تبصرون، ثم ابتدأ فقال أنا خير، { مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ } ، ضعيف حقير يعني موسى ، قوله: { وَلَا يَكَادُ يُبِينُ } يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه.

[53] { فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ } ، إن كان صادقا، { أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ } ، قرأ حفص ويعقوب (أَسْوِرَةٌ) جمع سوار، وقرأ الآخرون (أساورة) على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع. قال مجاهد : كانوا إذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون: هلا ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيدًا تجب علينا طاعته. { أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ } ، متتابعين يتابع بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره.
[54] قال الله تعالى: { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ } ، أي استخف فرعون قومه القبط، أي وجدهم جهالا. وقيل حملهم على الخفة والجهل. يقال استخفه عن رأيه إذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب، { فَأَطَاعُوهُ } ، على تكذيب موسى ، { إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } 55،

[56] { فَلَمَّا آسَفُونَا } ، أغضبونا، { انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } { فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا } ، هم الماضون المتقدمون من الأمم، يقال: سلف يسلف إذا تقدم، والسلف من تقدم من الآباء فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون، { وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ } ، عبرة وعظة لمن بقي بعدهم. وقيل: سلفا لكفار هذه الأمة إلى النار ومثلا لمن يجيء بعدهم.

[57] { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا } ، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعري مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في شأن عيسى عليه السلام، لما نزل قوله تعالى: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } ، وقد ذكرناه في سورة الأنبياء عليهم السلام. { إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ } ، قرأ أهل المدينة والشام والكسائي (يصدون) بضم الصاد، أي يعرضون، وقرأ الآخرون بكسر الصاد، واختلفوا في معناه، قال الكسائي : هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون، وشد عليه يشد ويشد، ونم بالحديث ينم وينم، وقال ابن عباس : معناه يضجون. وقال سعيد بن المسيب : يصيحون. وقال الضحاك : يعجون. وقال قتادة : يجزعون. وقال القرظي : يضجرون. لما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد منا محمد إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت النصارى عيسى .

[58] { وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ } ، قال قتادة : أم هو يعنون محمدا فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا. وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى ، قالوا: يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار، وقال الله تعالى: { مَا ضَرَبُوهُ } ، يعني هذا المثل، { لَكَ إِلَّا جَدَلًا } ، خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله: { وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } ، هؤلاء الأصنام. { بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } .
[59] ثم ذكر عيسى فقال: { إِنْ هُوَ } ، ما هو يعني عيسى عليه السلام، { إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ } ، بالنبوة، { وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا } آية وعبرة، { لِبَنِي إِسْرَائِيلَ } ، يعرفون به قدرة الله -عزّ وجلّ- على ما يشاء حيث خلقه من غير أب.
[60] { وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً } ، أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة، { فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ } ، يكونون خلفاء منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني. وقيل: يخلف بعضهم بعضا.

[61] { وَإِنَّهُ } ، يعني عيسى عليه السلام { لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ } ، يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة : (إنه لَعَلَمٌ للساعة) بفتح اللام والعين أي أمارة وعلامة، وقال الحسن وجماعة: وإنه يعني وإن القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها، ويخبركم بأحوالها وأهوالها، { فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا } ، فلا تشكنّ فيها، قال ابن عباس : لا تكذبوا بها، { وَاتَّبِعُونِ } ، على التوحيد، { هَذَا } ، الذي أنا عليه، { صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } .
[62] { وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ } ، لا يصرفنكم، { الشَّيْطَانُ } ، عن دين الله، { إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } .
[63] { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ } ، بالنبوة، { وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ } ، من أحكام التوراة، قال قتادة : يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى . قال الزجاج : الذي جاء به عيسى في

الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبيّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ } .

[64 - 66] { إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ }{ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ }{ هَلْ يَنْظُرُونَ } ، هل ينتظرون، { إِلَّا السَّاعَةَ } ، يعني أنها تأتيهم لا محالة فكأنهم ينتظرونها، { أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً } ، فجأة، { وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } .
[67] { الْأَخِلَّاءُ } ، على المعصية في الدنيا، { يَوْمَئِذٍ } ، يوم القيامة، { بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } ، إلا المتحابين في الله -عزّ وجلّ- على طاعة الله -عزّ وجلّ. 68،
[69] { يا عِبَادِ } ، أي فيقال لهم يا عبادي، { لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ }{ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ } ، فييأس الناس منها غير المسلمين.
[70] فيقال لهم: { ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ } ، تسرون وتنعمون.

[71] { يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ } ، جمع صحفة وهي القصعة الواسعة، { مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ } ، جمع كوب وهو إناء مستدير مدور الرأس لا عرى لها، { وَفِيهَا } ، أي في الجنة، { مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } . 72، [73]{ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }{ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ }

[74 - 77] { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ } ، المشركين، { فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ }{ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ }{ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } { وَنَادَوْا يا مَالِكُ } ، يدعون خازن النار، { لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ } ، ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، { قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ } ، مقيمون في العذاب.
[78] { لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ } ، يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق، { وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ } .
[79] { أَمْ أَبْرَمُوا } ، أحكموا { أَمْرًا } ، في المكر برسول الله -صلى الله عليه وسلم- { فَإِنَّا مُبْرِمُونَ } ، محكمون أمرا في مجازاتهم، قال مجاهد : إن كادوا شرا كدتهم مثله. 80،

[81] { أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ } ، ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم، { بَلَى } ، نسمع ذلك ونعلم، { وَرُسُلُنَا } ، أيضا من الملائكة يعني الحفظة، { لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ }{ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } ، يعني إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم، فأنا أول من عبده بأنه واحد لا شريك له ولا ولد. قال ابن عباس : (إن كان) أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك، جعل (إن) بمعنى الجحد. قال السدي : معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من أعبده بذلك، ولكن لا ولد له. وقيل: العابدين بمعنى الآنفين، يعنى أول الجاحدين والمنكرين لما قلتم. ويقال: معناه أنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد، يقال: عبد يعبد - إذا أنف أو غضب - عبدا. وقال قوم: قلّ ما يُقال: عَبَدَ فهو عابد، إنما يقال: عَبَدَ فهو عَبْدٌ.

[82] ثم نزه نفسه فقال: { سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } عما يقولون من الكذب.

[83] { فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا } ، في باطلهم، { وَيَلْعَبُوا } ، في دنياهم، { حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ } ، يعني يوم القيامة.
[84] { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } ، قال قتادة : يُعْبَد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو { وَهُوَ الْحَكِيمُ } ، في تدبير خلقه، { الْعَلِيمُ } ، بمصالحهم.
[85] { وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } ، قرأ ابن كثير والنسائي (يرجعون) بالياء، والآخرون بالتاء.
[86] { وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ } ، وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عُبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون (من) في محل الرفع، وقيل: (من) في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، بعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلا لمن شهد الحق والأولى أصح، وأراد بشهادة الحق قوله لا إله إلا الله كلمة التوحيد، { وَهُمْ يَعْلَمُونَ } بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

[87] { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } ، يصرفون عن عبادته.
[88] { وَقِيلِهِ يا رَبِّ } ، يعني قول محمد -صلى الله عليه وسلم- شاكيا إلى ربه يا رب، { إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ } ، قرأ عاصم وحمزة (وَقِيلِهِ) بجر اللام والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب، وقرأ الآخرون بالنصب، وله وجهان: أحدهما معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يا رب، والثاني: وقال قيله.
[89] { فَاصْفَحْ عَنْهُمْ } أعرض عنهم، { وَقُلْ سَلَامٌ } ، معناه المتاركة، كقوله تعالى: { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ } ، { فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } ، قرأ أهل المدية والشام بالتاء، وقرأ الباقون بالياء، وقال مقاتل : نسختها آية السيف.

(44) سورة الدُخَان
[1 - 3] { حم }{ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ }{ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ } ، قال قتادة وابن زيد : هي ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا، ثم نزل جبريل على النبي -صلى الله عليه وسلم- نجوما في عشرين سنة. وقال آخرون هي ليلة النصف من شعبان { إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ } .
[4] { فِيهَا } ، أي في الليلة المباركة، { يُفْرَقُ } أي يفصل، { كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } ، محكم، وقال ابن عباس : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان، قال الحسن ومجاهد وقتادة : يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة، وقال عكرمة . هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد.

[5] { أَمْرًا } ، أي أنزلنا أمرا، { مِنْ عِنْدِنَا } قال الفراء : نصب على معنى فيها يفرق كل أمر حكيم فرقا وأمرا، أي نأمر أمرا ببيان ذلك. { إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ } ، محمدا -صلى الله عليه وسلم- ومن قبله من الأنبياء.

[6، 7] { رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ } ، قال ابن عباس رأفة مني بخلقي ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل. وقال الزجاج : أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }{ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا } ، قرأ أهل الكوفة: (رب) جرا ردا على قوله: (من ربك) ، ورفعه الآخرون ردا على قوله: (هو السميع العليم) ، وقيل: على الابتداء، { إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ } ، أن الله رب السماوات والأرض.
[8، 9] { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ }{ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ } ، من هذا القرآن، { يَلْعَبُونَ } يهزءون به لاهون عنه. 10،

[11] { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ }{ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، تقديره: هو عذاب إلهي ويجوز: أن يكون حكاية لكلامهم بما بعده، أي يقولون هذا عذاب أليم. 12،
[13] { رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ }{ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى } ، من أين لهم التذكر والاتعاظ؟ يقول: كيف يتذكرون ويتعظون؟ { وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ } ، ظاهر الصدق يعني محمدا -صلى الله عليه وسلم.
[14] { ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ } ، أعرضوا عنه، { وَقَالُوا مُعَلَّمٌ } ، أي يعلمه بشر، { مَجْنُونٌ } .
[15] قال الله تعالى: { إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ } أي عذاب الجوع { قَلِيلًا } ، أي زمانا يسيرا، قال مقاتل : إلى يوم بدر. { إِنَّكُمْ عَائِدُونَ } ، إلى كفركم.
[16] { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى } ، وهو يوم بدر، { إِنَّا مُنْتَقِمُونَ } ، وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء وقال الحسن : يوم القيامة، وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس .

[17] { وَلَقَدْ فَتَنَّا } ، بلونا، { قَبْلَهُمْ } ، قبل هؤلاء، { قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ } ، على الله وهو موسى بن عمران .
[18] { أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ } ، يعني بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم، { إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ } ، على الوحي.

[19] { وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ } ، أي لا تتجبروا عليه بترك طاعته { إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } ، ببرهان بين على صدق قولي، فلما قال ذلك توعدوه بالقتل.
[20] فقال { وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ } ، أن تقتلون، وقال ابن عباس : تشتمون وتقولوا هو ساحر. وقال قتادة : ترجموني بالحجارة.
[21] { وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ } ، فاتركوني لا معي ولا علي. وقال ابن عباس : فاعتزلوا أذاي باليد واللسان، فلم يؤمنوا.
[22] { فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ } ، مشركون فأجابه الله وأمره أن يسري.
[23] فقال: { فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا } ، أي ببني إسرائيل، { إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ } ، يتبعكم فرعون وقومه.

[24] { وَاتْرُكِ الْبَحْرَ } ، إذا قطعته أنت وأصحابك، { رَهْوًا } ، ساكنا على حالته وهيئته، بعد أن ضربته ودخلته، معناه لا تأمره أن يرجع اتركه حتى يدخله آل فرعون، وأصل الرهو: السكون. وقال مقاتل : معناه اترك البحر راهيا أي ساكنا، فسمي بالمصدر، أي ذا رهو. وقال كعب : اتركه طريقا. قال قتادة : طريقا يا بسا. قال قتادة : لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه

ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده، فقيل له: اترك البحر رهوا كما هو، { إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ } ، أخبر موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه كما جاوزه، ثم ذكر ما تركوا بمصر. 25،
[26] فقال: { كَمْ تَرَكُوا } ، يعني بعد الغرق، { مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }{ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ } ، مجلس شريف، قال قتادة : الكريم الحسن .
[27] { وَنَعْمَةٍ } ، ومتعة وعيش لين، { كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ } ، ناعمين وفاكهين أشرين بطرين.
[28] { كَذَلِكَ } ، قال الكلبي : كذلك أفعل بمن عصاني، { وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ } ، يعني بني إسرائيل.

[29] { فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ } ، وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحا، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه. { وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ } ، لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها.
[30] { وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ } ، قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل. 31،
[32] { مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ }{ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ } يعني مؤمني بني إسرائيل، { عَلَى عِلْمٍ } بهم { عَلَى الْعَالَمِينَ } ، على عالمي زمانهم.
[33] { وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ } قال قتادة : نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى، والنعم التي أنعمها عليهم. قال ابن زيد : ابتلاهم بالرخاء والشدة، وقرأ (ويبلوكم بالشر والخير فتنة) . 34،

[35] { إِنَّ هَؤُلَاءِ } ، يعني مشركي مكة { لَيَقُولُونَ }{ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى } ، أي لا موتة إلا هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها. وهو قوله. { وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ } ، بمبعوثين بعد موتتنا. 36،
[37] { فَأْتُوا بِآبَائِنَا } ، الذين ماتوا، { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ، أنّا نبعث أحياء بعد الموت، ثم خوفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال: { أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ } أي ليسوا خيرا منهم، يعني أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع. قال قتادة : هو تبع الحميري، وكان سار بالجيوش حتى حيّر الحيرة، وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن، سُمّي تُبَّعا لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى تبعا لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا الملك يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حِمْيَر، فكذبوه { وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } ، من الأمم الكافرة { أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ } . 38،

[39] { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ }{ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } ، قيل: يعني للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. { وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } .

[40] { إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ } ، يوم يفصل الرحمن بين العباد { مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ } ، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرون.
[41] { يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا } ، لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا، { وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ } ، لا يمنعون من عذاب الله.
[42] { إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ } ، يريد المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض، { إِنَّهُ هُوَ

الْعَزِيزُ } ، في انتقامه من أعدائه، { الرَّحِيمُ } ، بالمؤمنين. 43، [44] { إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ }{ طَعَامُ الْأَثِيمِ } ذي الإثم، وهو أبو جهل . 45، [46] { كَالْمُهْلِ } ، وهو دردي الزيت الأسود، { يَغْلِي فِي الْبُطُونِ } ، قرأ ابن كثير وحفص (يغلي) بالياء، جعلا الفعل للمهل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة، { فِي الْبُطُونِ } أي بطون الكفار { كَغَلْيِ الْحَمِيمِ } ، كالماء الحار إذا اشتد غليانه.

[47] قوله تعالى: { خُذُوهُ } ، أي يقال للزبانية خذوه يعني الأثيم، { فَاعْتِلُوهُ } ، قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وأبو عمرو بكسر التاء، وقرأ الباقون بضمها، وهما لغتان، أي ادفعوه وسوقوه، يقال: عتله يعتله عتلا إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب، { إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ } ، وسطه.
[48] { ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ } ، قال مقاتل : إن خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى حره.
[49] ثم يقال له: { ذُقْ } ، هذا العذاب، { إِنَّكَ } ، قرأ الكسائي (أنك) بفتح الألف، أي لأنك كنت تقول أنا العزيز الكريم، وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء، { أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } ، عند قومك بزعمك، وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فتقول له هذا اللفظ خزنة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ.
[50] { إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ } ، تشكُّون فيه ولا وتؤمنون به. ثم ذكر مستقر المتقين، فقال:

[51] { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ } ، قرأ أهل المدينة والشام: (في مقام) بضم الميم على المصدر، أي في إقامة، وقرأ الآخرون بفتح الميم، أي في مجلس أمين، أمنوا فيه من الغير، أي من الموت ومن الخروج منه.
[52 - 54] { فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }{ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ }{ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ } ، أي كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم { بِحُورٍ عِينٍ } أي قرناهم بهن ليس من عقد التزويج لأنه لا يقال: زوجته بامرأة، قال أبو عبيدة : جعلناهم أزواجا لهم كأنما يزوج النعل بالنعل، أي جعلناهم اثنين اثنين، والحور هن النساء النقيات البياض. قال مجاهد : يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن. وقال أبو عبيدة : الحور هن شديدات بياض الأعين الشديدات سوادها واحدها أحور، والمرأة حوراء، والعين جمع العيناء وهي عظيمة العينين.
[55] { يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ } ، اشتهوها، { آمِنِينَ } ، من نفادها ومن مضرتها. وقال قتادة : آمنين من الموت والأوصاب والشياطين.

[56] { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى } ، أي سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وقيل: إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا من موت في الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف إلى أسباب الجنة، يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة، فكان موتهم في الدنيا كأنهم في الجنة لاتصالهم بأسبابها، ومشاهدتهم إياها. { وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } .
[57] { فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ } ، أي فعل ذلك بهم فضلا منه، { ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } .
[58] { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ } ، سهلنا القرآن كناية عن غير مذكور، { بِلِسَانِكَ } ،

على لسانك، { لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } ، يتعظون.
[59] { فَارْتَقِبْ } ، فانتظر النصر من ربك. وقيل: فانتظر لهم العذاب، { إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ } ، منتظرون قهرك بزعمهم.

(45) سورة الجَاثِيَة
[1 - 4] { حم }{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }{ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ }{ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ } ، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب (آيات) (وتصريف الرياح آيات) بكسر التاء فيهما ردا على قوله: (لآيات) وهو في موضع النصب، وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف على أن العرب تقول إن لي عليك مالا وعلى أخيك مال، ينصبون الثاني ويرفعونه، { لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } ، أنه لا إله غيره.
[5] { وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ } ، يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد، { فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }

[6] { تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ } ، يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصها عليك بالحق، { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ } ، بعد كتاب الله، { وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } ، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب : (تؤمنون) بالتاء على معنى قل لهم يا محمد فبأي حديث تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء.
[7] { وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ } ، كذاب صاحب إثم يعني النضر بن الحارث.
[8، 9] { يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا }{ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا }{ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }{ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا } ، قال مقاتل : من القرآن { شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } ، وذكر بلفظ الجمع ردا إلى كل في قوله: { لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ } .

[10] { مِنْ وَرَائِهِمْ } ، أمامهم، { جَهَنَّمُ } ، يعني أنهم في الدنيا ممتعون بأموالهم ولهم في الآخرة النار يدخلونها، { وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا } ، من الأموال، { شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ } ، ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة، { وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } .
[11] { هَذَا } ، يعني هذا القرآن، { هُدًى } ، بيان من الضلالة، { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ } . 12،
[13] { اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }{ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } ، ومعنى تسخيرها أنه خلقها لمنافعنا، فهو مسخر لنا من حيث إنا ننتفع به، { جَمِيعًا مِنْهُ } ، فلا تجعلوا لله أندادا، قال ابن عباس : جميعا منه كل ذلك رحمة منه. قال الزجاج : كل ذلك تفضل منه وإحسان. { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }

[14] { قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ } ، أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته، قال ابن عباس ومقاتل : نزلت في عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وذلك أن رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهمَّ عمر رضي الله تعالى عنه أن يبطش به، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يعفو عنه. وقال القرظي والسدي : نزل في أناس من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال. { لِيَجْزِيَ قَوْمًا } ، قرأ

ابن عامر وحمزة والكسائي (لنجزي) بالنون، قرأ الآخرون بالياء، أي ليجزي الله، وقرأ أبو جعفر (ليُجزى) بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو : وهو لحن. قال الكسائي : معناه ليجزي الجزاء قوما، { بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } . 15،

[16] { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } { وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ } التوراة، { وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ } ، الحلالات يعني المن والسلوى، { وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } أي عالمي زمانهم، قال ابن عباس : لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم.
[17] { وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ } ، يعني العلم بمبعث محمد -صلى الله عليه وسلم- وما بين لهم من أمره، { فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } .
[18] { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ } ، يا محمد { عَلَى شَرِيعَةٍ } ، سنة وطريقة بعد موسى، { مِنَ الْأَمْرِ } من الدين، { فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } ، يعني مراد الكافرين، وذلك أنهم كانوا يقولون له ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك.

[19] فقال جل ذكره: { إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } ، لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا إن اتبعت أهواءهم، { وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } .
[20] { هَذَا } ، يعني القرآن، { بَصَائِرُ } ، معالم، { لِلنَّاسِ } ، في الحدود والأحكام يبصرون بها، { وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } .

[21] { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ } بل حسب، { اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ } ، اكتسبوا المعاصي والكفر { أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا، { سَوَاءً مَحْيَاهُمْ } قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب (سواء) بالنصب أي نجعلهم سواء، يعني أحسبوا أن حياة الكافرين { وَمَمَاتُهُمْ } كحياة المؤمنين وموتهم سواء كلا، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعا، معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته أي في الدنيا والآخرة والكافر كافر محياه ومماته في الدنيا والآخرة، { سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } ، بئس ما يقضون.
[22] { وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } .

[23] { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ } ، قال ابن عباس والحسن وقتادة : معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئا إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله. وقال الآخرون: معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه. قال سعيد بن جبير : كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئا أحسن من الأول رموه وكسروه، وعبدوا الآخر. قال الشعبي : إنما سُمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه في النار، { وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ } ، منه بعاقبة أمره وقيل على ما سبق في عمله أنه ضال قبل أن يخلقه،

{ وَخَتَمَ } ، طبع، { عَلَى سَمْعِهِ } فلم يسمع الهدى، { وَقَلْبِهِ } ، فلم يعقل الهدى، { وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً } ، قرأ حمزة والكسائي غشاوة بفتح الغين وسكون الشين، والباقون غشاوة ظلمة فهو لا يبصر الهدى، { فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ } ، أي فمن يهديه بعد أن أضله الله، { أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } .

[24] { وَقَالُوا } ، يعني منكري البعث، { مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا } ، أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا، { نَمُوتُ وَنَحْيَا } ، أي يموت الآباء ويحيا الأبناء، وقال الزجاج : يعني نموت ونحيا، فالواو للاجتماع، { وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } ، أي وما يفنينا إلا مرُّ الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار. { وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ } ، أي الذي قالوه، { مِنْ عِلْمٍ } ، أي لم يقولوه عن علم، { إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } .
[25 - 27] { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }{ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } ، أي ليوم القيامة، { لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }{ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ } ، يعني الكافرين هم أصحاب الأباطيل، يظهر في ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

[28] { وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً } ، باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله، قال سلمان الفارسي : إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إبراهيم عليه السلام ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي. { كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا } ، الذي فيه أعمالها، ويقال لهم، { الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } .
[29] { هَذَا كِتَابُنَا } ، يعني ديوان الحفظة. { يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ } ، يشهد عليكم ببيان شاف، فكأنه ينطق. وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ. { إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } ، أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، أي بكتبها وإثباتها عليكم. وقيل تستنسخ أي تأخذ نسخه، وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب، وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون أعمال من بني آدم، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فينسخ كتاب من كتاب. وقال الضحاك : تستنسخ أي يثبت. وقال السدي . تكتب. وقال الحسن : تحفظ.

[30] { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ } ، الظفر الظاهر.
[31] { وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا } ، يقال لهم، { أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ } ، متكبرين كافرين.
[32] { وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا } ، قرأ حمزة : (والساعة) نصب عطفها على الوعد وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء، { قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا } ، أي ما نعلم ذلك إلا حدسا وتوهما. { وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ } ، أنها كائنة.
[33] { وَبَدَا لَهُمْ } في الآخرة، { سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا } ، في الدنيا أي جزاؤها { وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } . 34،

[35] { وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ } ، نترككم في النار { كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } ، تركتم الإيمان، والعمل للقاء هذا اليوم، { وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ }{ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } ، حتى قلتم: لا بعث ولا حساب، { فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا } ، قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، { وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ } ، لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله، لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذرا ولا توبة. 36،
[37] { فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }{ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ } العظمة، { فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } .

(46) سورة الأحقاف
[1 - 3] { حم }{ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }{ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى } ، يعني يوم القيامة وهو الأجل الذي تنتهي إليه السماوات والأرض، وهو إشارة إلى فنائهما، { وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا } ، خوفوا به في القرآن من البعث الحساب، { مُعْرِضُونَ } .
[4] { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا } ، أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون، { أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ } ، قال الكلبي : أي بقية من علم يؤثر على الأولين، أي يسند إليهم. قال مجاهد وعكرمة ومقاتل : رواية عن الأنبياء. وقال قتادة : خاصة من علم. وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثرا وأثارة، ومنه قيل للخبر. أثر. { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } .

[5] { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ } ، يعني الأصنام لا تجيب عابديها إلى شيء يسألونها، { إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } ، يعني أبدا ما دامت الدنيا؟ { وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ } ، لأنها جماد لا تسمع ولا تفهم.

[6] { وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } ، جاحدين بيانه قوله: { تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ } .
[7] { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ } ، يسمون القرآن سحرا.
[8] { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ } ، محمد من قبل نفسه، فقال الله -عزّ وجلّ-: { قُلْ } ، يا محمد، { إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } ، لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذبني على افترائي، فكيف أفتري على الله من أجلكم، { هُوَ أَعْلَمُ } ، الله أعلم، { بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ } ، تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر. { كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } ، أن القرآن جاء من عنده، { وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } ، في تأخير العذاب عنكم، قال الزجاج : هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله -عزّ وجلّ- غفور لمن تاب منكم رحيم به.

[9] { قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ } ، أي لست بأول مرسل، قد بعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتي. { وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ } ، اختلف العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، فقالوا: واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد، وما له علينا من مزية وفضل،

ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يُفعل به، فأنزل الله. { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } ، فقالت الصحابة: هنيئا لك يا نبي الله قد علمنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: { لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ } الآية، وأنزل: { وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا } ، فبين الله تعالى ما يفعل به ربهم وقالت جماعة. قوله { وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ } في الدنيا، أما في الآخرة فقد علم أنه في الجنة، وأن من كذبه فهو في النار، ثم اختلفوا فيه، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: « لما أشتد

البلاء بأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرى النائم وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر إليها، فقال له أصحابه: متى تهاجر إلى الأرض التي أُريتَ فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية: { وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ }» ، أأترك في مكاني أم أخرج أنا وأنتم إلى الأرض التي رفعت لي، وقال بعضهم: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إلى ماذا يصير عاقبة أمري وأمركم في الدنيا، بأن أقيم معكم في مكانكم أم أخرج كما خرجت الأنبياء من قبلي، أم أقتل كما قتل الأنبياء من قبلي، وأنتم أيها المصدقون لا أدري تخرجون معي أم تتركون، أم ماذا يفعل بكم أيها المكذبون، أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم، أي شيء يفعل بكم، كما فعل بالأمم المكذبة؟ ثم أخبر الله -عزّ وجلّ- أنه يظهر دينه على الأديان، فقال: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } ، وقال في أمته: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } فأخبر الله ما يصنع به وأمته { إِنْ

أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ } أي ما أتبع إلا القرآن ولا أبتدع من عندي شيئا، { وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ }
[10] { قُلْ أَرَأَيْتُمْ } معناه أخبروني ماذا تقولون { إِنْ كَانَ } يعني القرآن { مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ } أيها المشركون، { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ } المثل: صلة يعني عليه، أي على أنه من عند الله، { فَآمَنَ } ، يعني الشاهد، { وَاسْتَكْبَرْتُمْ } ، عن الإيمان به واختلفوا في هذا. الشاهد قال قتادة والضحاك : هو عبد الله بن سلام، شهد على نبوة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وآمن به، واستكبر اليهود فلم يؤمنوا. وقال الآخرون: الشاهد هو موسى بن عمران . وقال الشعبي قال مسروق في هذه الآية: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، لأن حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة، ونزلت هذه الآية في محاجة كانت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقومه، ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد -صلى الله عليه وسلم- على القرآن، وكل واحد يصدق الآخر. وقيل: هو نبي من بني إسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا.

[11] { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، من اليهود، { لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ } ، دين محمد -صلى الله عليه وسلم- { خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ } ، يعني عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال قتادة نزلت في مشركي مكة، قالوا: لو كان ما يدعونا إليه محمد خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان. وقال الكلبي : الذين كفروا أسد وغطفان، قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة: لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا إليه رعاء البهم: قال الله تعالى: { وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ } ، يعني بالقرآن

كما اهتدى به أهل الإيمان، { فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ } ، كما قالوا أساطير الأولين.

[12] { وَمِنْ قَبْلِهِ } أي ومن قبل القرآن { كِتَابُ مُوسَى } يعني التوراة، { إِمَامًا } ، يقتدى به { وَرَحْمَةً } ، من الله لمن آمن به { وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ } أي القرآن مصدق للكتب التي قبله { لِسَانًا عَرَبِيًّا } ، نصب على الحال، وقيل: بلسان عربي، { لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا } ، يعني مشركي مكة، قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب : لتنذر بالتاء على خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وقرأ الآخرون بالياء يعني الكتاب، { وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ }{ وَبُشْرَى } في محل الرفع، أي هذا كتاب مصدق وبشرى .
[13- 14] { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }{ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

[15] قوله -عزّ وجلّ-: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا } ، يريد شدة الطلق { وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ } فطامه { ثَلَاثُونَ شَهْرًا } يريد أقل مدة الحمل وهي ستة أشهر وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهرا، { حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ } ، نهاية قوته، وغاية شبابه واستوائه، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك قوله: { وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً } وقال السدي والضحاك : نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد مضت القصة. وقال الآخرون: نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه قحافة عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو . قال علي بن أبي طالب : الآية نزلت في أبي بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أسلم أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده، وكان أبو بكر صحب النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي -صلى الله عليه وسلم- ابن عشرين سنة في تجارة الشام، فلما بلغ أربعين سنة ونُبِّئ النبي -صلى الله عليه وسلم- آمن به ودعا ربه فـ { قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي } ألهمني، { أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ } ، بالهداية والإيمان، { وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ } ، قال ابن عباس : وأجابه الله -عزّ وجلّ- فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله، ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه، ودعا أيضا فقال: { وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي } ، فأجابه الله فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعا، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبو قحافة النبي -صلى الله عليه وسلم- وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة. قوله: { إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } .

[16] { أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا } ، يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، وكلها حسن، والأحسن بمعنى الحسن، فيثيبهم عليها، { وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ } ، فلا نعاقبهم عليها { فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ } ، مع أصحاب الجنة، { وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ } ، وهو قوله -عز وجل-: { وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } .

[17] { وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ } ، إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث، { أُفٍّ لَكُمَا } ، وهي كلمة كراهية، { أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ } ، من قبري حيا،

{ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي } ، فلم يبعث منهم أحد، { وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ } . يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له، { وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا } ما هذا الذي تدعواني إليه، { إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } ، قال ابن عباس والسدي ومجاهد : نزلت في عبد الله. وقيل في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى، ويقول: أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون، وأنكرت عائشة -رضي الله عنها- أن يكون هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر، والصحيح أنها نزلت في كافر عاق لوالديه، قاله الحسن وقتادة، وقال الزجاج : قول من قال إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، يبطله قوله:

[18] { أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ } الآية، أعلم الله تعالى أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب، ومعنى أولئك الذين حق عليهم القول وجب عليهم العذاب، { فِي أُمَمٍ } ، مع أمم، { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ } .
[19] { وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا } ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يريد من سبق إلى الإسلام، فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة. قال مقاتل : ولكل فضائل بأعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم. وقيل: ولكل يعني ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات، يعني منازل، ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فيجازيهم عليها. قال ابن زيد : في هذه الآية درج أهل النار تذهب سفالا، ودرج أهل الجنة تذهب علوًّا. { وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ } ، ليكتمل لهم ثواب أعمالهم، { وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } .

[20] { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ } ، فيقال لهم { أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا } ، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب : (أأذهبتم) ، بالاستفهام، ويهمز ابن عامر همزتين، والآخرون بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان، لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وتترك الاستفهام فتقول: أذهبت ففعلت كذا؟ { وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا } ، يقول: أذهبت طيباتكم يعني اللذات وتمتعتم بها { فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ } ، أي العذاب الذي فيه ذل وخزي، { بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ } ، تتكبرون، { فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ } ، فلما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا آثر النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة.

[21] قوله -عزّ وجلّ-: { وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ } ، يعني هودا، { إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ } ، قال ابن عباس : الأحقاف: واد بين عمان ومهرة. وقال مقاتل : كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له: مهرة وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم. قال قتادة : ذكر لنا أن عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشِّحْر. والأحقاف جمع حقف وهي المستطيل المعوج من الرمال. قال ابن زيد : هي ما استطال من الرمل، كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا، قال الكسائي : هي ما استدار من الرمال، { وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ } ، مضت الرسل، { مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ } ، أي من قبل هود، { وَمِنْ خَلْفِهِ } ، إلى قومهم، { أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } .

[22] { قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا } ، لتصرفنا، { عَنْ آلِهَتِنَا } ، أي عن عبادتها، { فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا } ، من العذاب، { إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } ، أن العذاب نازل بنا.

[23] { قَالَ } ، هود، { إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ } ، وهو يعلم متى يأتيكم العذاب { وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ } ، من الوحي { وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ } .
[24] { فَلَمَّا رَأَوْهُ } يعني ما يوعدون به من العذاب، { عَارِضًا } ، سحابا يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء، { مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ } ، فخرجت عليهم سحابة سوداء من واد لهم يقال له: المغيث، وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها استبشروا، { قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا } ، يقول الله تعالى: { بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة.

[25] { تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ } ، مرت به من رجال عاد وأموالها، { بِأَمْرِ رَبِّهَا } ، فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم أنين، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر { فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ } ، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب (يرى) بضم الياء (مساكنهم) برفع النون يعني لا يرى شيء إلا مساكنهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها، (مساكنهم) نصب يعني لا ترى أنت يا محمد إلا مساكنهم لأن السكان والأنعام بادت بالريح، فليم يبق إلا هود ومن آمن معه. { كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ } .

[26] { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ } ، يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول العمر وكثرة المال. قال المبرد : (ما) في قوله (فيما) بمنزلة الذي، (إن) بمنزلة ما، وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه. { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }
[27] { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ } ، يا أهل مكة، { مِنَ الْقُرَى } ، كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما، { وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ } الحجج والبينات، { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } ، عن كفرهم فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوّف مشركي مكة.

[28] { فَلَوْلَا } ، فهلا { نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً } ، يعني الأوثان التي اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله -عزّ وجلّ- القربان كل ما يتقرب به إلى الله -عزّ وجلّ- وجمعه قرابين، كالرهبان والرهابين، { بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ } ، قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب، { وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ } ، أي كذبهم الذي كانوا يقولون: إنها تقربهم إلى الله -عزّ وجلّ- وتشفع لهم، { وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } ، يكذبون أنها آلهة.

[29] { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ } ، اختلفوا في عدد ذلك النفر، فقال ابن عباس : كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رسلا إلى قومهم. وقال آخرون: كانوا تسعة. وروى

عاصم عن زر بن حبيش : كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن.
{ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا } ، قالوا: صه. قال بعضهم لبعض: أنصتوا واسكتوا لنستمع إلى قراءته، فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء، فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم، { فَلَمَّا قُضِيَ } ، فرغ من تلاوته، { وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ } ، انصرفوا إليهم، { مُنْذِرِينَ } ، مخوفين داعين بأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم.
[30] { قَالُوا يا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ } ، قال عطاء : كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى .

[31] { يا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ } ، يعني محمدا -صلى الله عليه وسلم-
{ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ } ، (من) صلة أي ذنوبكم، { وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } وفيه دليل علي أنه -صلى الله عليه وسلم- كان مبعوثا إلى الجن والإنس جميعا. قال مقاتل : لم يبعث قبله نبي إلى الإنس والجن جميعا.
واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن، فقال: ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار، وحكى سفيان عن ليث قال: الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم كونوا ترابا، وهذا مثل البهائم. وقال الآخرون. يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس. وقال جرير عن الضحاك : الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، وقال عمر بن عبد العزيز : إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها.
[32] { وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ } ، لا يعجز الله فيفوته، { وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ } أنصار يمنعونه من الله { أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } .

[33] { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ } لم يعجز عن إبداعهن، { بِقَادِرٍ } ، هكذا قراءة العامة، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش : الباء زائدة للتأكيد، كقوله: { تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ } ، وقال الكسائي والفراء : العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد فتقول: ما أظنك بقائم { عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } .
[34] { وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ } ، فيقال لهم، { أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ } ، أي فيقال لهم، { فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } .

[35] { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } ، قال ابن عباس . ذوو الحزم. وقال الضحاك : ذوو الجد والصبر. واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد : كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم، ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز. وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولو عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه، ألا ترى أنه قيل للنبي -صلى الله عليه وسلم-: { وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ } ، وقال قوم: هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الأنعام، وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ } ، وقال الكلبي : هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين.
وقيل: هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى -عليهم السلام- وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء. وقال مقاتل : هم ستة:

نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق صبر على الذبح، ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف صبر على البئر والسجن، وأيوب صبر على الضر. وقال ابن عباس وقتادة : هم نوح

وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع، فهم مع محمد -صلى الله عليه وسلم- خمسة، قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ } ، وفي قوله تعالى: { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا } الآية.

قوله تعالى: { وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ } ، أي ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال، ثم أخبر عن قرب العذاب فقال: { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ } ، من العذاب في الآخرة، { لَمْ يَلْبَثُوا } ، في الدنيا، { إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ } ، أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار، لأن ما مضى وإن كان طويلا كأن لم يكن، ثم قال: { بَلَاغٌ } ، أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ، { فَهَلْ يُهْلَكُ } ، بالعذاب إذا نزل { إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ } ، الخارجون من أمر الله، قال الزجاج : تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية

(47) سورة محمد
[1] { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } ، أبطلها فلم يقبلها، وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام، قال الضحاك : أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وجعل الدائرة عليهم.
[2] { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ } ، قال سفيان الثوري : يعني لم يخالفوه في شيء، { وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ } ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (الذين كفروا وصدوا) مشركو مكة، والذين آمنوا وعملوا الصالحات الأنصار. { كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ } ، حالهم، قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.
[3] { ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ } ، الشيطان، { وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ } ، يعني القرآن { كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ } ، أشكالهم، قال الزجاج : كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين.

[4] { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ } ، نصب على الإغراء، أي: فاضربوا رقابهم يعني: أعناقهم { حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ } ، بالغتم في القتل وقهرتموهم، { فَشُدُّوا الْوَثَاقَ } ، يعني في الأسر حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، كما قال: { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ } ، { فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً } ، يعني بعد أن تأسروهم فإما أن تمنوا عليهم منًّا بإطلاقهم من غير عوض، وإما أن تفادوهم فداء، واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله: { فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ } ، وبقوله: { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ } قالوا: لا يجوز المن على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء،

وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين، قال ابن عباس : لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم

أنزل الله -عزّ وجلّ- في الأسارى (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) ، وهذا هو الأصح والاختيار، لأنه عمل به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء بعده.

قوله تعالى: { حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا } ، أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر ما يحتمل الإنسان، فسمى الأسلحة أوزارا لأنها تحمل، وقيل: الحرب هم المحاربون كالشرب والركب، وقيل: الأوزار الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله. وقيل: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند قدوم عيسى ابن مريم -عليهما السلام- وقال الكلبي : حتي يسلموا أو يسالموا، وقال الفراء : حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم، { ذَلِكَ } ، الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار، { وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ } ، فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير قتال، { وَلَكِنْ } أمركم بالقتال، { لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ } ، فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكفار إلى العذاب، { وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } ، قرأ أهل البصرة وحفص : (قتلوا) بضم القاف وكسر

التاء خفيف، يعني الشهداء، وقرأ الآخرون، (قاتلوا) بالألف من المقاتلة، وهم المجاهدون، { فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ } ، قال قتادة : ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل.
[5] { سَيَهْدِيهِمْ } ، أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، { وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ } يرضي خصماءَهم ويقبل أعمالهم.
[6] { وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ } ، أي بيّن لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطئونها ولا يستدلون عليها أحدا، كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى إلى درجته، وزوجته وخدمه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين، وروى عطاء عن ابن عباس : (عَرَّفَهَا لَهُمْ) أي طيبها لهم من العرف، وهو الريح الطيبة وطعام معرَّف أي مطيَّب.
[7] { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ } ، أي دينه ورسوله، { يَنْصُرْكُمْ } ، على عدوكم، { وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } ، عند القتال.

[8] { وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ } ، قال ابن عباس : بُعْدًا لهم. وقال أبو العالية : سقوطا لهم. وقال الضحاك : خيبة لهم. وقال ابن زيد : شقاء لهم. قال الفراء : هو نصب على المصدر، على سبيل الدعاء. وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة التردي في النار. ويقال للعاثر: تعسًا إذا لم يريدوا قيامه، وضده لعًا إذا أرادوا قيامه، { وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } ، لأنها كانت في طاعة الشيطان.
[9] { ذَلِكَ } التعس والإضلال، { بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } ، ثم خوف الكفار فقال:
[10] { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ

اللَّهُ عَلَيْهِمْ } ، أي أهلكهم، { وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا } ، أي لم يؤمنوا، يتوعد مشركي مكة.
[11] { ذَلِكَ } ، الذي ذكرت، { بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا } ، وليهم وناصرهم، { وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ } ، لا ناصر لهم، ثم ذكر مآل الفريقين فقال:

[12] { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ } ، في الدنيا، { وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ } ، ليس لهم همة إلّا بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عما في غد، قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين والكافر يتمتع، { وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ }
[13] { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ } أي: أشد قوة من أهل مكة، { الَّتِي أَخْرَجَتْكَ } ، أي أخرجك أهلها، قال ابن عباس : كم رجال هم أشد من أهل مكة؟ يدل عليه قوله: { أَهْلَكْنَاهُمْ } ، ولم يقل. أهلكناها، { فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } .
[14] { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ } ، يقين من دينه، محمد والمؤمنون، { كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } ، يعني عبادة الأوثان، وهم أبو جهل والمشركون.

[15] { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ } ، أي صفتها، { فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ } ، آسن متغير منتن، قرأ ابن كثير (أسن) بالقصر، والآخرون بالمد، وهما لغتان يقال: أَسَنَ الماء يأسنُ أسنًا، وآسَنَ يأسُنُ وياسن، وأجن يأجن وياجن، أسونا وأجونا إذا تغير، { وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ } ، لذيذة، { لِلشَّارِبِينَ } ، لم تدنسها الأرجل ولم تدنسها الأيدي، { وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ } ، أي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار، { وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا } ، شديد الحر تسعر عليه جهنم منذ خلقت، إذا أدني منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة رءوسهم فإذا شربوه، { فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ } ، فخرجت من أدبارهم، والأمعاء جميع ما في البطن من الحوايا واحدها معي.

[16] { وَمِنْهُمْ } ، يعني من هؤلاء الكفار، { مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ } ، وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا، { حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ } ، يعني فإذا خرجوا من عندك، { قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } ، من الصحابة، { مَاذَا قَالَ } محمد، { آنِفًا } ، يعنى الآن، وهو من الائتناف ويقال: ائتنفت الأمر أي ابتدأته وأنف الشيء أوله، قال مقاتل : وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاءً ماذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قال ابن عباس : وقد سئلت فيمن سئل، { أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } ، فلم يؤمنوا، { وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } ، في الكفر والنفاق.
[17] { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا } ، يعني المؤمنين، { زَادَهُمْ } ، ما قال الرسول، { هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } ، وفقهم للعمل بما أمرهم به، وهو التقوى، قال سعيد بن جبير : وآتاهم ثواب تقواهم.

[18] { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا } أماراتها وعلاماتها واحدها شرط، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- من أشراط

الساعة { فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ } ، فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة، نظيره: { يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى } .

[19] { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } ، قيل: الخطاب مع النبي -صلى الله عليه وسلم- والمراد به غيره، وقيل: معناه فاثبتْ عليه. وقال الحسين بن الفضل : فازدد علما على علمك. وقال أبو العالية وابن عيينة . هو متصل بما قبله معناه: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها إلا إلى الله. وقيل: فاعلم أنه لا إله إلا الله أن الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله، { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } ، أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستن به أمته { وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } ، هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيهم -صلى الله عليه وسلم- أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم، { وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } ، قال ابن عباس والضحاك : متقلبكم متصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، ومثواكم مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار. وقال مقاتل وابن جرير : متقلبكم منصرفكم لأشغالكم بالنهار ومثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل. وقال عكرمة : متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات ومثواكم مقامكم في الأرض. وقال ابن كيسان : متقلبكم من

ظهر إلى بطن، ومثواكم مقامكم في القبور، والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

[20] { وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا } حرصا منهم على الجهاد، { لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ } ، تأمرنا بالجهاد، { فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ } ، قال قتادة : كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين، { رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } ، يعني المنافقين، { يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ } ، شزرًا بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد وجبنًا عن لقاء العدو، { نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ } ، نظر الشاخص بصره عند الموت، { فَأَوْلَى لَهُمْ } ، وعيد وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره.

[21] ثم قال: { طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ } ، وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره: طاعة وقول معروف أمثل، أي لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن. وقيل: مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة: طاعة، رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منّا طاعة، وقول معروف حسن. وقيل: هو متصل بما قبله واللام في قولهم بمعنى الباء، مجازه: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالإجابة، أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء . { فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ } ، أي جد الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزومًا، { فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ } ، في إظهار الإيمان والطاعة، { لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ } ، وقيل: جواب إذا محذوف تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا، ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم.

[22] { فَهَلْ عَسَيْتُمْ } ، فلعلكم، { إِنْ تَوَلَّيْتُمْ } ، أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه، { أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ } ، تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية، فتفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى

الفرقة بعدما جمعكم الله بالإسلام. { وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } ، قرأ يعقوب : (وتقطعوا) بفتح التاء خفيف، والآخرون بالتشديد من التقطيع على التكثير لأجل الأرحام، قال قتادة : كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله، ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ وقال بعضهم: هو من الولاية. وقال المسيب بن شريك والفراء : يقول فهل عسيتُم إن وُليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم، نزلت في بني أمية وبني هاشم، يدل عليه قراءة على بن أبي طالب (تُوُليتم) بضم التاء والواو وكسر اللام، يقول إن وليتكم ولاة جائرة خرجتم معهم في الفتنة وعاونتوهم.
[23] { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ } عن الحق.

[24] { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } ، فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه، و (أم) بمعنى (بل) .
[25] { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ } ، رجعوا كفارا، { مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى } ، قال قتادة : هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم، وقال ابن عباس والضحاك والسدي : هم المنافقون، { الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ } ، زين لهم القبيح، { وَأَمْلَى لَهُمْ } ، قرأ أهل البصرة بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله، وقرأ مجاهد : بإرسال الياء على وجه الخبر من الله عزّ وجلّ عن نفسه أنه يفعل ذلك، وتروى هذه القراءة عن يعقوب، وقرأ الآخرون (وَأملى لهم) بفتح الألف أي وأملى الشيطان لهم مد لهم في الأمل.

[26] { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ } ، يعني المنافقين أو اليهود، { قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ } ، وهم المشركون، { سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ } ، في التعاون على عداوة محمد -صلى الله عليه وسلم- والقعود عن الجهاد، وكانوا يقولونه سرا فأخبر الله تعالى عنهم { وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ } ، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون بفتحها على جمع السر.
[27] { فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ } .
[28] { ذَلِكَ } ، أي الضرب، { بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ } ، قال ابن عباس : بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- { وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ } ، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان، { فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } .
[29] { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } ، يعني المنافقين، { أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ } ، أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نفاقهم، واحدها ضغن، قال ابن عباس : حسدهم.

[30] { وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ } ، أي لأعلمناكهم وعرفناكهم، { فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ } ، بعلامتهم، قال الزجاج : المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها. قال أنس : ما خفي على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم. { وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ } ، في معناه ومقصده، واللحن: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب لحن يلحن لحنا فهو لحن إذا فطن للشيء، ومنه قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: « ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض » ، والفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا فهو لاحن، والأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، والمعنى إنك تعرفهم فيما يعرضون له من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي -صلى الله عليه

وسلم- إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد خلقه وعقيدته، { وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ } .

[31] { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ } ، ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال، { حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ } ، أي علم الوجود، يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، { وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } ، أي نظهرها ونكشفها بإباء من يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد، وقرأ أبو بكر عن عاصم (وليبلونكم حتى يعلم) ، ويبلو بالياء فيهن، لقوله تعالى: { وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ } ، وقرأ الآخرون بالنون فيهن، لقوله تعالى { وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ } وقرأ يعقوب (ونبلوا) ساكنة الواو ردا على قوله (ولنبلونكم) وقرأ الآخرون بالفتح ردا على قوله (حَتَّى نَعْلَمَ) .

[32] { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } ، أي: رسول الله -صلى الله عليه وسلم- { وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا } ، إنما يضرون أنفسهم، { وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ } ، فلا يرون لها ثوابا في الآخرة، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: هم المطعمون يوم بدر، ونظيرها قوله -عزّ وجلّ-: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } .
[33] { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } ، قال عطاء : بالشك والنفاق، وقال الكلبي : بالرياء والسمعة. وقال الحسن : بالمعاصي والكبائر. وقال أبو العالية : كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال، وقال مقاتل : لا تمنوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتبطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد وسنذكره في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى. (1) .

---

(1) آية (14) .

[34] { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } ، هم أصحاب القليب وحكمها عام.
[35] { فَلَا تَهِنُوا } ، لا تضعفوا { وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ } ، أي لا تدعوا إلى الصلح، ابتداء منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا، { وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ }، الغالبون، قال الكلبي : آخر الأمم لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات، { وَاللَّهُ مَعَكُمْ } ، بالعون والنصرة { وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ } ، لن ينقصكم شيئا من ثوب أعمالكم، يقال: وتره يتره وترا إذا نقص حقه، قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك : لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها.

[36] ثم حض على طلب الآخرة فقال: { إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } ، باطل وغرور، { وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا } ، الفواحش، { يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ } ، جزاء أعمالكم في الآخرة { وَلَا يَسْأَلْكُمْ } ، ربكم { أَمْوَالَكُمْ } ، لإيتاء الأجر بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة، نظيره قوله: { مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ } ، وقيل: لا يسألكم محمد أموالكم، نظيره: { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } ، وقيل معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات، إنما يسألانكم غيضا من فيض، ربع العشر فطيبوا بها نفسا، وقروا بها عينا وإلى هذا

القول ذهب ابن عُيينة، يدل عليه سياق الآية:
[37] { إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ } ، أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسألة جميعها، يقال: أحفى فلان فلانا إذا جهده، وألحف عليه بالمسألة، { تَبْخَلُوا } ، بها فلا تعطوها، { وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ } ، بغضكم وعداوتكم، قال قتادة : علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضغان.

[38] { هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } ، يعني إخراج ما فرض الله عليكم، { فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ } ، بما فرض عليه من الزكاة، { وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ } ، عن صدقاتكم وطاعتكم، { وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ } ، إليه وإلى ما عنده من الخير. { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } ، بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم، قال الكلبي : هم كندة والنخع، وقال الحسن : هم العجم. وقال عكرمة : فارس والروم.

(48) سورة الفتح
[1] قوله -عزّ وجلّ-: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } ، أي قضينا لك قضاء بينًا. وقال الضحاك : إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا بغير قتال، وكان الصلح من الفتح المبين، واختلفوا في هذا الفتح، عن أنس : أنه فتح مكة، وقال مجاهد : فتح خيبر، والأكثرون على أنه صلح الحديبية، ومعنى الفتح فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذرا حتى فتحه الله -عزّ وجلّ.
[2] { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ } في الجاهلية قبل الرسالة، { وَمَا تَأَخَّرَ } إلى وقت نزول هذه السورة. وقيل: ما تأخر مما يكون، وقال سفيان الثوري : ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد، وقال عطاء الخراساني : ما تقدم من ذنبك: يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك. { وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ } بالنبوة والحكمة { وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } ، أي يثبتك عليه، والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة والمغفرة والهداية إلى الصراط المستقيم وهو الإسلام. وقيل: ويهديك أي يهدي بك.

[3] { وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا } غالبا. وقيل: معزًّا.
[4] { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ } ، الطمأنينة والوقار { فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ } ، لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم، قال ابن عباس : كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة، { لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } ، قال ابن عباس : بعث الله رسوله لشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم، فكلما أمروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقا إلى تصديقهم. وقال الضحاك : يقينا مع يقينهم. قال الكلبي : هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، { وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } .

[5] { لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا } عن أنس أن الصحابة قالوا لما نزل { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ } هنيئا مريئا فما يفعل بنا فنزل: { لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ } الآية.
[6] { وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ } ، يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة، { الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ } ، أن لن

ينصر محمدا والمؤمنين، { عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ } بالعذاب والهلاك، { وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } .

[7 - 9] { وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا }{ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ } ، أي تعينوه وتنصروه، { وَتُوَقِّرُوهُ } ، تعظموه وتفخموه هذه الكنايات راجعة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهاهنا وقف، { وَتُسَبِّحُوهُ } ، أي تسبحوا الله يريد تصلّوا له، { بُكْرَةً وَأَصِيلًا } بالغداة والعشي.

[10] { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ } ، يا محمد بالحديبية على ألا يفروا، { إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ } ، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة، { يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } ، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم.
وقال السدي : كانوا يأخذونه بيد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة، { فَمَنْ نَكَثَ } ، نقض البيعة، { فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ } ، عليه وباله، { وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ } ، ثبت على البيعة، { فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } ، وهو الجنة.

[11] { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ } ، قال ابن عباس ومجاهد : يعني أعراب بني غفار ومزينة وجهينة، وأشجع وأسلم، وذلك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حربا، فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم: { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ } يعني الذين خلفهم الله -عزّ وجلّ- عن صحبتك، فإذا انصرفت من سفرك إليهم فعاتبهم على التخلف عنك، { شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا } ، يعني النساء والذراري أي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم { فَاسْتَغْفِرْ لَنَا } ، تخلفنا عنك، فكذبهم الله -عزّ وجلّ- في اعتذارهم فقال: { يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ } من أمر الاستغفار، فإنهم لا يبالون أستغفر لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أو لا، { قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا } ، سوءا،

{ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا } ، قرأ حمزة والكسائي : (ضرا) بضم الضاد، وقرأ الآخرون بفتحها لأنه قابله بالنفع والنفع ضد الضر، وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم الله تعالى: إن أراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر أحد على دفعه. { بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }
[12] { بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا } ، أي ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون، { وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ } ، زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم، { وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ }
وذلك أنهم قالوا: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون معه انتظروا ما يكون من أمرهم. { وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا } ، هلكى لا تصلحون لخير.

[13 - 15] { وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا }{ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }{ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ } ، يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية، { إِذَا انْطَلَقْتُمْ } ، سرتم وذهبتم أيها المؤمنون، { إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا } ، يعني غنائم خيبر، { ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ } ، إلى خيبر نشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة إذ انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئا، قال الله تعالى: { يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ } ، يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة، وقال مقاتل : يعني أمر الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- ألا يسير منهم أحد، قال ابن زيد : هو قول الله -عزّ وجلّ-: { فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا } ، والأول أصوب، وعليه عامة أهل التأويل، { قُلْ لَنْ

تَتَّبِعُونَا } ، إلى خيبر، { كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ } ، أي من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب، { فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا } ، أي يمنعكم الحسد أن نصيب معكم الغنائم، { بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ } ، لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين، { إِلَّا قَلِيلًا } ، منهم وهو من صدق الله والرسول.

[16] { قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ } ، قال ابن عباس ومجاهد وعطاء : هم أهل فارس. وقال كعب : هم الروم. وقال الحسن : فارس والروم. وقال سعيد بن جبير : هوازن وثقيف. وقال قتادة : هوازن وغطفان يوم حنين. وقال الزهري ومقاتل وجماعة: هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب . قال زافر بن خديج : كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم. وقال ابن جريش دعاهم عمر -رضي الله عنه- إلى قتال فارس. وقال أبو هريرة: لم يأت تأويل هذه الآية بعد. { تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا } ، يعني الجنة، { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا } ، تعرضوا { كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ } ، عام الحديبية، { يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } ، وهو النار، فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟

[17] فأنزل الله تعالى: { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ } ، يعني في التخلف عن الجهاد، { وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا } .
[18] { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ } ، بالحديبية على أن يناجزوا قريشا ولا يفروا، { تَحْتَ الشَّجَرَةِ } ، وكانت سمرة، { فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ } ، من الصدق والوفاء، { فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ } ، الطمأنينة والرضا، { عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا } ، يعني فتح خيبر.
[19] { وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا } ، من أموال يهود خيبر، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقتسمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بينهم، { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } .
[20] { وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا } ، وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، { فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ } ، يعني خيبر، { وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ }

وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بني أسد وغطفان أن يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكف الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: كف أيدي الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح، { وَلِتَكُونَ } ، كفهم وسلامتكم، { آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ } ، على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم، { وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } ، يثبتكم على الإسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية، وفتح خيبر.

[21] قوله -عزّ وجلّ-: { وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا } وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها، { قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا } ، حتى يفتحها لكم كأنه حفظها ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، قال ابن عباس : علم الله أنه يفتحها لكم، واختلفوا فيها، فقال ابن عباس ومقاتل : هي فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام. وقال الضحاك وابن زيد : هي خيبر وعدها الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونها. وقال قتادة : هي مكة. وقال عكرمة : حنين. وقال مجاهد : ما فتحوا حتى اليوم، { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا }
[22] { وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، يعني أسد وغطفان وأهل خيبر، { لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ } ، لانهزموا { ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } .
[23] { سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ } ، أي سنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه، { وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا }

[24] قوله -عزّ وجلّ-: { وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا }

[25] قوله -عزّ وجلّ: { هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، يعني كفار مكة، { وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } ، أن تطوفوا به عام الحديبية، { وَالْهَدْيَ } ، أي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانت سبعين بدنة، { مَعْكُوفًا } ، محبوسا، يقال: عكفته عكفا إذا حبسته وعكوفا لازم، كما يقال: رجع رجعا ورجوعا، { أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ } ، منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم، { وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ } ، يعني المستضعفين بمكة، { لَمْ تَعْلَمُوهُمْ } ، لم تعرفوهم، { أَنْ تَطَئُوهُمْ } ، بالقتال وتوقعوا بهم، { فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ } ، قال ابن زيد : معرة إثم. وقال ابن إسحاق : غرم الدية. وقيل: الكفارة لأن الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب - إذا لم يعلم إيمانه - الكفارة دون الدية، فقال: { فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ } ، وقيل: هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم، والمعرة المشقة، يقول: لولا أن تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم

بهم كفارة أو يلحقكم سبة، وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك. { لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ } ، فاللام في ليدخل متعلق بمحذوف دلّ عليه معنى الكلام، يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها، { لَوْ تَزَيَّلُوا } ، لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار، { لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } ، بالسبي والقتل بأيديكم، وقال بعض أهل

العلم: لعذبنا جواب لكلامين أحدهما: (لولا رجال) ، والثاني: (لو تزيلوا) ، ثم قال: { لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ } ، يعني المؤمنين والمؤمنات، وقوله: (في رحمته) ، أي جنته. وقال قتادة في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمن عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

[26] { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ } حين صدوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه عن البيت عام الحديبية، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمدا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة. قال مقاتل : قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه { حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ } ، التي دخلت قلوبهم، { فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ } ، حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم، { وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى } ، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كلمة التقوى "لا إله إلا الله". وروي عن أبي بن كعب مرفوعا. وقال علي وابن عمر : كلمة التقوى لا إله إلا الله والله أكبر. وقال عطاء بن أبي رباح : هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقال عطاء الخراساني : هي لا إله إلا الله محمد رسول الله. وقال الزهري : هي بسم الله الرحمن الرحيم.

{ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا } ، من كفار مكة، { وَأَهْلَهَا } ، أي وكانوا أهلها في علم الله لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير { وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }

[27] { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ } ، وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أري في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين ويحلقون رءوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحبوا أنهم داخلو مكةَ عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك، فأنزل الله هذه الآية. وروي عن مجمع بن [جارية] الأنصاري . قال « شهدنا الحديبية مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر، فقال بعضهم: ما بال الناس؟ فقالوا: أوحي إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال فخرجنا نرجف، فوجدنا النبي -صلى الله عليه وسلم- واقفا على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } ، فقال عمر : أوفتح هو يا رسول الله؟ قال: (نعم والذي نفسي بيده) » (1) . ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية، وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل، فقال جل ذكره: { لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ } ، أخبر أن الرؤية التي

_____

(1) أخرجه أحمد (3 / 420) ، وأبو داود (2 / 52) ، والحاكم (2 / 131) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووفقه الذهبي.

أراه إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق. قوله: (لَتَدْخُلُنَّ) يعني وقال: لتدخلن. وقال ابن كيسان : لتدخلن من قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر

الله عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال ذلك، وإنما استثنى مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى، تأدبا بآداب الله، حيث قال له: { وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا } { إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } . وقال أبو عبيدة : (إن) بمعنى إذ مجازه: إذ شاء الله، كقوله: { إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ، وقال الحسين بن الفضل : يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية: (لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله) ، وقيل الاستثناء واقع على الأمر لا على الدخول، لأن الدخول لم يكن فيه شك، كقول النبي -صلى الله عليه وسلم- عند دخول المقبرة: « وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» (1) . فالاستثناء راجع إلى اللحوق بأهل لا إله إلا الله لا إلى الموت. { مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ } ، كلها، { وَمُقَصِّرِينَ } ، بأخذ بعض شعورها، { لَا تَخَافُونَ

_____

(1) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجنائز برقم (975) 2 / 671.

فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا } ، أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول، وهو قوله تعالى: { وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ } الآية. { فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ } ، أي من قبل دخولكم المسجد الحرام، { فَتْحًا قَرِيبًا } ، وهو صلح الحديبية عند الأكثرين، وقيل: فتح خيبر.
[28] { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } ، على أنك نبي صادق صالح فيما تخبر.

[29] { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ } ، تم الكلام هاهنا، قال ابن عباس، شهد له بالرسالة، ثم قال مبتدئا { وَالَّذِينَ مَعَهُ } ، قالوا: وفيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين، { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ } ، غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة، { رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } ، متعاطفون متوادون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد، كما قال: { أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } . { تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا } ، أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها، { يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ } ، أن يدخلهم الجنة، { وَرِضْوَانًا } ، أن يرضى عنهم، { سِيمَاهُمْ } ، أي علامتهم، { فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ } ، اختلفوا في هذا السيما، فقال قوم: هو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة يعرفون به أنهم سجدوا في الدنيا، وهو رواية عطية العوفي عن ابن عباس، قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس : استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا. وقال شهر بن حوشب : تكون. مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقال آخرون: هو السمت الحسن والخشوع والتواضع. وهو رواية الوالبي عن ابن عباس قال:

ليس بالذي ترون لكنه سيماء الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه. وهو قول مجاهد : والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون به. وقال الضحاك : هو صفرة الوجه من السهر. وقال الحسن : إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى. قال عكرمة وسعيد بن جبير : هو أثر التراب على الجباه. قال أبو العالية لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب. وقال عطاء الخراساني : دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس. { ذَلِكَ } ، الذي ذكرت، { مَثَلُهُمْ } ، صفتهم { فِي التَّوْرَاةِ } ، هاهنا تم الكلام ثم ذكر نعتهم في الإنجيل، فقال: { وَمَثَلُهُمْ } ، صفتهم، { فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ } أراد فراخه، يقال أشطأ الزرع فهو مشطئ إذا أفرخ، قال

مقاتل : هو نبت واحد فإذا خرج ما بعده فهو شطؤه. وقال السدي . هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. قوله: { فَآزَرَهُ } ، قرأ ابن عامر : (فأزره) بالقصر. والباقون بالمد، أي قواه وأعانه وشد أزره، { فَاسْتَغْلَظَ } ، ذلك الزرع، { فَاسْتَوَى } ، أي تم وتلاحق نباته وقام، { عَلَى سُوقِهِ } ، ،أصوله، { يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ } ، أعجب ذلك زراعه، هذا مثل ضربه الله -عزّ وجلّ-

لأصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- في الإنجيل أنهم يكونون قليلا، ثم يزدادون ويكثرون. قال قتادة : مثل أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وقيل: الزرع محمد والشطء أصحابه والمؤمنون، { لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ } ، أي إنما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين. قال مالك بن أنس : من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد أصابته هذه الآية. { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ } ، قال ابن جرير : يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة، ورد الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه، ولذلك لم يقل: منه، { مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } يعني الجنة. والله أعلم.

(49) سورة الحجرات

[1] { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } قرأ يعقوب : (لا تقدَّموا) بفتح التاء والدال، من التقدم أي لا تتقدموا، وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال، من التقديم، وهو لازم بمعنى التقدم، مثل بين وتبين، وقيل: هو متعد على ظاهره والمفعول محذوف، أي: لا تقدموا القول بالفعل بين يدي الله ورسوله. قال أبو عبيدة تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجل بالأمر والنهي دونه، ومعنى: بين اليدين الأمام والقدام: أي لا تقدموا بين يدي أمرهما ونهيهما. واختلفوا في معناه، روى الشعبي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى، وهو قول الحسين، أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وذلك أن ناسا ذبحوا قبل صلاة النبي، -صلى الله عليه وسلم- ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح، وروى مسروق عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك، أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم. وقال قتادة : نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا، وصُنع في كذا وكذا، فكره الله ذلك. وقال مجاهد : لا تفتئوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشيء حتى يقضيه الله على لسانه. وقال الضحاك : يعني

في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله. { وَاتَّقُوا اللَّهَ } ، في تضييع حقه ومخالفة أمره، { إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ } ، لأقوالكم، { عَلِيمٌ } ، بأفعالكم.
[2] { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ } ، أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنه ولا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضا، { أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ } ، لئلا تحبط حسناتكم. وقيل: مخافة أن تحبط حسناتكم: { وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } .
[3] { إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ } ، يخفضون { أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ } إجلالا له،

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى } ، اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه، { لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } .

[4] { إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ } ، قرأ العامة بضم الجيم، وقرأ أبو جعفر فتح الجيم، وهما لغتان، وهي جمع الحُجَر، والحُجَر جمع الحُجْرة فهي جمع الجمع. وقال ابن عباس : بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سرية إلى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة بن حصن وقدم بهم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري، فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا، ويصيحون، فأنزل الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } ، وصفهم بالجهل وقلة العقل.

[5] { وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ } ، قال مقاتل : لكان خيرا لهم لأنك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء، { وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ، وقال قتادة : نزلت في ناس من أعراب بني تميم جاءوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فنادوا على الباب: اخرج إلينا يا محمد .

[6] قوله -عزّ وجلّ-: «{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا } ، الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهمّ أن يغزوهم، وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه، وقال له: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار، ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأخبره الخبر » (1) ، فأنزل الله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ) يعني الوليد بن عقبة، (بنبأ) ، بخبر، { أَنْ تُصِيبُوا } ، كي

_____
(1) أخرجه الطبري 26 / 123 والإمام أحمد 4 / 279 وعبد الرزاق في التفسير 2 / 231.

لا تصيبوا بالقتل والقتال، { قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } ، من إصابتكم بالخطأ.
[7] { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ } ، فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه، فإن الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتفتضحوا، { لَوْ يُطِيعُكُمْ } ، أي الرسول، { فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ } مما تخبرونه به فيحكم برأيكم، { لَعَنِتُّمْ } ، لأثمتم وهلكتم، والعنت: الإثم والهلاك. { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ } ، فجعله أحب الأديان إليكم، { وَزَيَّنَهُ } ، حسنه، { فِي قُلُوبِكُمْ } ، حتى اخترتموه وتطيعوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- { وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ } ، قال ابن عباس : يريد الكذب، { وَالْعِصْيَانَ } ، جميع معاصي الله، ثم عاد من

الخطاب إلى الخير، وقال: { أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } ، المهتدون.
[8] { فَضْلًا } ، أي كان هذا فضلا، { مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } .

[9] قوله -عزّ وجلّ-: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } بالدعاء إلى حكم كتاب اللَّه والرضا بما فيه لهما وعليهما، { فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا } ، تعدت إحداهما، { عَلَى الْأُخْرَى } ، وأبت الإجابة إلى حكم كتاب اللَّه، { فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ } ، ترجع { إِلَى أَمْرِ اللَّهِ } ، في كتابه وحكمه، { فَإِنْ فَاءَتْ } ، رجعت إلى الحق، { فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ } ، بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله، { وَأَقْسِطُوا } اعدلوا { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } .
[10] { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } ،في الدين والولاية، { فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ } ، إذا اختلفا واقتتلا، { وَاتَّقُوا اللَّهَ } ، فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.

[11] وقوله -عزّ وجلّ-: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ } أي رجال من رجال، والقوم اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يختص بجمع الرجال، { عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ } ، أي لا يعب بعضكم بعضا، ولا يطعن بعضكم على بعض، { وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ } ، التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمّي به. قال عكرمة : وهو قول الرجل للرجل: يا فاسق يا منافق يا كافر. وقال الحسن : كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنهوا عنه ذلك. قال عطاء : هو أن تقول لأخيك: يا كلب يا حمار يا خنزير. وروي عن ابن عباس قال: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنُهي أن يعير بما سلف عن عمله، { بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ } ، أي بئس الاسم أن يقول: يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب، وقيل معناه: إن من فعل ما نُهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك

فتستحقوا اسم الفسوق، { وَمَنْ لَمْ يَتُبْ } من ذلك { فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } .

[12] { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ } وأراد أن يَظُنَّ بأهل الخير شرا، { إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ } ، قال سفيان الثوري : الظن ظنان أحدهما إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم. { وَلَا تَجَسَّسُوا } ، التجسس هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها، { وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا } ، يقول: لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » (1) . { أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ }

(1) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم (2589) 4 / 2001 والمصنف في شرح السنة 13 / 138 .

، قال مجاهد : لما قيل لهم { أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا } ، قالوا: لا، قيل: { فَكَرِهْتُمُوهُ } أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. وقال الزجاج : تأويله: إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك، وهو ميت لا يحس بذلك، { وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } .
[13] { يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى } يعني آدم وحواء أي إنكم متساوون في النسب. { وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا } ، جمع شعب بفتح الشين، وهي رءوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، سموا شعوبا لتشعبهم واجتماعهم، كشعب أغصان الشجر، والشعب من الأضداد يقال: شعب أي جمع وشعب أي فرق.

{ وَقَبَائِلَ } ، هي دون الشعوب، واحدتها قبيلة وهي كبكر من ربيعة وتميم من مضر، ودون القبائل العمائر، واحدتها عمارة، بفتح العين وهي كشيبان من بكر ودارم من تميم، ودون العمائر البطون، واحدتها بطن، وهي كبني غالب ولؤي من قريش، ودون البطون الأفخاذ واحدتها فخذ وهم كبني هاشم وأمية من بني لؤي، ثم الفصائل والعشائر واحدتها فصيلة وعشيرة، وليس بعد العشيرة حي يوصف به وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل. وقال أبو روق : الشعوب من الذين لا يعتزون إلى أحد، بل ينتسبون إلى المدائن والقرى، والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم. { لِتَعَارَفُوا } ، ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده، لا ليتفاخروا. ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } : قال قتادة في هذه الآية: إن أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور.

[14] قوله تعالى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا } ، الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على النبي -صلى الله عليه وسلم- ويريدون الصدقة، ويقولون أعطنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية. وقال السدي : نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، كانوا يقولون: آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله -عزّ وجلّ- هذه الآية فيهم، { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا } صدقنا، { قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا } ، انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي، { وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } ، فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا

يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والإخلاص، { وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ } ، ظاهرا وباطنا سرا وعلانية. قال ابن عباس . تخلصوا الإيمان، { لَا يَلِتْكُمْ } ، قرأ أبو عمر (يألتكم) بالألف كقوله تعالى: { وَمَا أَلَتْنَاهُمْ } ، والآخرون بغير ألف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم، يقال: ألت يألت ألتا ولات يليت ليتا إذا نقص، { مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا } ، أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئا، { إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ، ثم بين حقيقة الإيمان.
[15] فقال: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا } ، لم

يشكوا في دينهم، { وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } ، في إيمانهم. فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعرف الله غير ذلك منهم.

[16] فأنزل الله -عزّ وجلّ-: { قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ } والتعليم هاهنا بمعنى الإعلام، ولذلك قال بدينكم وأدخل الباء فيه، يقول أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه، { وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم } ، أي لا يحتاج إلى إخباركم.
[17] { يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ } أي بإسلامكم، { بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ، إنكم مؤمنون.
[18] { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } ، قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الآخرون بالتاء.

(50) سورة ق
[1] قال ابن عباس : هو قسم، وقيل: هو اسم للسورة، وقيل: هو اسم من أسماء القرآن. وقال القرظي : هو مفتاح اسمه القدير، والقادر والقاهر والقريب والقابض. { وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ } ، الشريف الكريم على الله الكثير الخير. واختلفوا في جواب هذا القسم، فقال أهل الكوفة: جوابه بل عجبوا وقيل: جوابه محذوف، مجازه: والقرآن المجيد لتبعثن. وقيل: جوابه قوله ما يلفظ من قول. وقيل: قد علمنا.
[2] { بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ } ، مخوف، { مِنْهُمْ } ، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، { فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ } ، غريب.
[3] { أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا } ، نبعث، ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه، { ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ } ، وغير كائن أي يبعد أن نبعث بعد الموت.
[4] قال الله -عزّ وجلّ-: { قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ } ، أي ما تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء. قال السدي : هو الموت، يقول: قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى، { وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ } ، محفوظ من الشياطين ومن أن يدس ويتغير، وقيل: حفيظ أي حافظ لعدتهم وأسمائهم.

[5] { بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ } ، بالقرآن، { لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ } ، مختلط، قال سعيد بن جبير ومجاهد : ملتبس. قال قتادة : في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه. وقال الحسن : ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم. وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم فقال: هو أنهم يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم- مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة معلم، ويقولون للقرآن مرة سحر، ومرة رجز، ومرة مفترى، فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم، ثم دلهم على قدرته.
[6] فقال: { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا } ، بغير عمد، { وَزَيَّنَّاهَا } ، بالكواكب، { وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ } ، شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج.
[7] { وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا } ، بسطناها على وجه الماء { وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ } ، جبالا ثوابت، { وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } ، حسن كريم يبهج به، أي يسر.
[8] { تَبْصِرَةً } ، أي جعلنا ذلك تبصرة، { وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ } ، أي ليبصروا به ويتذكر به.

[9] { وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا } ، كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر، { فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ } ، يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد فأضاف الحب إلى الحصيد، وهما واحد لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع وربيع الأول. وقيل: حب الحصيد أي وحب النبت الحصيد.
[10] { وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ } ، قال مجاهد وعكرمة وقتادة : طوالا. يقال: بسقت النخلة بسوقا إذا طالت. وقال سعيد بن جبير : مستويات. { لَهَا طَلْعٌ } ثمر وحمل، سمي بذلك لأنه يطلع، والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشق، { نَضِيدٌ } ، متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.
[11] { رِزْقًا لِلْعِبَادِ } ، أي جعلناها رزقا للعباد، { وَأَحْيَيْنَا بِهِ } ، بالمطر، { بَلْدَةً مَيْتًا } ، أنبتنا فيها الكلأ { كَذَلِكَ الْخُرُوجُ } ، من القبور.

[12 - 14] قوله -عزّ وجلّ- { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ } { وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ }{ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ } وهو تبع الحميري، واسمه أسعد أبو كرب، قال قتادة : ذم الله قومه ولم يذمه، ذكرنا قصته في سورة الدخان (1) { كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ } ، أي كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل، { فَحَقَّ وَعِيدِ } ، وجب لهما عذابي، ثم أنزل جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد.
[15] { أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ } يعني أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالإعادة وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، ويقال لكل من عجز عن شيء عيي به. { بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ } ، أي في شك، { مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ } ، وهو البعث.

_____
(1) آية (37)

[16] { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ } ، يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره، { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ } ، أعلم به، { مِنْ حَبْلِ } { الْوَرِيدِ } لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضًا، ولا يحجب علم الله شيء، وحبل الوريد عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرق في سائر البدن، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.
[17] { إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ } ، إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، { عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ } أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. { قَعِيدٌ } ، أي قاعد، ولم يقل قعيدان لأنه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة، وقال أهل الكوفة: أراد قعودا كالرسول يجعل للاثنين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنين: { فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، قيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. قال مجاهد : القعيد الرصيد.

[18] { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ } ، ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه من فيه، { إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ } ، حافظ، { عَتِيدٌ } حاضر أينما كان. قال الحسن : إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين عند غائطه وعند جماعه.
[19] { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ } ، غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب

على عقله، { بِالْحَقِّ } أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان. وقيل: بما يئول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة. ويقال: لمن جاءته سكرة الموت، { ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } ، تميل، قال الحسن : تهرب. قال ابن عباس : تكره، وأصل الحَيْد الْمَيْل، يقال: حدتُ عن الشيء أحيد حَيْدًا ومحيدًا إذا ملت عنه .
[20] { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ } ، يعني نفخة البعث، { ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ } ، أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه. قال مقاتل : يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد.

[21] { وَجَاءَتْ } ، ذلك اليوم، { كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ } ، يسوقها إلى المحشر، { وَشَهِيدٌ } ، يشهد عليها بما عملت، وهو عمله، قال الضحاك : السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل، وهى رواية العوفي عن ابن عباس . وقال الآخرون: هما جميعا من الملائكة.
[22] فيقول الله لها: { لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا } ، اليوم في الدنيا، { فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ } ، الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك، { فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } ، نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. وروي عن مجاهد قال: يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك.
[23] { وَقَالَ قَرِينُهُ } ، الملك الموكل به، { هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ } ، معد محضر، وقيل: (ما) بمعنى (من) ، وقال مجاهد : يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندك قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله.

[24] فيقول الله -عزّ وجلّ- لقرينه: { أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ } هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، يقولون: ويلك ارحلاها وازجراها وخذاها وأطلقاها، للواحد، قال الفراء : وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم في الشعر للواحد خليليَّ. وقال الزجاج : هذا أمر للسائق والشهيد، وقيل: للمتلقيين.
{ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ } معرض عن الحق. قال عكرمة ومجاهد : مجانب للحق معاند لله .
[25] { مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ } ، أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله، { مُعْتَدٍ } ، ظالم لا يقر بتوحيد الله { مُرِيبٍ } ، شاكّ في التوحيد، ومعناه: داخل في الريب.
{ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ } ، وهو النار.

[27] { قَالَ قَرِينُهُ } ، يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر، { رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ } ، ما أضللته وما أغويته، { وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ } ، عن الحق فيتبرأ منه شيطانه، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل : قال قرينه يعني الملك، قال سعيد بن جبير : يقول الكافر يا رب إن الملك زاد علي في الكتابة، فيقول الملك: ربنا ما أطغيته، يعني ما زدت عليه وما كتبتُ إلا ما قال وعمل، ولكن كان في ضلال بعيد طويل لا يرجع عنه إلى الحق.
[28] { قَالَ } ، يعني يقول الله { لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ } ، في القرآن وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسول، وقضيت عليكم ما أنا قاض.

[29] { مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ } ، لا تبديل لقولي وهو قوله: { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } ، وقال قوم. معنى قوله: (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) أي: لا يكذب القول عندي، ولا يغير القول عن وجهه لأني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي واختيار الفراء، لأنه قال: (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) ولم يقل ما يبدل لي. { وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } ، فأعاقبهم بغير جرم.
[30] { يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ } ، قرأ نافع وأبو بكر بالياء، أي يقول الله لقوله: (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ) ، وقرأ الآخرون بالنون، { هَلِ امْتَلَأْتِ } ، وذلك لما سبق لها من وعده إيّاها أنه يملؤها من الجنة والناس، وهذا السؤال من الله -عزّ وجلّ- لتصديق خبره وتحقيق وعده، { وَتَقُولُ } ، جهنم، { هَلْ مِنْ مَزِيدٍ } . قيل: معناه قد امتلأت فلم يبق في موضع لم يمتلئ، فهو استفهام إنكار، هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان، وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح وعلى هذا يكون السؤال بقوله:

(هَلِ امْتَلَأْتِ) ، قيل دخول جميع أهلها فيها، وروي عن ابن عباس : أن الله تعالى سبقت كلمته { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } ، فلما سيق أعداء الله إليها لا يلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء.
[31] { وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ } ، قربت وأدنيت، { لِلْمُتَّقِينَ } ، الشرك، { غَيْرَ بَعِيدٍ } ، ينظرون إليها قبل أن يدخلوها.
[32] { هَذَا مَا تُوعَدُونَ } ، قرأ ابن كثير بالياء والآخرون بالتاء، يقال لهم: هذا الذي ترونه ما توعدون على ألسنة الأنبياء عليهم السلام، { لِكُلِّ أَوَّابٍ } ، رجاع إلى الطاعة عن المعاصي، قال سعيد بن المسيب هو الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال الشعبي ومجاهد : الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. وقال الضحاك : هو التواب.

وقال ابن عباس وعطاء : هو المسبح، من قوله: { يا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ } وقال قتادة : هو المصلي. { حَفِيظٍ } ، قال ابن عباس : الحافظ لأمر الله، وعنه أيضا: هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها. قال قتادة : حفيظ لما استودعه الله من حقه. قال الضحاك : المحافظ على نفسه المتعهد لها. قال الشعبي : المراقب. قال سهل بن عبد الله: هو المحافظ على الطاعات والأوامر.
[33] { مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ } ، محل (من) جر على نعت الأواب. وقيل: رفع على الاستئناف، ومعنى الآية: من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي : يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن : إذا أرخى الستر وأغلق الباب. { وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ } ، مخلص مقبل إلى طاعة الله.
[34] { ادْخُلُوهَا } ، أي يقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها، أي ادخلوا الجنة. { بِسَلَامٍ } ، بسلامة من العذاب والهموم. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النعم، { ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ } .

[35] { لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا } ، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاءوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: { وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ } ، يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس : هو النظر إلى وجه الله الكريم.

[36] قوله -عزّ وجلّ-: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ } ، ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا، وأصله من النقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق، { هَلْ مِنْ مَحِيصٍ } ، فلم يجدوا محيصا من أمر الله. وقيل: هل من محيص: مفر من الموت؟ فلم يجدوا منه مفرًّا، وإنذار لأهل مكة وأنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرًّا عن الموت، يموتون فيصيرون إلى عذاب الله.
[37] { إِنَّ فِي ذَلِكَ } ، فيما ذكرت من العبر والعذاب وإهلاك القرى، { لَذِكْرَى } ، تذكرة وعظة، { لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ } ، قال ابن عباس : أي عقل. قال الفراء : هذا جائز في العربية، تقول: مالك قلب وما قلبك معك، أي ما عقلك معك. وقيل: له قلب حاضر مع الله. { أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ } ، استمع القرآن، واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره، تقول العرب: ألق إليَّ سمعكَ، يعني استمع، { وَهُوَ شَهِيدٌ } ويعني حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه.
[38] قوله -عزّ وجلّ-: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } ، إعياء وتعب.

[39] { فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ } ، من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد، وهذا قبل الأمر بقتالهم، { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ } ، أي صلِّ حمدًا لله، { قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ } ، يعني صلاة الصبح، { وَقَبْلَ الْغُرُوبِ } ، يعني صلاة العصر. ورُوي عن ابن عباس قال: قبل الغروب الظهر والعصر.
[40] { وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ } ، يعني صلاة المغرب والعشاء. وقال مجاهد : ومن الليل أي صلاة الليل أي وقت صلّي. { وَأَدْبَارَ السُّجُودِ } ، قرأ أهل الحجاز وحمزة : (وإدبار السجود) بكسر الهمزة، مصدر أدبر إدبار، وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر. قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن والشعبي والنخعي والأوزاعي : أدبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر، وقال مجاهد : قوله: (أدبار السجود) هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات.

[41] قوله -عزّ وجلّ-: { وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ } ، أي واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي، قال مقاتل : يعني إسرافيل ينادي بالحشر يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.
[42] { يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ } ، وهي الصيحة الأخيرة، { ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ } ، من القبور. 43،
[44] { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ } { يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا } ، جمع سريع أي يخرجون سراعا، { ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا } ، جمع علينا { يَسِيرٌ } .
[45] { نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ } ، يعني كفار مكة في تكذيبك، { وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ } ، بمسلط تجبرهم على الإسلام إنما بعثت مذكرا، { فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ } ، أي ما أوعدت به من عصاني من العذاب. قال ابن عباس : قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا، فنزلت: { فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ } .

(51) سورة الذاريات
[1] { وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا } ، يعني الرياح التي [تذرو] التراب ذروًا، يقال: ذرت

الريح التراب وأذرت.
[2] { فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا } ، يعني السحاب التي تحمل ثقلًا من الماء.
[3] { فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا } ، هي السفن تجري في الماء جريا سهلًا.
[4] { فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا } ، هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به، أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.
[5] ثم ذكر المقسم عليه فقال: { إِنَّمَا تُوعَدُونَ } ، من الثواب والعقاب، { لَصَادِقٌ }
[6] { وَإِنَّ الدِّينَ } ، الحساب والجزاء، { لَوَاقِعٌ } ، لكائن.

[7] ثم ابتدأ قسما آخر فقال: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ } ، قال ابن عباس وقتادة وعكرمة : ذات الخلق الحسن المستوي، يقال للنساج إذا نسج [الثوب] فأجاد: ما أحسن [حَبْكَه] قال سعيد بن جبير : ذات الزينة. قال الحسن : حبكت بالنجوم. قال مجاهد : هي المتقنة البنيان. وقال مقاتل والكلبي والضحاك : ذات الطرائق كحبك الماء إذا ضربته الريح، وحبك الرمل والشعر الجعد، ولكنها لا ترى لبعدها من الناس، وهي جمع حباك وحبيكة، وجواب القسم قوله في الآية التالية:
[8] { إِنَّكُمْ } ، يا أهل مكة، { لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ } ، في القرآن وفي محمد -صلى الله عليه وسلم- تقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الأولين، وفي محمد -صلى الله عليه وسلم- ساحر وشاعر ومجنون. وقيل: لفي قول مختلف أي مصدّق ومكذّب.
[9] { يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ } ، يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه، يعني من حرمه الله الإيمان بمحمد صلي الله عليه وسلم وبالقرآن.
وقيل (عن) بمعنى: من أجل، أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من يصرف.
وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان.

[10] { قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ } ، لعن الكذابون، يقال: تخرص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الذين اقتسموا القول في النبي صلي الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن دين الإسلام، وقال مجاهد : هم الكهنة.
[11] { الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ } ، غفلة وعمى وجهالة، { سَاهُونَ } لاهون غافلون عن أمر الآخرة، والسهو: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه.
[12] { يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ } ، يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء، يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء.
[13] قال الله عز وجل: { يَوْمَ هُمْ } ، أي يكون هذا الجزاء في يوم هم { عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ } ، أي: يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار.
وقيل: على بمعنى الباء أي بالنار، وتقول لهم خزنة النار:
[14] { ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ } ، عذابكم، { هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ } ، في الدنيا تكذيبا به. 15،
[16] { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ }{ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ } ، أعطاهم، { رَبُّهُمْ } ، من الخير والكرامة، { إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ } ، قبل دخولهم الجنة، { مُحْسِنِينَ } ، في الدنيا.

[17] { كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } ، والهجوع النوم بالليل دون النهار، وما صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلا من الليل أي يصلون أكثر الليل، وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلا، هذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس، يعني: كانوا قل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها شيئا إما من أولها أو من أوسطها، ووقف بعضهم على قوله: قليلا أي كانوا من الناس قليلا، ثم ابتدأ: { مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } وجعله جحدا، أي: لا ينامون بالليل ألبتة، بل يقومون للصلاة والعبادة.
[18] { وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } ، قال الحسن : لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار.
وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل : وبالأسحار يصلون، وذلك أن صلاتهم بالأسحار طلب المغفرة.
[19] قوله عز وجل: { وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ } ، السائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي ليس له في الغنيمة سهم، ولا يجري عليه من الفيء شيء، هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب، قال: المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي منع الخير والعطاء.

وقال قتادة والزهري : المحروم المتعفف الذي لا يسأل.
وقال زيد بن أسلم : هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته.
وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: { إِنَّا لَمُغْرَمُونَ }{ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ } . 20،
[21] { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ } ، عبر، { لِلْمُوقِنِينَ } ، إذا ساروا فيها، من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات.
{ وَفِي أَنْفُسِكُمْ } ، آيات إذا كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن نفخ فيها الروح. وقال عطاء عن ابن عباس : يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع.
{ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } ، قال مقاتل : أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.
[22] { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ } ، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل : يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، { وَمَا تُوعَدُونَ } ، قال عطاء : من الثواب والعقاب.
وقال مجاهد : من الخير والشر.
وقال الضحاك : وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:
[23] { فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ } ، أي: ما ذكرت من أمر الرزق لحق، { مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ } ، فتقولون: لا إله إلا الله.

وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت ههنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة.
قال بعض الحكماء: يعني كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.
[24] قوله عز وجل: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ } ، وهم الملائكة الذين جاءوه بالبشرى كما في سورة هود آية (69) ، { الْمُكْرَمِينَ } ، قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم.
{ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ } ، وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم

الخليقة، وضيف الكرام مكرمون.
وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم، والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه.
وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : خدمته بنفسه إياهم.
وروي عن ابن عباس : سماهم مكرمين لأنهم جاءوا غير مدعوين.
[25] { إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ } ، إبراهيم، { سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ } ، أي: غرباء لا نعرفكم، قال ابن عباس : قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم.

وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان.
وقال أبو العالية : أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.
[26] { فَرَاغَ } ، فعدل ومال، { إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ } ، مشوي.
[27 - 29] { فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ } ، ليأكلوا فلم يأكلوا، { قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ }{ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ }{ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ } ، أي صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالا من مكان إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تولول كما قال الله تعالى: { قَالَتْ يا وَيْلَتى } ، { فَصَكَّتْ وَجْهَهَا } ، قال ابن عباس : لطمت وجهها، وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا، كعادة النساء إذا أنكرن شيئا، وأصل الصك: ضرب الشيء بالشيء العريض.
{ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ } ، مجازه: أتلد عجوز عقيم، وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.
[30] { قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ } ، أي: كما قلنا لك قال ربك: إنك ستلدين غلاما، { إِنَّهُ هُوَ }{ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ } .

[31 - 32] { قَالَ } ، إبراهيم، { فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ }{ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ } ، يعني قوم لوط. 33،
[34] { لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ }{ مُسَوَّمَةً } معلمة، { عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ } ، قال ابن عباس : للمشركين، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها.
[35] { فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا } ، أي: في قرى قوم لوط، { مَنْ كَانَ } ، وذلك قوله: { فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ } .
[36] { فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ } ، أي غير أهل بيت { مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يعني لوطا وابنتيه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.
[37] { وَتَرَكْنَا فِيهَا } ، أي في مدينة قوم لوط، { آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } ، أي علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم.
[38] { وَفِي مُوسَى } ، أي وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة.

وقيل: هو معطوف على قوله: { وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ } وفي موسى، { إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } ، بحجة ظاهرة.
[39] { فَتَوَلَّى } ، أي فأعرض وأدبر عن الإيمان، { بِرُكْنِهِ } ، أي بجمعه وجنوده الذين [كان] يتقوى بهم، كالركن الذي يقوى به البنيان، نظيره قوله.
{ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ } ، { وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ } قال أبو عبيدة : أو بمعنى الواو.

[40] { فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ } ، أغرقناهم فيه { وَهُوَ مُلِيمٌ } ، أي آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل.
[41] { وَفِي عَادٍ } ، أي وفي إهلاك عاد أيضا آية، { إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ } ، وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا.
[42] { مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ } ، من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم وأموالهم، { إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ } ، كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض.

إذا يبس وديس. قال مجاهد : كالتبن اليابس. قال قتادة : كرميم الشجر. قال أبو العالية : كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي.
[43] { وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ } ، يعني وقت فناء آجالهم، وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.
[44] { فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ } ، يعني بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل : يعني العذاب "والصاعقة. كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي (الصعقة) ، وهي الصوت الذي يكون من الصاعقة، { وَهُمْ يَنْظُرُونَ } ، يرون ذلك عيانا.
[45] { فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ } ، فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض.
قال قتادة : لم ينهضوا من تلك الصرعة، { وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ } ، منتقمين منا.
قال قتادة : ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.
[46] { وَقَوْمَ نُوحٍ } ، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي (وقومِ) بجر الميم، أي وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى، وهو أن قوله: { فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ } ، معناه.

أغرقناهم، كأنه قال: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح.
{ مِنْ قَبْلُ } ، أي من قبل هؤلاء، وهم عاد وثمود وقوم فرعون، { إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ }
[47] { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } ، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لقادرون.
وعنه أيضا لموسعون الرزق على خلقنا.
وقيل: ذو سعة، وقال الضحاك : أغنياء، دليله قوله عز وجل: { عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ } ، قال الحسن : المطيقون.
[48] { وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا } ، بسطناها ومهدناها لكم، { فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ } ، الباسطون نحن.
قال ابن عباس نعم ما وطأت لعبادي.
[49] { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ } ، صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمر.
{ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } ، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد. 50،
[51] { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ } ، فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان والطاعة.

قال ابن عباس : فروا منه إليه واعملوا بطاعته.
وقال سهل بن عبد الله : فروا مما سوى الله إلى الله.

{ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ }{ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ }

[52] { كَذَلِكَ } ، أي كما كذبك قومك يا محمد وقالوا: ساحر أو مجنون، كذلك { مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } ، من قبل كفار مكة، { مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ } . 53،
[54] قال الله تعالى: { أَتَوَاصَوْا بِهِ } ، أي أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤوا عليه؟ والألف فيه للتوبيخ، { بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ } ، قال ابن عباس : حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك،
{ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ } ، فأعرض عنهم، { فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ } ، لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به.
قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلي الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي صلي الله عليه وسلم أن يتولى عنهم.
[55] فأنزل الله تعالى { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } ، فطابت أنفسهم.
قال مقاتل : معناه عظ بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من في علم الله أن يؤمن منهما.
وقال الكلبي : عظ بالقرآن من آمن من قومك، فإن الذكرى تنفعهم.

[56] { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } ، قال الكلبي والضحاك وسفيان : هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس : (وما خلقت الجن والإنس -من المؤمنين- إلا ليعبدون) ، ثم قال في آية أخرى.
{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ } ، وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد بن أسلم، قال: هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة.
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم لعبادتي، يؤيده قوله عز وجل: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا } ، وقال مجاهد : إلا ليعرفوني.
وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله قوله تعالى:
{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } ، وقيل: معناه إلا ليخضعوا إلي ويتذللوا.
ومعنى العبادة في اللغة، التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق عليه قدر ذرة من نفع أو ضرر.

وقيل إلا ليعبدون إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء.
[57] { مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ } ، أي أن يرزقوا أحدا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم، { وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ } أي أن يطعموا أحدا من خلقي، وإنما أسند الطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه.
ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال:
[58] { إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ } ، يعني لجميع خلقه، { ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ } وهو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة.

[59] { فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا } ، كفروا من أهل مكة، { ذَنُوبًا } من العذاب، { مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ } ، مثل نصيب أصحابهم الذين أهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأصل الذنوب في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب { فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ } ، بالعذاب، يعني أنهم أخروا إلى يوم القيامة.
[60] يدل عليه قوله عز وجل: { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ } ، يعني يوم القيامة، وقيل يوم بدر.

(52) سورة الطور
[1] { وَالطُّورِ } ، أراد به الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة، أقسم الله تعالى به.
[2] { وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ } مكتوب.
[3] { فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ } ، الرق: ما يكتب فيه، وهو أديم المصحف، والمنشور المبسوط، واختلفوا في هذا الكتاب، قال الكلبي : هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة [وموسى يسمع صرير القلم] .
وقيل: هو اللوح المحفوظ.
وقيل: هو دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله.
دليله قوله عز وجل: { وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا } .
[4] { وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ } ، بكثرة الغاشية والأهل، وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له: الضراح، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبدا.
[5] { وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ } ، يعني السماء، نظيره قوله عز وجل: { وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا } .
[6] { وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ } ، قال محمد بن كعب القرظي، والضحاك : يعني الموقد المحمى.

وقال مجاهد والكلبي : المسجور المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته.
وقال الحسن وقتادة وأبو العالية : هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب.
وقال الربيع بن أنس : هو المختلط العذب بالملح.
وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي أنه قال في البحر المسجور.
هو بحر تحت العرش، سعته كما بين سبع سماوات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان.
تمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبتون في قبورهم.
هذا قول مقاتل.
أقسم الله بهذه الأشياء.
[7] { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ } ، نازل كائن.
[8] { مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ } ، مانع، ثم بين أنه متى يقع فقال.
[9] { يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا } ، أي تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة.
قال قتادة : تتحرك.
قال عطاء الخراساني : تختلف أجزاؤها بعضها في بعض.
وقيل: تضطرب، والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة: الذهاب والمجيء

والتردد والدوران والاضطراب.
[10] { وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا } ، فتزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا. 11،

[12] { فَوَيْلٌ } ، فشدة عذاب، { يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ } ، يخوضون في الباطل يلعبون غافلين لاهين.
[13] { يَوْمَ يُدَعُّونَ } ، يدفعون، { إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا } ، دفعا بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم إلى النار دفعا على وجوههم، وزجا في أقفيتهم حتى يردوا النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها:
[14] { هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ } ، في الدنيا.

[15] { أَفَسِحْرٌ هَذَا } ، وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا صلي الله عليه وسلم إلى السحر، وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر، فوبخوا به، وقيل لهم: { أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ } .
[16] { اصْلَوْهَا } ، قاسوا شدتها، { فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ } ، الصبر والجزع، { إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } . 17،
[18] { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ }{ فَاكِهِينَ } ، معجبين بذلك ناعمين، { بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } ، ويقال لهم:
[19] { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا } ، مأمون العاقبة من التخمة والسقم، { بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } .
[20] { مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ } ، موضوعة بعضها إلى جنب بعض، { وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ } .

[21] { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ } ، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعني أولادهم الصغار والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعا لأحد الأبوين.

{ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } ، المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم، وقال آخرون: معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم، أخبر الله عز وجل أنه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه، من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا، فذلك قوله:
{ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ } أى ما نقصناهم يعنى الآباء، { مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ } قال مقاتل : كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا، لقوله عز وجل: { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } { إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ } ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة.
[22] فقال: { وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ } ، زيادة على ما كان لهم، { وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ } ، من أنواع اللحمان.
[23] { يَتَنَازَعُونَ } ، يتعاطون ويتناولون، { فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا } ، وهو الباطل.

وقال مقاتل بن حيان : لا فضول فيها.
وقال سعيد بن المسيب : لا رفث فيها.
وقال ابن زيد :ٍلا سباب ولا تخاصم فيها وقال القتيبي : لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا { وَلَا تَأْثِيمٌ } ، أي لا يكون منهم ما يؤثمهم.
قال الزجاج : لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا بشربة الخمر.
وقيل: لا يأثمون في شربها.
[24] { وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ } ، بالخدمة، { غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ } ، في الحسن والبياض والصفاء، { لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ } ، مخزون مصون لم تمسه الأيدي.
قال سعيد بن جبير : مكنون يعني في الصدف.
[25] { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ } ، يسأل بعضهم بعضا في الجنة.
قال ابن عباس : يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا.
[26] { قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا } ، في الدنيا، { مُشْفِقِينَ } ، خائفين من العذاب.
[27] { فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا } ، بالمغفرة، { وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ } ، قال الكلبي : عذاب النار.
وقال الحسن : السموم اسم من أسماء جهنم.

[28] { إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ } ، في الدنيا { نَدْعُوهُ } ، نخلص له العبادة، { إِنَّهُ } ، قرأ أهل المدينة والكسائي (أنه) بفتح الألف، أي لأنه أو بأنه.
وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف، { هُوَ الْبَرُّ } ، قال ابن عباس : اللطيف.
وقال الضحاك : الصادق فيما وعد { الرَّحِيمُ } .
[29] { فَذَكِّرْ } ، يا محمد بالقرآن أهل مكة { فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ } ، برحمته وعصمته، { بِكَاهِنٍ } ، تبتدع القرآن وتخبر بما في غد من غير وحي، { وَلَا مَجْنُونٍ } ، نزلت في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله صلي الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والجنون والشعر.
[30] { أَمْ يَقُولُونَ } ، بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين.
{ شَاعِرٌ } ، أي هو شاعر، { نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ } ، حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء، ويتفرق أصحابه وأَنَّ أَبَاهُ مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه، والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت، سميا بذلك لأنهما يقطعان الأجل.

[31] { قُلْ تَرَبَّصُوا } ، انتظروا بي الموت، { فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ } ، من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فتعذبوا يوم بدر بالسيف.

[32] { أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ } ، عقولهم، { بِهَذَا } ، وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تتم لهم معرفة الحق من الباطل، { أَمْ هُمْ } ، بل هم، { قَوْمٌ طَاغُونَ } .
[33] { أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ } ، أي تخلق القرآن من تلقاء نفسه، والتقول: تكلف القول، ولا يستعمل ذلك إلا في الكذب وليس الأمر كما زعموا، { بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ } ، بالقرآن استكبارا.
[34] ثم ألزمهم الحجة فقال: { فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ } ، أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه، { إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } ، أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه.
[35] { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ } ، قال ابن عباس : من غير رب، ومعناه:

أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، { أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } ، لأنفسهم ذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق.
فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي .

قال الزجاج : معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون؟.
وقال ابن كيسان : أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون، فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي لغير شيء، أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر؟
[36] { أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } ، فيكونوا هم الخالقين، ليس الأمر كذلك، { بَل لَا يُوقِنُونَ } .
[37] { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ } ، قال عكرمة : يعني النبوة.
قال مقاتل : أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاءوا؟
قال الكلبي : خزائن المطر والرزق، { أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ } ، المسلطون الجبارون، قال عطاء : أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمر ونهي، ويفعلون ما شاءوا.
[38] { أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ } ، مرقى ومصعد إلى السماء، { يَسْتَمِعُونَ فِيهِ } ، أي يستمعون عليه الوحي، كقوله: { وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } أي عليها، أي ألهم سلم يرتقون به إلى السماء، فيستمعون الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق بالوحي، فهم متمسكون به كذلك؟ { فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ } ، إن ادعوا ذلك، { بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } ، بحجة بينة.

[39] { أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ } ، هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون، كقوله: { فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ } .
[40] { أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا } ، جعلا على ما جئتهم به ودعوتهم إليه من الدين، { فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ } ، أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم، فمنعهم ذلك عن الإسلام.
[41] { أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ } ، أي علم ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل.
وقال قتادة : هذا جواب لقولهم: { نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ } ، يقول: أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم يموت قبلهم؟ { فَهُمْ يَكْتُبُونَ } ، قال القتيبي : فهم يكتبون أي يحكمون، والكتاب الحكم، قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجلين اللذين تخاصما إليه: « أقضى بينكما بكتاب الله » ، أي بحكم الله، وقال ابن عباس : معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟.

[42] { أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا } ، مكرا بك ليهلكوك، { فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ } ، أي هم المجزيون بكيدهم يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم، ويحيق مكرهم بهم، وذلك أنهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا ببدر .
[43] { أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ } ، يرزقهم وينصرهم، { سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } ، قال الخليل : ما في هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف.
[44] { وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا } ، قطعة، { مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا } ، هذا جواب

لقولهم: { فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ } يقول: لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم، { يَقُولُوا } ، لمعاندتهم هذا { سَحَابٌ مَرْكُومٌ } ، بعضه على بعض يسقينا.
[45] { فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا } ، يعاينوا، { يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ } ، يموتون، أي حتى يعاينوا الموت.
[46] { يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ } ، أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع.

[47] { وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا } ، كفروا، { عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ } ، أي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة.
قال ابن عباس : يعني القتل يوم بدر.
وقال مجاهد : هو الجوع والقحط سبع سنين.
وقال البراء بن عازب : هو عذاب القبر.
{ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } ، أن العذاب نازل بهم.
[48] { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ } ، إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم، { فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } ، أي بمرأى منا قال ابن عباس : نرى ما يعمل بك.
وقال الزجاج : معناه أنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك.
{ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ } ، قال سعيد بن جبير وعطاء أي قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيرا ازددت إحسانا، وإن كان غير ذلك كان كفارة له.
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه صل لله حين تقوم من مقامك.
وقال الضحاك والربيع، إذا قمت إلى الصلاة فقل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.
وقال الكلبي : هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن يدخل في صلاته.

[49] { وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ } ، أي صل له، قال مقاتل : يعني صلاة المغرب والعشاء.
{ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ } ، يعني ركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح، هذا قول أكثر المفسرين.
وقال الضحاك : هو فريضة صلاة الصبح.

(53) سورة النجم
[1] { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى } ، قال ابن عباس - في رواية الوالبي والعوفي -: يعني الثريا إذا سقطت وغابت، وهويه مغيبه، وقال مجاهد : هي نجوم السماء كلها حين تغرب، لفظه واحد ومعناه الجمع؟ سمي الكوكب نجما لطلوعه، وكل طالع نجم يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلع.
عن ابن عباس : ما ترمى بها الشياطين عند استراقهم السمع، وقيل: المراد بالنجم القرآن سمي نجما؛ لأنه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة، وسمي التفريق: تنجيما، والمفرق: منجما، والهوى: النزول من أعلى إلى أسفل.
[2، 3] وجواب القسم قوله: { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ } ، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى، { وَمَا غَوَى }{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى } ، يعني بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن محمدا صلى الله عليه وسلم يقول القرآن من تلقاء نفسه.

[4] { إِنْ هُوَ } ، ما نطقه في الدين، وقيل: القرآن، { إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } ، يعني وحي من الله يوحى إليه.
[5] { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى } ، وهو جبريل، والقوى جمع القوة.
[6] { ذُو مِرَّةٍ } ، قوة وشدة في خلقه، يعني جبريل.

قال ابن عباس : ذو مرة يعني ذو منظر حسن.
وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن.
{ فَاسْتَوَى } ، يعني جبريل.
[7] { وَهُوَ } ، يعني محمدا صلي الله عليه وسلم، ومعنى الآية: استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج، { بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى } ، وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس، وقيل: فاستوى يعني جبريل، وهو كناية عن جبريل أيضا، أي قام في صورته التي خلقه الله، وهو بالأفق الأعلى { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى } .
[8، 9] قوله عز وجل: { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى } ، اختلفوا في معناه، فقيل: جبريل فمعنى الآية: ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض، فتدلى فنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، بل أدنى، وقال آخرون: ثم دنا الله عز وجل من محمد صلي الله عليه وسلم فتدلى، فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وقال مجاهد : دنا جبريل من ربه.

وقال الضحاك : دنا محمد صلي الله عليه وسلم من ربه فتدلى فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين أو أدنى، ومعنى قوله: قَابَ قَوْسَيْنِ أي قدر قوسين، والقاب والقيب، والقاد والقيد عبارة عن المقدار، والقوس: ما يرمى به، فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد صلي الله عليه وسلم مقدار قوسين.
[10] { فَأَوْحَى } أي أوحى الله، { إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } ، محمد صلي الله عليه وسلم ، قال ابن عباس، معناه أوحى جبريل إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه عز وجل.
قال سعيد بن جبير : أوحى إليه: { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } إلى قوله تعالى: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } ، وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

[11] { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } ، قرأ أبو جعفر : ما كذب بتشديد الذال، أي: ما كذب قلب محمد صلي الله عليه وسلم ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي ما كذب فؤاد محمد صلي الله عليه وسلم الذي رأى، بل صدقه، يقال: كذبه إذا قال له الكذب، وصدقه إذا قال له الصدق، مجازه: ما كذب الفؤاد فيما رأى، واختلفوا في الذي رآه، فقال قوم: رأى جبريل، وقال آخرون: هو الله عز وجل.
ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرأى بفؤاده، وهو قول ابن عباس، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه.
[12] { أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى } ، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب : (أفتمرونه) بفتح التاء بلا ألف، أي أفتجحدونه، تقول العرب: مريت الرجل حقه إذا جحدته، وقرأ الآخرون: (أفتمارونه) بالألف وضم التاء، على معنى أفتجادلونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أسري به، فقالوا: صف لنا بيت المقدس.
[13] { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى } ، يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليه

نازلا من السماء نزلة أخرى.
وذلك أنه رآه في صورته مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء.

[14] { عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى } ، وعلى قول ابن عباس معنى.
{ نَزْلَةً أُخْرَى } هو أنه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم عرجات في تلك الليلة لمسألته التخفيف من أعداد الصلوات، فيكون لكل عرجة نزلة، فرأى ربه في بعضها، والسدرة شجرة النبق، وقيل لها: سدرة المنتهى لأنه إليها ينتهي علم الخلق.
[15] { عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى } ، قال عطاء عن ابن عباس : جنة المأوى جنة يأوي إليها جبريل والملائكة.
وقال مقاتل والكلبي : تأوي إليها أرواح الشهداء.
[16] { إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى } ، قال ابن مسعود : فراش من ذهب، وقال مقاتل : تغشاها الملائكة وقال السدي : من الطيور، وعن الحسن قال: غشيها نور رب العزة فاستنارت.
[17] { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } ، أي ما مال بصر النبي صلي الله عليه وسلم يمينا ولا شمالا وما طغى، أي ما جاوز ما رأى.
وقيل: ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا.
[18] { لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } ، يعني الآيات العظام.
وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده.

[19] قوله: { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى } ، هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها.
[20] { وَمَنَاةَ } قال قتادة : هي لخزاعة كانت بقديد، وقال ابن زيد : بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب.
قال الضحاك : مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة.
وقال بعضهم: اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها، وأما قوله: { الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى } ، فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر، ومعنى الآية: أفرأيتم أخبرونا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا. 21،
[22] فقال الله تعالى منكرا عليهم: { أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى }{ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى } ، قال ابن عباس وقتادة : أي قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم.
قال مجاهد ومقاتل : قسمة عوجاء.
وقال الحسن : غير معتدلة.

[23] { إِنْ هِيَ } ، ما هذه الأصنام، { إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } ، حجة وبرهان بما تقولون إنها آلهة، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال: { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ } ، في قولهم إنها آلهة، { وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } ، وهو ما زين لهم الشيطان، { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى } ، البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار.
[24] { أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى } ، أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الأصنام.
[25] { فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى } ، ليس كما ظن الكافر وتمنى، بل لله الآخرة

والأولى لا يملك أحد فيهما شيئا إلا بإذنه.
[26] { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ } ، ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله، { لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ } ، في الشفاعة، { لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } ، أي من أهل التوحيد.

قال ابن عباس : يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه، وجمع الكناية في قوله: شفاعتهم والملك واحد لأن المراد من قوله: وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ ، الكثرة فهو كقوله: { فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ } .

[27] { إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى } ، أي بتسمية الأنثى حين قالوا: إنهم بنات الله.
[28] { وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ } ، قال مقاتل : معناه ما يستيقنون أنهم إناث، { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا } ، والحق بمعنى العلم أي لا يقوم الظن مقام العلم.
وقيل: الحق بمعنى العذاب، أي أظنهم لا ينقذهم من العذاب.
[29] { فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا } ، يعني القرآن.
وقيل: الإيمان، { وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } .
[30] ثم صغر رأيهم، فقال: { ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ } ، أي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.
وقيل: لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن.
{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى } ، أي هو عالم بالفريقين فيجازيهم.

[31] { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } ، وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله: { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا } ، فاللام في قوله: (ليجزي) متعلق بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلا بما يستحقه، الذين أساءوا أي أشركوا بما عملوا من الشرك، { وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } ، وحدّوا ربهم بالحسنى بالجنة، وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك، ولذلك قال: { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } .
[32] ثم وصفهم فقال: { الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ } ، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللمم: من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الوقعة ثم ينتهي، وأصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان الحين بعد الحين، ولا يكون له إعادة ولا إقامة عليه.

وقال آخرون: هذا استثناء منقطع مجازه لكن اللمم، ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش، ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به، وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، وقال الكلبي : اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فلذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش، والوجه الآخر هو: الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه.

وقال سعيد بن المسيب : هو ما لم على القلب أي خطر.
وقال الحسين بن الفضل : اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور، فإن أعاد النظر فليس بلمم وهو ذنب.
{ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ } ، قال ابن عباس : لمن فعل ذلك وتاب، تم الكلام ههنا، ثم قال: { هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ } ، أي: خلق أباكم آدم من التراب، { وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ } ، جمع جنين، سمي جنينا لاجتنانه في البطن، { فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ } ، قال ابن عباس : لا تمدحوها.

قال الحسن : علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم، فلا تبرؤها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها { هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } ، أي بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى.
[33] قوله عز وجل: { أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى } ، نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد اتبع النبي صلي الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين، وقال: أتركت دين الأشياخ وضللتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه إن هو أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيره بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه، فأنزل الله عز وجل: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى) أدبر عن الإيمان.
[34] { وَأَعْطَى } ، صاحبه، { قَلِيلًا وَأَكْدَى } بخل بالباقي، ومعنى أكدى: يعني قطع، وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر، تقول العرب: أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل.
[35] { أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى } ، ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه.

[36] { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ } ، لم يخبر، { بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى } ، يعني: أسفار التوراة.
[37] { وَإِبْرَاهِيمَ } ، وفي صحف إبراهيم عليه السلام، { الَّذِي وَفَّى } ، تمم وأكمل ما أمر به.
قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة : عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه.
قال مجاهد : وفى بما فرض عليه.
قال الربيع : وفى رؤياه وقام بذبح ابنه.
وقال عطاء الخراساني : استكمل الطاعة.
وقال أبو العالية : وفى سهام الإسلام، والتوفية الإتمام.
وقال الضحاك : وفى ميثاق المناسك.
[38] ثم بين ما في صحفهما فقال: { أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } ، أي لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى، ومعناه: لا تؤخذ نفس بإثم غيرها.
[39] { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } ، أي عمل كقوله: { إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى } ، وهذا أيضا في صحف إبراهيم وموسى .
[40] { وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى } ، في ميزانه يوم القيامة، مأخوذة من: من أريته الشيء.
[41] { ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى } ، الأكمل والأتم أي يجزي الإنسان بسعيه، يقال: جزيت فلانا سعيه وبسعيه.

[42] { وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى } ، أي منتهى الخلق ومصيرهم إليه، وهو مجازيهم بأعمالهم.
وقيل: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال.
[43] { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى } ، فهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي : أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار.
وقال الضحاك : أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.
قال عطاء بن أبي مسلم : يعني فرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء.
[44] { وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا } ، أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث.
وقيل أمات الآباء وأحيا الأبناء.
وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة.

[45] { وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى } ، من كل حيوان.
[46] { مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى } ، أي تصب في الرحم، يقال منى الرجل وأمنى
وقيل: تقدر، يقال: منيت الشيء إذا قدرته.
[47] { وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى } ، أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.
[48] { وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى } ، قال أبو صالح : أغنى الناس بالأموال، وأقنى أي: أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية.
قال الضحاك : أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وأقنى بالإبل والبقر والغنم.
وقال قتادة والحسن : أقنى أخدم.
وقال ابن عباس : أغنى وأقنى: أعطى فأرضى.
قال مجاهد ومقاتل : أقنى أرضى بما أعطى وقنع.
وقال ابن زيد : أغنى: أكثر، وأقنى: أقل، وقرأ: (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ، وقال الأخفش : أقنى أفقر.
وقال ابن كيسان : أولد.
[49] { وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى } ، وهو كوكب خلف الجوزاء وكانت خزاعة تعبدها.
[50] { وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى } ، وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى.

[51] { وَثَمُودَ } ، وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة، { فَمَا أَبْقَى } منهم أحدا.
[52] { وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ } ، أي أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود { إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى } ، لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب.
[53] { وَالْمُؤْتَفِكَةَ } ، يعني: قرى قوم لوط، { أَهْوَى } ، أسقط أي أهواها جبريل بعد ما رفعها إلى السماء.
[54] { فَغَشَّاهَا } ، ألبسها الله، { مَا غَشَّى } ، يعني الحجارة المنضودة المسومة.
[55] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ } ، نعم ربك أيها الإنسان، وقيل: أراد الوليد بن المغيرة، { تَتَمَارَى } ، تشك وتجادل، قال ابن عباس : تكذب.
[56] { هَذَا نَذِيرٌ } ، يعني محمدا، { مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى } ، أي رسول من

الرسل أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم، وقال قتادة : يقول أنذر محمد كما أنذر الرسل من قبله.
[57] { أَزِفَتِ الْآزِفَةُ } ، دنت القيامة واقتربت الساعة.

[58] { لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ } ، أي مظهرة مقيمة كقوله تعالى: { لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ } ، والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة، ويجوز أن تكون الكاشفة مصدرا كالخيالة والعافية، والمعنى: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره.
وقيل: معناه ليس لها راد يعني إذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد. 59،
[60] { أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ } ، يعني القرآن، { تَعْجَبُونَ }{ وَتَضْحَكُونَ } ، الاستهزاء، { وَلَا تَبْكُونَ } ، لما فيه من الوعد والوعيد.
[61] { وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ } ، لاهون غافلون.
والسمود الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دع عنا سمودك أي لهوك، هذا رواية الوالبي والعوفي عن ابن عباس، وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا، وقال الضحاك : آشرون بطرون.
[62] { فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا } ، أي واعبدوه.

(54) سورة الْقَمَرُ
[1] { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ } ، دنت القيامة، { وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } ، عن أنس بن مالك : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما (1) .
[2] { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ } ، أي ذاهب وسوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر إذا ذهب، مثل قولهم: قر واستقر، هذا قول مجاهد وقتادة، وقال أبو العالية والضحاك : مستمر أي قوي شديد يعلو كل سحر، من قولهم: مر الحبل إذا صلب واشتد، وأمررته أنا إذا أحكمت فتله واستمر الشيء إذا قوي واستحكم.
[3] { وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } ، أي كذبوا النبي صلي الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله عز وجل، واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل، { وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ } ، قال الكلبي : لكل أمر حقيقة، ما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف.
وقال قتادة : كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير، والشر مستقر بأهل الشر.
وقيل كل أمر من خير أو شر مستقر قراره، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

_____
(1) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار 7 / 187.

وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب.
وقال مقاتل : لكل حديث منتهى.
وقيل: كل ما قدر كائن وواقع لا محالة.
[4] { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ } ، يعني أهل مكة، { مِنَ الْأَنْبَاءِ } ، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، { مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ } ، مصدر بمعنى الازدجار، أي نهي وعظة، يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وأصله مزتجر، قلبت التاء

دالا.
[5] { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ } ، يعني: القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية في الزجر، { فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ } ، يجوز أن تكون (ما) نفيا على معنى فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاما، والمعنى: فأي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم، كقوله: { وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ } ، والنذر جمع نذير.
[6] { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ } ، أي أعرض عنهم، نسختها آية القتال.
قيل: ههنا وقف تام.
وقيل: فتول عنهم.
{ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِي } ، أي إلى يوم الداعي، قال مقاتل : هو إسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس، { إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ } ، منكر فظيع لم يروا مثله فينكروه استعظاما.

[7] { خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ } في قراءة عبد الله : (خاشعة أبصارهم) أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب.
{ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ } ، من القبور، { كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ } ، منبث حيارى، وذكر المنتشر على لفظ الجراد، نظيرها: { كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ } ، وأراد أنهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض.
[8] { مُهْطِعِينَ } ، مسرعين مقبلين، { إِلَى الدَّاعِي } ، إلى صوت إسرافيل، { يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ } ، صعب شديد.
[9] قوله عز وجل: { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ } ، أي قبل أهل مكة، { قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا } ، نوحا، { وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ } ، أي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد، وقالوا: { لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ } ، وقال مجاهد : معنى ازدجر أي استطير جنونا.
[10] { فَدَعَا } نوح، { رَبَّهُ } ، وقال، { أَنِّي مَغْلُوبٌ } ، مقهور، { فَانْتَصِرْ } ، فانتقم لي منهم.

[11] { فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ } ، منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما.
[12] { وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ } ، يعني ماء السماء وماء الأرض، وإنما قال: التقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعدا لأن الماء يكون جمعا وواحدا، { عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ } ، أي قضي عليهم في أم الكتاب.
وقال مقاتل : قدر الله أن يكون الماءان سواء فكانا على قدر.
[13] { وَحَمَلْنَاهُ } ، يعني نوحا، { عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ } ، أي سفينة ذات ألواح، ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، (وَدُسُرٍ) أي المسامير التي تشد بها الألواح، واحدها دسار ودسير، يقال: دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير.
وقال الحسن : الدسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدسر الماء بجؤجئها، أي تدفع.
وقال مجاهد : هي عوارض السفينة.
وقيل: أضلاعها.
وقال الضحاك : الألواح جانباها، والدسر أصلها وطرفاها.

[14] { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } ، أي بمرأى منا.
وقال مقاتل بن حيان : بحفظنا، ومنه قولهم للمودع: عين الله عليك.
وقال سفيان : بأمرنا.

{ جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ } ، يعني فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثوابا لمن كان كفر به وجحد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: (من) بمعنى (ما) أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لما صنع بنوح وأصحابه، وقرأ مجاهد (جزاء لمن كان كفر) بفتح الكاف والفاء، يعني كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله.
[15] { وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا } ، يعني الفعلة التي فعلنا، { آيَةً } ، يعتبر بها.
وقيل: أراد السفينة.
قال قتادة : أبقاها الله بباقر دي من أرض الجزيرة، عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة، { فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } ، أي متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم.
[16] { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ } ، أي إنذاري، قال الفراء : الإنذار والنذر مصدران، تقول العرب: أنذرت إنذارا ونذرا، كقولهم أنفقت إنفاقا ونفقة، وأيقنت إيقانا ويقينا، أقيم الاسم مقام المصدر.
[17] { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا } ، سهلنا، { الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ } ، ليتذكر ويعتبر به، وقال سعيد بن جبير : يسرناه للحفظ والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن.

{ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } ، متعظ بمواعظه. 18،
[19] { كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ }{ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا } ، شديدة الهبوب، { فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ } ، شديد دائم الشؤم، استمر عليهم بنحو سنة فلم يبق منهم أحد إلا أهلكه، قيل: كان ذلك يوم الأربعاء في آخر الشهر.
[20] { تَنْزِعُ النَّاسَ } ، تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم.
وروي أنها كانت تنزع الناس من قبورهم، { كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ } ، قال ابن عباس : أصولها، وقال الضحاك : أوراك نخل.
{ مُنْقَعِرٍ } ، منقلع من مكانه ساقط على الأرض وواحد الأعجاز عجز، مثل عضد وأعضاد، وإنما قال: (أعجاز نخل) وهي أصولها التي قطعت فروعها لأن الريح كانت تبين رؤوسهم من أجسادهم، فتبقى أجسادهم بلا رؤوس.
[21 - 23] { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ }{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ }{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ } ، بالإنذار الذي جاءهم به صالح .

[24] { فَقَالُوا أَبَشَرًا } ، آدميا، { مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ } ، ونحن جماعة كثيرة وهو واحد، { إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ } خطأ وذهاب عن الصواب، { وَسُعُرٍ } ، قال ابن عباس : عذاب.
وقال الحسن : شدة عذاب.
وقال قتادة : عناء، يقولون: إنا إذا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته.
قال سفيان بن عيينة : هو جمع سعير.
وقال الفراء : جنون، يقال ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها.
وقال وهب : وسعر: أبعد عن الحق.

[25] { أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ } ، أأنزل، الذكر: الوحي، { عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ } ، بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة، والأشر المرح والتجبر.
[26] { سَيَعْلَمُونَ } ، قرأ ابن عامر وحمزة : (ستعلمون) ، بالتاء على معنى قال صالح لهم، وقرأ الآخرون بالياء، يقول الله تعالى: { سَيَعْلَمُونَ غَدًا } ، حين ينزل بهم العذاب.
وقال الكلبي : يعني يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس، يقولون: إن مع اليوم غدا، { مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ } .

[27] { إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ } ، أي باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا أن يخرجها منها، وذلك أنهم تعنتوا على صالح، فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء، فقال الله تعالى: { فِتْنَةً لَهُمْ } ، محنة واختبارا لهم، { فَارْتَقِبْهُمْ } ، فانتظر ما هم صانعون، { وَاصْطَبِرْ } ، على ارتقابهم، وقيل: على ما يصيبك من الأذى.

[28] { وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ } ، وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، وإنما قال: "بينهم" لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم.
على البهائم، { كُلُّ شِرْبٍ } ، نصيب من الماء، { مُحْتَضَرٌ } ، يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم، وأحضر وحضر بمعنى واحد، قال مجاهد : يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن.
[29] { فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ } ، وهو قدار بن سالف، { فَتَعَاطَى } ، فتناول الناقة بسيفه { فَعَقَرَ } ، أي فعقرها.
[30] { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ } ، ثم بين عذابهم.
[31] فقال: { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً } ، قال عطاء : يريد صيحة جبريل عليه السلام، { فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ } ، كيبس الشجر إذا تحطم والعرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما.
وقال قتادة : كالعظام النخرة المحترقة.
وقال سعيد بن جبير : هو التراب الذي يتناثر من الحائط.

[32 - 34] { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } { كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ } { إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا } ، ريحا ترميهم بالحصباء، وهي الحصا، قال الضحاك : يعني صغار الحصى.
وقيل: الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف، وقد يكون الحاصب الرامي، فيكون المعنى على هذا: أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم، يعني يرميهم بالحجارة، ثم استثنى فقال: { إِلَّا آلَ لُوطٍ } ، يعني لوطا وابنتيه، { نَجَّيْنَاهُمْ } ، من العذاب، { بِسَحَرٍ } .
[35] { نِعْمَةً مِنَّا عِنْدِنَا } يعني جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم، { كَذَلِكَ } ، يعني كما أنعمنا على آل لوط، { نَجْزِي مَنْ شَكَرَ } ، قال مقاتل : من وحد الله لم يعذبه مع المشركين.
[36] { وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ } ، لوط، { بَطْشَتَنَا } ، أخذنا إياهم بالعقوبة، { فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ } ، شكوا بالإنذار وكذبوا ولم يصدقوا.

[37] { وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ } ، طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه { فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ } ، وذلك أنهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا، قالت الرسل

للوط : خل بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب، فأخرجهم لوط عميا لا يبصرون.
قوله: (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق، هذا قول أكثر المفسرين.
وقال الضحاك : طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا، فلم يروهم فرجعوا.
{ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ } ، أي ما أنذركم به لوط من العذاب.
[38] { وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً } ، جاءهم وقت الصبح، { عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ } ، دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة، وقيل: عذاب حق.
[39 - 41] { فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ }{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ }{ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ } ، يعني موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: هي الآيات التي أنذرهم بها موسى .

[42] { كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا } ، وهي الآيات التسع، { فَأَخَذْنَاهُمْ } ، بالعذاب، { أَخْذَ عَزِيزٍ } ، غالب في انتقامه، { مُقْتَدِرٍ } ، قادر على إهلاكهم لا يعجزه ما أراد بهم، ثم خوف أهل مكة فقال:

[43] { أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ } ، أشد وأقوى من الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقالا لوط وآل فرعون؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار، أي ليسوا بأقوى منهم، { أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ } ، من العذاب، { فِي الزُّبُرِ } ، في الكتب أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية.
[44] { أَمْ يَقُولُونَ } ، يعني كفار مكة، { نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ } ، قال الكلبي : نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا، والمعنى: نحن يد واحدة على من خالفنا، منتصر ممن عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي.
[45] قال الله تعالى: { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ } ، يعني كفار مكة، { وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } ، يعني الأدبار فوحد لأجل رؤوس الآي، كما يقال: ضربنا منهم الرؤوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع.

[46] { بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ } ، قال سعيد بن المسيب : « سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما نزلت: { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ } كنت لا أدري أي جمع سيهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي صلي الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول: { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ }{ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ }» (1) أي أعظم داهية وبلية وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر.
[47] { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ } ، المشركين، { فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ } ، قيل: في ضلال بعد عن الحق.
قال الضحاك : وسعر أي نار تسعر عليهم.
وقيل: في ضلال: ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة، وسعر: نار مسعرة، قال الحسين بن فضل : إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة.
وقال قتادة : في عناء وعذاب.
[48] ثم بين عذابهم فقال: { يَوْمَ يُسْحَبُونَ } ، يجرون، { فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ } ، ويقال لهم { ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } .

_____
(1) أخرجه عبد الرزاق 2 / 259 والطبري 27 / 108 والإمام أحمد 1 / 329

[49] { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } ، أي ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الحسن : قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له.
[50] { وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } ، قوله: واحدة ترجع إلى المعنى دون اللفظ، أي: وما أمرنا إلا مرة واحدة، وقيل: معناه وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ .
قال عطاء عن ابن عباس : يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر.
وقال الكلبي عنه: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر.
[51] { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ } ، أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة، { فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } ، متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر.
[52] { وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ } ، يعني فعله الأشياع من خير وشر، { فِي الزُّبُرِ } ، في كتاب الحفظة، وقيل: في اللوح المحفوظ.
[53] { وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ } ، من الخلق وأعمالهم وآجالهم، { مُسْتَطَرٌ } ، مكتوب، يقال: سطرت واستطرت وكتبت واكتتبت.

[54] { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ } ، بساتين، { وَنَهَرٍ } ، أي أنهار، ووحده لأجل رؤوس الآي، وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل.
وقال الضحاك : يعني في ضياء وسعة، ومنه النهار.
وقرأ الأعرج : (ونهر) بضمتين جمع النهار يعني لا دليل لهم.
[55] { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ } ، في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، { عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ } ، ملك قادر لا يعجزه شيء.

(55) سورة الرحمن
[1] { الرَّحْمَنُ } نزلت حين قالوا: وما الرحمن؟ وقيل.
هو جواب لأهل مكة حين قالوا: إنما يعلمه بشر.
[2] { عَلَّمَ الْقُرْآنَ } ، قال الكلبي علم القرآن محمدا .
وقيل: علم القرآن يسره للذكر.
[3] { خَلَقَ الْإِنْسَانَ } ، يعني آدم عليه السلام.
[4] { عَلَّمَهُ الْبَيَانَ } ، أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية.
وقال الآخرون: الإنسان اسم جنس، وأراد به جميع الناس، علمه البيان: النطق والكتابة والفهم والإفهام حتى عرف ما يقول وما يقال له، وقال السدي : علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به.
وقال ابن كيسان : { خَلَقَ الْإِنْسَانَ } يعني محمدا صلي الله عليه وسلم { عَلَّمَهُ الْبَيَانَ } يعني بيان ما كان وما يكون؛ لأنه كان يبين عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين.
[5] { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } ، قال مجاهد : كحسبان الرحى يدوران في مثل قطب الرحا، قال غيره: معناه أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدونها، قاله ابن عباس وقتادة، وقال ابن زيد وابن كيسان : يعني بهما تحسب الأوقات والآجال، وقال الضحاك : يجريان بقدر.

[6] { وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ } ، النجم ما ليس له ساق من النبات، والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء، وسجودهما سجود ظلهما كما قال: { يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ } وقال مجاهد : النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه.
[7] { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا } ، فوق الأرض، { وَوَضَعَ }{ الْمِيزَانَ } ، قال مجاهد : أراد بالميزان العدل، المعنى أنه أمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى:
[8] { أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ } ، أي لا تجاوزوا العدل.
وقال الحسن وقتادة والضحاك : أراد به الذي يوزن به ليوصل به الإنصاف والانتصاف، وأصل الوزن التقدير.
ألا تطغوا: يعني لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان.
[9] { وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ } ، بالعدل، وقال أبو الدرداء وعطاء : معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل.
قال ابن عيينة : الإقامة باليد والقسط بالقلب، { وَلَا تُخْسِرُوا } ، ولا تنقصوا { الْمِيزَانَ } ، ولا تطففوا في الكيل والوزن.
[10] { وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ } ، للخلق الذين بثهم فيها.

[11] { فِيهَا فَاكِهَةٌ } ، يعني أنواع الفواكه، قال ابن كيسان : ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى، { وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ } ، الأوعية التي يكون فيها التمر، لأن تمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشق، واحدها كم، وكل ما ستر شيئا فهو كم، وكمة، ومنه كم القميص، ويقال للقلنسوة كمة، قال الضحاك : ذات الأكمام أي ذات الغلف.
وقال الحسن : أكمامها ليفها.
وقال ابن زيد : هو الطلع قبل أن ينفتق.
[12] { وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ } ، أراد بالحب جميع الحبوب التي يقتات بها.
قال مجاهد : هو ورق الزرع.
والعصف ورق كل شيء يخرج منه الحب، وقال ابن عباس : هو التبن.
وعنه: هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه ويبس، نظيره: { كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ } .
{ وَالرَّيْحَانُ } ، هو الرزق في قول الأكثرين، قال ابن عباس : كل ريحان في القرآن فهو رزق.
قال الحسن وابن زيد : هو ريحانكم الذي يشم، قال الضحاك : العصف هو التبن والريحان ثمرته.

[13] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } ، أيها الثقلان يريد من هذه الأشياء المذكورة وكرر هذه الآية في هذه السورة تقريرا للنعمة وتأكيدا في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدد على الخلق آلاءه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها، كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها: ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا؟ ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا؟ ألم تك خاملا فعززتك أفتنكر هذا؟ ومثل هذا التكرار سائغ في كلام العرب حسن تقريرا.
[14] { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ } .
[15] { وَخَلَقَ الْجَانَّ } ، وهو أبو الجن وقال الضحاك : هو إبليس، { مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ } ، وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه.

قال مجاهد : وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت، من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط.

[16 - 17] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ } ، مشرق الصيف ومشرق الشتاء.
{ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } ، مغرب الصيف ومغرب الشتاء.
[18] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } .
[19] { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ } ، العذب والمالح أرسلهما وخلاهما { يَلْتَقِيَانِ } .
[20] { بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ } ، حاجز من قدرة الله تعالى، { لَا يَبْغِيَانِ } ، لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه.
وقال قتادة : لا يطغيان على الناس بالغرق.
[21] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } .
[22] { يَخْرُجُ مِنْهُمَا } ، قرأ أهل المدينة والبصرة (يخرج) بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء، { اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ } ، وإنما يخرج من المالح دون العذب، وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيئان ثم يخص أحدهما بفعل كما قال عز وجل: { يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ } وكان الرسل من الإنس دون الجن وقال بعضهم: يخرج من ماء السماء وماء البحر.

قال ابن جريج : إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة، واللؤلؤة ما عظم من الدر، والمرجان صغارها.
[23، 24] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ وَلَهُ الْجَوَارِي } ، السفن الكبار، { الْمُنْشَآتُ } ، وقرأ حمزة وأبو بكر : (المنشآت) بكسر الشين، أي المنشآت السير يعني اللاتي ابتدأن وأنشأن السير، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض.
وقيل: هي ما رفع قلعه من السفن، وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت.
وقيل: المخلوقات المسخرات، { فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ } ، كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر.
[25] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } .
[26] { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا } ، أي على الأرض من حيوان فإنه، { فَانٍ } ، هالك.
[27] { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } ، أي مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته. 28،
[29] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، من ملك وإنس وجن.

وقال قتادة : معناه لا يستغني عنه أهل السماء والأرض.
قال ابن عباس : فأهل السماوات يسألونه المغفرة وأهل الأرض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة.
وقال مقاتل : يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة، وتسأله الملائكة أيضا لهم الرزق والمغفرة.
{ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } ، قال مقاتل : نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئًا.
قال المفسرون: من شأنه أن يحصي ويميت ويرزق، ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا

إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء. 30،
[31] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ سَنَفْرُغُ لَكُمْ } ، وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة، كقول القائل لأتفرغن لك، وما به شغل، وهذا قول ابن عباس والضحاك، وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن.
وقال آخرون: معناه سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم، كقول القائل الذي لا شغل له: قد تفرغت لك.

وقال بعضهم: إن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور، ثم قال: سنفرغ لكم مما وعدناكم، وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، فنتم ذلك ونفرغ منه، والى هذا ذهب الحسن ومقاتل .
{ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ } ، أي الجن والإنس، سميا ثقلين لأنهما ثقلا على الأرض أحياء وأمواتا. 32،
[33] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا } ، أي تجوزوا وتخرجوا، { مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، أي من جوانبهما وأطرافهما، { فَانْفُذُوا } ، معناه إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السماوات والأرض فاهربوا واخرجوا منها.

والمعنى حيثما كنتم أدرككم الموت، كما قال جل ذكره: { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ } وقيل: يقال لهما هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السماوات والأرض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا، { لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } ، أي: بملك، وقيل: بحجة، والسلطان: القوة التي يتسلط بها على الأمر، فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يريد حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني.
وروي عن ابن عباس قال: معناه: إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي ببينة من الله عز وجل.
[34] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }
[35] { يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ } ، وهو اللهيب الذي لا دخان فيه، هذا قول أكثر المفسرين.
وقال مجاهد : هو اللهب الأخضر المنقطع من النار، { وَنُحَاسٌ } قال سعيد بن جبير والكلبي : النحاس الدخان، وهو رواية عطاء عن ابن عباس، وقال مجاهد وقتادة : النحاس هو الصفر المذاب يصب على رؤوسهم، وهو رواية العوفي عن ابن عباس .
وقال عبد الله بن مسعود النحاس هو المهل.

{ فَلَا تَنْتَصِرَانِ } ، أي فلا تمتنعان من عذاب الله ولا يكون لكم ناصر منه. 36،
[37] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ فَإِذَا انْشَقَّتِ } ، انفرجت، { السَّمَاءُ } ، فصارت أبوابا لنزول الملائكة { فَكَانَتْ وَرْدَةً } ، أي كلون الفرس الورد، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة، { كَالدِّهَانِ } ، جمع دهن، شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع، وقال عطاء بن أبي رباح : كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألوانا.
وقال مقاتل : كدهن الورد الصافي.
وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم.

وقال الكلبي : كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه أدهنة ودهن.
[38 - 39] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ } ، قال الحسن وقتادة : لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم، لأن الله عز وجل علمها منهم، وكتبت الملائكة عليهم، وهي رواية العوفي عن ابن عباس .

وعنه أيضا: لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم، دليله ما بعده، وهذا قول مجاهد .
وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: { فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } ، قال: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا؟ وعن عكرمة أنه قال: إنها مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها.
وعن ابن عباس أيضا لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.
وقال أبو العالية : لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم.

[40 - 41] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ } ، وهو سواد الوجوه وزرقة العيون، كما قال جل ذكره: { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ }{ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ } ، تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار.
[42] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }
[43] ثم يقال لهم { هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا }{ الْمُجْرِمُونَ } المشركون.
[44] { يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ } ، قد انتهى حره.
قال الزجاج : أنى يأنى فهو آن إذا انتهى في النضج، والمعنى: أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فإذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الآني الذي صار كالمهل، وهو قوله: { وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ } ، وقال كعب الأحبار : آن واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى بهم خلقا جديدا فيلقون في النار، وذلك قوله: { يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ } .

[45] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } ، وكل ما ذكر الله تعالى من قوله: { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ } إلى ههنا مواعظ وزواجر وتخويف، وكل ذلك نعمة من الله تعالى لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقول { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه.
[46] فقال: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ } ، أي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة.
وقيل: قيام ربه عليه بيانه قوله: { أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ }
وقال إبراهيم النخعي ومجاهد : هو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله.
وقوله: { جَنَّتَانِ } ، قال مقاتل : جنة عدن وجنة نعيم.
قال محمد بن علي الترمذي : جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته.
قال الضحاك : هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله لا يحب أن

يطلع عليه أحد.
وقال قتادة : إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار.
[47] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } ، ثم وصف الجنتين.

[48] فقال: { ذَوَاتَا أَفْنَانٍ } ، أغصان واحدها فنن، وهو الغصن المستقيم طولا.
وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي، وقال عكرمة : ظل الأغصان على الحيطان.
قال الحسن : ذواتا ظلال.
قال ابن عباس : ألوان، وقال قتادة : ذواتا فضل وسعة على ما سواهما.
[49 - 50] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ } ، قال ابن عباس : بالكرامة والزيادة على أهل الجنة.
قال الحسن : تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل.
وقال عطاء : إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين.
[51 - 52] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ } ، صنفان ونوعان، قيل: معناه إن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا.
قال ابن عباس : ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو.
[53 - 54] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ } ، جمع فراش، { بَطَائِنُهَا } ، جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة.
وقال الزجاج : وهي مما يلي الأرض.
{ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ } ، وهو ما غلظ من الديباج.

قال ابن مسعود وأبو هريرة : هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟ وقال ابن عباس : وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر.
{ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ } ، الجنى ما يجتنى من الثمار، يريد ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم.
قال ابن عباس : تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعدا.
قال قتادة : لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك.
[55 - 56] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ } غاضات الأعين ،قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم، { لَمْ يَطْمِثْهُنَّ } لم يجامعهن ولم يفترعهن، وأصله من الدم، ومنه قيل للحائض طامث، كأنه قال لم يدمهن بالجماع، { إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ } ، قال مقاتل : لأنهن خلقهن في الجنة.
فعلى قوله هؤلاء من حور الجنة.
وقال الشعبي : هن من نساء الدنيا لم يمسسن مند أنشئن، وهو قول الكلبي : يعني لما يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان.

[57 - 58] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ } ، قال قتادة : صفاء الياقوت في بياض المرجان.
[59 - 60] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } ، أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة.

وقال ابن عباس : هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم إلا الجنة.
[61 - 62] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ } ، أي من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان.
قال ابن عباس : من دونهما في الدرج.
وقال ابن زيد : من دونهما في الفضل.
وقال أبو موسى الأشعري : جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين.
وقال ابن جريج : هن أربع جنان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين فيها فاكهة ونخل ورمان .
وقال الكسائي : { وَمِنْ دُونِهِمَا } أي أمامهما وقبلهما، يدل عليه قول الضحاك : الجنتان الأوليان من ذهب وفضة والأخريان من يا قوت.

[63 - 64] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ مُدْهَامَّتَانِ } ، ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما، لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، يقال: ادهامَّ الزرعُ إذا علاه السواد ريا ادهيماما فهو مدهام.
[65 - 66] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ } ، فوارتان بالماء لا تنقطعان، والنضخ فوران الماء من العين.

[67 - 68] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ } ، قال بعضهم: ليس النخل والرمان من الفاكهة، والعامة على أنها من الفاكهة، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفصيل.
[69 - 70] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ فِيهِنَّ } ، يعني في الجنات الأربع، { خَيْرَاتٌ حِسَانٌ } ، روى الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: « قلت لرسول الله صلي الله عليه وسلم: أخبرني عن قوله: { خَيْرَاتٌ حِسَانٌ } ، قال: "خيرات الأخلاق حسان الوجوه » (1) .
[71 - 72] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ } ، محبوسات مستورات في الحجال، يقال: امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج.
وقال مجاهد : يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا، { فِي الْخِيَامِ } ، جمع خيمة.

_____
(1) رواه الإمام الطبري في تفسيره، بإسناده مرفوعا إلى النبي صلي الله عليه وسلم ، ج 27 / 92 .

[73 - 76] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ } { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ } ، قال سعيد بن جبير : الرفرف رياض الجنة خضر مخضبة.
ويروى ذلك عن ابن عباس، واحدتها رفرفة، وقال: الرفارف جمع الجمع، وقيل: الرفرف البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي .
وروى العوفي عن ابن عباس : الرفيف فضول المجالس والبسط، وقال الضحاك وقتادة : هي مجالس خضر فوق الفرش.
وقال ابن كيسان : هي المرافق.
وقال ابن عيينة : الزرابي.

وقال غيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف.
{ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ } ، هي الزرابي والطنافس الثخان، وهي جمع واحدتها عبقرية، وقال قتادة : العبقري عتاق الزرابي، وقال أبو العالية : هي الطنافس المخملة إلى الرقة.
وقال القتيبي : كل ثوب موشى عند العرب عبقري.
وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي.
قال الخليل : كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقري، ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه: « فلم أر عبقريا يفري فريه » . (1) .

_____
(1) قطعة من حديث أخرجه البخاري في فضائل الصحابة 7 / 41، ومسلم في فضائل الصحابة برقم (2393) 4 / 1862 .

[77، 78] { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ }{ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } ، قرأ أهل الشام (ذو الجلال) بالواو وكذلك هو في مصاحفهم إجراء على الاسم.

(56) سورة الواقعة
[1] { إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } ، إذا قامت القيامة.
وقيل: إذا نزلت صيحة القيامة، وهي النفخة الأخيرة.
[2] { لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا } ، لمجيئها { كَاذِبَةٌ } كذب، كقوله: { لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً } ، أي لغو، يعني أنها تقع صدقا وحقا.
والكاذبة اسم كالعافية والنازلة.
[3] { خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ } ، تخفض أقواما إلى النار، وترفع آخرين إلى الجنة.
وقال عطاء عن ابن عباس : تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع أقواما كانوا في الدنيا مستضعفين.
[4] { إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا } ، حركت وزلزلت زلزلة، قال الكلبي : إن الله إذا أوحى إليها اضطربت فرقا.
قال المفسرون: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها.
وأصل الرج في اللغة التحريك، يقال: رجحته فارتج.
[5] { وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا } ، قال عطاء ومقاتل ومجاهد : فتتت فتا فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول.
قال سعيد بن المسيب والسدي : كسرت كسرا، وقال الكلبي : سيرت على وجه الأرض تسييرا.

قال الحسن : قلعت من أصلها فذهبت، نظيرها: { فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا } قال ابن كيسان : جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة.
[6] { فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا } غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء.
[7] { وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا } ، أصنافا، { ثَلَاثَةً } .
[8] ثم فسرها فقال: { فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ } ، هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقال ابن عباس : هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه، وقال الله لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي.

وقال الضحاك : هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم.
وقال الحسن والربيع : هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون بإحسان، ثم عجب نبيه صلي الله عليه وسلم ، فقال: { مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ } ، وهذا كما يقال: زيد ما زيد يراد زيد شديد.
[9] { وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ } ، يعني أصحاب الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى، ومنه يسمى الشام واليمين، لأن اليمن عن يمين الكعبة، والشام عن شمالها، وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار.

وقال ابن عباس : هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم: هؤلاء في النار ولا أبالي.
وقال الضحاك : هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم.
وقال الحسن : هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي.
[10] { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ } ، قال ابن عباس : السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة.
وقال عكرمة : السابقون إلى الإسلام.
قال ابن سيرين : هم الذين صلوا إلى القبلتين، دليله قوله: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ } ، قال الربيع بن أنس : السابقون إلى إجابة الرسول صلي الله عليه وسلم في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى.
وقال مقاتل : إلى إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم بالإيمان.
وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: إلى الصلوات الخمس.
وقال الضحاك : إلى الجهاد.
وقام سعيد بن جبير : هم المسارعون إلى التوبة وإلى أعمال البر.
قال الله تعالى: { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ } ثم أثنى عليهم فقال: { أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ } قال ابن كيسان : والسابقون إلى كل ما دعا الله إليه.

وروي عن كعب : هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة.
وقيل: هم أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجا في سبيل الله.
وقال القرظي : إلى كل خير.
[11] { أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ } ، من الله. 12،
[13] { فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ }{ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ } ، أي من الأمم الماضية من لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا صلي الله عليه وسلم، والثلة: الجماعة غير محصورة العدد.
[14] { وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ } ، يعني من هذه الأمة، قال الزجاج : الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وصدقوهم، أكثر ممن عاين النبي صلي الله عليه وسلم.
[15] { عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ } ، منسوجة كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض.
قال المفسرون: هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر.
وقال الضحاك : موضونة مصفوفة.
[16] { مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ } ، لا ينظر بعضهم في قفا بعض.

[17] { يَطُوفُ عَلَيْهِمْ } للخدمة، { وِلْدَانٌ } غلمان، { مُخَلَّدُونَ } ، لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون.
وقال الفراء : تقول العرب لمن كبر ولمن شمط إنه مخلد.
قال ابن كيسان : يعني ولدانا لا يحولون من حالة إلى حالة.
قال سعيد بن جبير : مقرطون يقال خلد جاريته إذا حلاها بالخلد، وهو القرط.
قال الحسن : هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لأن الجنة لا ولادة فيها فهم خدم أهل الجنة.
[18] { بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ } ، فالأكواب جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا آذان لها ولا عرف، والأباريق وهي ذوات الخراطيم سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء.
{ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ } ، خمر جارية.
[19] { لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا } ، لا تصدع رؤوسهم من شربها، { وَلَا يُنْزِفُونَ } ، أي لا يسكرون، هذا إذا قرئ بفتح الزاي ومن كسر فمعناه لا ينفد شرابهم.
[20] { وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ } ، يختارون ما يشتهون، يقال تخيرت الشيء إذا أخذت خيره.

[21] { وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ } ، قال ابن عباس : يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلاً بين يديه على ما اشتهى، ويقال إنه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه ما يشتهي ثم يطير فيذهب.
[22] { وَحُورٌ عِينٌ } ، قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي : بكسر الراء والنون، أي وبحور عين، وقيل: معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين وقال الأخفش رفع على معنى لهم حور عين، وجاء في تفسيره في حور بيض ضخام العيون.
[23] { كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ } ، المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي.
[24] { جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }
،25]
[26] { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا }{ إِلَّا قِيلًا } ، أي قولا: { سَلَامًا سَلَامًا } ، نصبهما اتباعا لقوله قيلا أي يسمعون قيلا سلاما سلاما.
قال عطاء : يحيي بعضهم بعضا بالسلام، ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جل ذكره:
،27]
[28] { وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ }{ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ } ، لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه، هذا قول ابن عباس وعكرمة .
وقال الحسن : لا يعقر الأيدي.
قال ابن كيسان : هو الذي لا أذى فيه.

قال الضحاك ومجاهد : هو الموقر حملا.
[29] { وَطَلْحٍ } ، أي موز، واحدتها طلحة، عن أكثر المفسرين.
وقال الحسن : ليس هو بالموز ولكنه شجر لها ظل بارد طيب.
قال الفراء وأبو عبيدة : الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك.
وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال: قرأ رجل عند علي رضي الله عنه: { وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ } ، فقال.
وما شأن الطلح إنما هو طلح منضود ثم قرأ { طَلْعُهَا هَضِيمٌ } قلت: يا أمير المؤمنين إنها في المصحف بالحاء أفلا تحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج اليوم

ولا يحول، والمنضود المتراكم الذي قد نضد بالحمل من أوله إلى آخره، ليس هو سوق بارزة، قال مسروق : أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله.
[30] { وَظِلٍّ مَمْدُودٍ } ، دائم لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذي لا ينقطع ممدود.
[31] { وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ } ، مصبوب يجري دائما في غير أخدود لا ينقطع. 32،

[33] { وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ }{ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ } ، قال ابن عباس : لا تنقطع إذا جنيت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها وقال بعضهم: لا مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان، كما ينقطع أثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء، ولا يتوصل إليها إلا بالثمن.
وقال القتيبي : يعني لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا.
[34] { وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ } ، قال علي رضي الله عنه: { وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ } على الأسرة.
وقال جماعة من المفسرين.
بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية.
وقيل: أراد بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة، مرفوعة رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله في عقبه:
[35] { إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً } ، خلقناهن خلقا جديدا، قال ابن عباس : يعني الآدميات العجز الشمط، يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر.
[36] { فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا } ، وقال المسيب ابن شريك : هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلما آتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا.
وذكر المسيب عن غيره أنهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا.

وقال مقاتل وغيره: هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع.
[37] { عُرُبًا } جمع عروب أي عواشق محببات إلى أزواجهن.
وقال أسامة بن زيد عن أبيه: عربا حسنات الكلام.
{ أَتْرَابًا } ، مستويات في السن على سن واحد.
[38] قوله عز وجل: { لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ } ، يريد أنشأهن لأصحاب اليمين.
[39] { ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ } ، من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الأمة.
[40] { وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ } ، من مؤمني هذه الأمة، وذهب جماعة إلى أن الثلتين جميعا من هذه الأمة.
[41 - 42] قوله تعالى: { وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ }{ فِي سَمُومٍ } ، ريح حارة، { وَحَمِيمٍ } ، ماء حار.
[43] { وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ } ، دخان شديد السواد، تقول العرب: أسود يحموم إذا كان شديد السواد، وقال الضحاك : النار سوداء وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود.
وقال ابن كيسان : اليحموم اسم من أسماء النار.
[44] { لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ } ، قال قتادة : لا بارد المنزل ولا كريم المنظر.
وقال سعيد بن المسيب : ولا كريم: ولا حسن، نظيره { مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ } .

وقال مقاتل : طيب.
[45] { إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ } ، يعني في الدنيا، { مُتْرَفِينَ } ، منعمين.

[46] { وَكَانُوا يُصِرُّونَ } ، يقيمون { عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ } ، على الذنب الكبير وهو الشرك.
وقال الشعبي : { الْحِنْثِ الْعَظِيمِ } اليمين الغموس.
ومعنى هذا: أنهم كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك.
[47] { وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ } ، قرأ أبو جعفر ونافع والكسائي ويعقوب (أئذا) مستفهما، (إنا) بتركه، وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما.

[48 - 55] { أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ }{ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ }{ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ }{ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ }{ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ }{ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ }{ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ } { فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ } و (الهيم) الإبل العطاش، قال عكرمة وقتادة : الهيام داء يصيب الإبل لا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك.
يقال: جمل أهيم، وناقة هيماء، والإبل هيم.
وقال الضحاك وابن عيينة : (الهيم) الأرض السهلة ذات الرمل.
[56] { هَذَا نُزُلُهُمْ } ، يعني ما ذكر من الزقوم والحميم، أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم، { يَوْمَ الدِّينِ } ، يوم يجازون بأعمالهم، ثم احتج عليهم في البعث:
[57] فقال تعالى: { نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ } ، قال مقاتل : خلقناكم ولم تكونوا شيئا وأنتم تعلمون ذلك، { فَلَوْلَا } ، فهلا { تُصَدِّقُونَ } ، بالبعث.
[58] { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ } ، تصبون في الأرحام من النطف. 59،

[60] { أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ } ، يعني أأنتم تخلقون ما تمنون بشرا، { أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ }{ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ } ، قال مقاتل : فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا.
وقال الضحاك : تقديره إنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء، فعلى هذا يكون معنى (قدرنا) : قضينا.
{ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ } ، بمغلومين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم فذلك قوله عز وجل:
[61] { عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ } ، يعني نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم، { وَنُنْشِئَكُمْ } ، نخلقكم { فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ } الصور، قال مجاهد: في أي خلق شئنا.
وقال الحسن : أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، يعني: إن أردنا أن نفعل ذلك ما فاتنا ذلك.
وقال سعيد بن المسيب : فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف.
وبرهوت: واد باليمن.
[62] { وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى } ، الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئا.
{ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ } ، أني قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم.

[63] { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ } ، يعني: تثيرون من الأرض وتلقون فيها من البذر.
[64] { أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ } ، تنبتونه، { أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ } ، المنبتون.
[65] { لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا } ، قال عطاء : نبتا لا قمح فيه، وقيل: هشيما لا ينتفع به في مطعم وغذاء، { فَظَلْتُمْ } ، وأصله فظللتم، حذفت إحدى

اللامين تخفيفا.
{ تَفَكَّهُونَ } ، تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم، وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل .
وقيل: تندمون على نفقاتكم، وهو قول يمان، نظيره: { فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا } [الكهف: 42] وقال الحسن : تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة.
وقال عكرمة : تتلاومون.
وقال ابن كيسان : تحزنون.
قال الكسائي : هو تلهف على ما فات وهو من الأضداد، تقول العرب: تفكهت أي: تنعمت، وتفكهت أي: حزنت.
[66] { إِنَّا لَمُغْرَمُونَ } ، قرأ أبو بكر عن عاصم (أئنا) بهمزتين وقرأ الآخرون على الضم، ومجاز الآية فظلتم تفكهون وتقولون إنا لمغرمون.
وقال مجاهد وعكرمة : لموقع (1) . بنا.
وقال ابن عباس وقتادة : معذبون، والغرام: العذاب.

_____
(1) في نسخة : (لمولع بنا) .

وقال الضحاك وابن كيسان : غرمنا أموالنا وصار ما أنفقنا غرما علينا، والمغرم: الذي ذهب ماله بغير عوض وهو قوله:
[67] { بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ } ، محدودون ممنوعون، أي حرمنا ما كنا نطلبه من الربع في الزرع.
[68 - 70] { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ }{ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ } ، السحاب، واحدتها مزنة، { أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ } لَوْ { نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا } ، قال ابن عباس : شديد الملوحة، قال الحسن : مرا.
{ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } .
[71] { أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ } ، تقدحون وتستخرجون من زندكم. 72، [73] { أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا } ، التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار، { أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ } ، { نَحْنُ جَعَلْنَاهَا } خلقناها يعني نار الدنيا، { تَذْكِرَةً } ، للنار الكبرى إذا رآها الرائي ذكر جهنم، قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل .
وقال عطاء : موعظة يتعظ بها المؤمن، { وَمَتَاعًا } ، بلغة ومنفعة، { لِلْمُقْوِينَ } ، المسافرين.

والمقوي: النازل في الأرض، وَالْقِيُّ وَالْقَوُّ هو: القفر الخالية البعيدة من العمران، يقال أقوت الدار إذا خلت من سكانها، والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والأسفار، فإن منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك أنهم يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضلال وغير ذلك من المنافع، هذا قول أكثر المفسرين.
وقال مجاهد وعكرمة : { لِلْمُقْوِينَ } يعني: للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والخبز.
قال الحسن : بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلى أسفارهم، وقال ابن زيد : للجائعين تقول العرب أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيئا.
قال قطرب : (المقوي) من الأضداد يقال للفقير: مُقْوٍ لخلوه من المال، ويقال للغني مُقْوٍ لقوته على ما يريد، يقال: أقوى الرجل إذا قويت دوابه وكثر

ماله، وصار إلى حالة القوة، والمعنى أن فيها متاعا للأغنياء والفقراء جميعا لا غنى لأحد عنها.
[74] { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } .

[75] قوله عز وجل: { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ } ، قال أكثر المفسرين: معناه أقسم و (لا) صلة، وكان عيسى بن عمر يقرأ: (فلأقسم) على التحقيق.
وقيل: قوله (لا) رد لما قاله الكفار في القرآن إنه سحر وشعر وكهانة، معناه ليس الأمر كما يقولون ثم استأنف القسم، فقال (أقسم بمواقع النجوم) .
قرأ حمزة والكسائي : (بموقع) على التوحيد، وقرأ الآخرون (بمواقع) على الجمع.
قال ابن عباس : أراد نجوم القرآن فإنه كان نزل على رسول الله صلي الله عليه وسلم متفرقا نجوما.
وقال جماعة من المفسرين: أراد مغارب النجوم ومساقطها.
وقال عطاء بن أبي رباح : أراد منازلها.
وقال الحسن : أراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة.

[76 - 77] { وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ }{ إِنَّهُ } ، يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم، { لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } ، عزيز مكرم لأنه كلام الله.
قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير.
[78] { فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ } ، مصون عند الله في اللوح المحفوظ من الشياطين.
[79] { لَا يَمَسُّهُ } ، أي ذلك الكتاب المكنون، { إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } ، وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة، وروى حسان عن الكلبي قال: هم السفرة الكرام البررة.
وروى محمد بن الفضل عنه: لا يقرؤه إلا الموحدون.
قال عكرمة : وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن.
قال الفراء : لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به.
وقال قوم: معناه لا يمسه إلا المطهرون من الأحداث والجنابات.
وظاهر الآية نفي ومعناها نهي، قالوا: لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه، وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم، وبه قال مالك والشافعي .
وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة : يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلاف، والأول قول أكثر الفقهاء.

[80] { تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، أي القرآن منزل من عند رب العالمين، سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة؟ كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق.
[81] { أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ } ، يعني القرآن، { أَنْتُمْ } ، يا أهل مكة، { مُدْهِنُونَ } ، قال ابن عباس : مكذبون.
وقال مقاتل بن حيان : كافرون، نظيره: { وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ } ، والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق، وهو من الإدهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر، هذا أصله ثم قيل للمكذب مدهن وإن صرح بالتكذيب والكفر.
[82] { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ } ، حظكم ونصيبكم من القرآن، { أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } ،

قال الحسن في هذه الآية: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به.
وقال جماعة من المفسرين: معناه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون.
وقال الهيثم بن عدي : إن من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان بمعنى ما شكر وهذا في الاستسقاء بالأنواء وذلك أنهم كانوا يقولون إذا مطروا: مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى، فقيل لهم: أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم يعني شكر رزقكم التكذيب، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

[83] قوله عز وجل: { فَلَوْلَا } ، فهلا، { إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ } , أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت.
[84] { وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ } , يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون إليه متى تخرج نفسه.
وقيل: معنى قوله: (تنظرون) أي إلى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا.
[85] { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ } ، بالعلم والقدرة والرؤية.
وقيل: ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم، { وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ } ، الذين حضروه.
[86] { فَلَوْلَا } ، فهلا { إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ } ، مملوكين، وقال أكثرهم: محاسبين ومجزيين.

[87] { تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ، أي تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعدما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله: { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ } وعن قوله { فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ } بجواب واحد، ومثله قوله عز وجل: { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } أجيبا بجواب واحد، معناه: إن كان الأمر كما تقولون أنه لا بعث ولا حساب ولا إله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم وهو الله عز وجل فآمنوا به، ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال:
[88] { فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ } ، وهم السابقون.
[89] { فَرَوْحٌ } ، قرأ يعقوب (فروح) بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم، قال الحسن معناه: تخرج روحه في الريحان، وقال قتادة : الروح: الرحمة أي له الرحمة، وقيل: معناه فحياة وبقاء لهم، ومن قرأ بالفتح معناه: فله روح وهو الراحة، وهو قول مجاهد .
وقال سعيد بن جبير : فرح.
وقال الضحاك : مغفرة ورحمة.

{ وَرَيْحَانٌ } ، استراحة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير : رزق.
وقال مقاتل : هو الرزق بلسان حمير، يقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزق الله.
وقال آخرون: هو الريحان الذي يشم قال أبو العالية: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه.
{ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ } ، قال أبو بكر الوراق : الروح النجاة من النار، والريحان دخول دار القرار.

[90,91] { وَأَمَّا إِنْ كَانَ } المتوفى، { مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ }{ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ } أي سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم فإنهم سلموا من عذاب الله، أو أنك ترى فيهم من تحب من السلامة.
قال مقاتل : هو أن الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم.
وقال الفراء وغيره: فسلام لك إنهم من أصحاب اليمين، أو يقال لصاحب اليمين: سلام لك إنك من أصحاب اليمين، فألقيت إن كان الرجل يقول إني مسافر عن قليل، فتقول له: أنت مصدق مسافر عن قليل، وقيل: فسلام لك أي عليك من أصحاب اليمين.
[92] { وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ } ، بالبعث، { الضَّالِّينَ } ، عن الهدى وهم أصحاب المشأمة.

[93] { فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ } ، فالذي يعد لهم حميم جهنم.
[94] { وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ } ، وإدخال نار عظيمة.
[95] { إِنَّ هَذَا } ، يعني ما ذكر من قصة المحتضرين، { لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } ، أي الحق اليقين أضافه إلى نفسه.
[96] { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } ، قيل: فصل بذكر ربك وأمره، وقيل: الباء زائدة أي فسبح اسم ربك العظيم.

(57) سورة الحديد
[1] { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }
[2] { لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }
[3] { هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ } ، يعني هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شيء موجودا، والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، تفنى الأشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالي على كل شيء، والباطن العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس .
وقال يمان : هو الأول القديم والآخر الرحيم، والظاهر الحليم، والباطن العليم.
وقال السدي : هو الأول ببره إذ عرفك توحيده، والآخر بجوده إذ عرفك التوبة على ما جنيت، والظاهر بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، والباطن بستره إذا عصيته فستر عليك.
وقال الجنيد : هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب.
وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعبا عن هذه الآية فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. { وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

[4] { هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ } ، بالعلم، { أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }
[5] { لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ }
[6, 7] { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }{ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } ، يخاطب كفار مكة، { وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ } ، مملكين فيه يعني المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشا فكانوا في ذلك المال خلفاء ممن مضوا، { فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ }

[8] { وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ } قرأ أبو عمرو (أخذ) بضم الهمزة وكسر الخاء (ميثاقكم) برفع القاف على ما لم يسم فاعله، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف، أي: أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام، بأن الله ربكم لا إله لكم سواه، قاله مجاهد .
وقيل: أخذ ميثاقكم بإقامة الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، { إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } يوما فالآن أحرى الأوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والإعلام ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن.
[9] { هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ } ، محمد صلى الله عليه وسلم، { آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } ، يعني بالقرآن، { لِيُخْرِجَكُمْ } ، الله بالقرآن، { مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } ، وقيل: ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات إلى النور أي من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، { وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }

[10] { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } ، يقول: أي شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم، ثم بين فضل من سبق بالإنفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال: { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ } ، يعني فتح مكة في قول أكثر المفسرين، وقال الشعبي : هو صلح الحديبية، { وَقَاتَلَ } : لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده، { أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى } ، أي كلا الفريقين وعدهم الله الجنة.
قال عطاء : درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها.
وقرأ ابن عامر (وكل) بالرفع، { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

[11 - 12] { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ } { يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ } ، يعني على الصراط، { بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ } , يعني عن أيمانهم.
قال بعضهم: أراد جميع جوانبهم فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتي نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتي نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورا من نوره أعلى إبهامه فيطفأ مرة وَيَقِدُ مرة.
وقال الضحاك ومقاتل : يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يريد أن كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم، وتقول لهم الملائكة.
{ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }
[13] { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا } ، قرأ الأعمش وحمزة : (أنظرونا) بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني أمهلونا.
وقيل: انتظرونا.

وقرأ الآخرون بحذف الألف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء، تقول العرب: انظرني وأنظرني يعني انتظرني.
{ نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ } نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نورا على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، ويعطي المنافقين أيضا نورا خديعة لهم، وهو قوله عز وجل: (وهو خادعهم) ، بينما هم يمشون

إذا بعث الله عليهم ريحا وظلمة فأطفأت نور المنافقين، فذلك قوله: { يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا } مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين.

وقال الكلبي : بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم، { قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ } ، قال ابن عباس : يقول لهم المؤمنون، وقال قتادة : تقول لهم الملائكة: ارجعوا وراءكم من حيث جئتم، { فَالْتَمِسُوا نُورًا } ، فاطلبوا هناك لأنفسكم نورا فإنه لا سبيل لكم إلى الاقتباس من نورنا، فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين، وهو قوله: { فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ } ، أي سور، والباء صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين، وهو حائط بين الجنة والنار، له أي لذلك السور، { لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ } ، أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة { وَظَاهِرُهُ } ، أي خارج ذلك السور، { مِنْ قِبَلِهِ } ، أي من قبل ذلك الظاهر، { الْعَذَابُ } وهو النار.

[14] { يُنَادُونَهُمْ } يعني: ينادون المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجب بينهم بالسور وبقوا في الظلمة: { أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ } ، في الدنيا نصلي ونصوم: { قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ } ، أهلكتموها بالنفاق والكفر، واستعملتموها في المعاصي والشهوات، وكلها فتنة، { وَتَرَبَّصْتُمْ } ، بالإيمان والتوبة.
وقال مقاتل : وتربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه، { وَارْتَبْتُمْ } , شككتم في نبوته وفيما أوعدكم به، { وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ } ، الأباطيل وما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين، { حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ } ، يعني الموت، { وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ } ، يعني الشيطان، قال قتادة : ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار.
[15] { فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ } بدل وعوض بأن تفدوا أنفسكم من العذاب، { وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، يعني المشركين، { مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } صاحبكم وأولى بكم لما أسلفتم من الذنوب { وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } .

[16] قوله عز وجل: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ } ، قال الكلبي ومقاتل : نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ } فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصا من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا } فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية.
فعلى هذا تأويل قوله: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ } ، يعني في العلانية وباللسان.
وقال الآخرون: نزلت في المؤمنين.
قال عبد الله بن مسعود : "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ } إلا أربع سنين".

وقال ابن عباس : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشر من نزول القرآن، فقال: { أَلَمْ يَأْنِ } ألم يحن للذين آمنوا أن تخشع ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله، { وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ } ، وهو القرآن، { وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ } ، وهم اليهود والنصارى، { فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ } ، الزمان بينهم وبين أنبيائهم، { فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ } ، قال ابن عباس : مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله، والمعنى أن الله عز وجل ينهى المؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر.
{ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } ، يعني الذين تركوا الإيمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

[17 - 18] وقوله عز وجل: { اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }{ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ } ، قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم : بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدهما، أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في الصاد، { وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } ، بالصدقة والنفقة في سبيل الله عز وجل، { يُضَاعَفُ لَهُمْ } ، ذلك القرض { وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ } ، ثواب حسن وهو الجنة.

[19] { وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ } ، والصديق الكثير الصدق، قال مجاهد : كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الآية.
قال الضحاك : هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته.
{ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ } ، اختلفوا في نظم هذه الآية منهم من قال: هي متصلة بما قبلها والواو واو النسق، وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين.
وقال الضحاك : هم الذين سميناهم.
وقال مجاهد : كل مؤمن صديق شهيد، وتلا هذه الآية، وقال قوم: تم الكلام عند قوله: { هُمُ الصِّدِّيقُونَ } ثم ابتدأ فقال: والشهداء عند ربهم، والواو واو الاستئناف، وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة، ثم اختلفوا فيهم فقال قوم: هم الأنبياء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة، يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مقاتل بن حياد .

وقال مقاتل بن سليمان : هم الذين استشهدوا في سبيل الله، { لَهُمْ أَجْرُهُمْ } ، بما عملوا من العمل الصالح، { وَنُورُهُمْ } ، على الصراط { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } .

[20] قوله عز وجل: { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } , أي الحياة الدنيا، (ما) صلة أي إن الحياة في هذه الدار، { لَعِبٌ } ، باطل لا حاصل له، { وَلَهْوٌ } ، فرح ثم ينقضي، { وَزِينَةٌ } ، منظر تتزينون به { وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ } , يفخر به بعضكم على بعض، { وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } , أي مباهاة بكثرة الأموال والأولاد، ثم ضرب لها مثلا فقال { كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ } ، أي الزراع، { نَبَاتُهُ } ، ما نبت من ذلك الغيث، { ثُمَّ يَهِيجُ } يبس، { فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا } ، بعد خضرته ونضرته، { ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا } ، يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى،

{ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ } قال مقاتل : لأعداء الله، { وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ } لأوليائه وأهل طاعته، { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } ، قال سعيد بن جبير : متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة، ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

[21] { سَابِقُوا } ، سارعوا، { إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } ، لو وصل بعضها ببعض، { أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } فبين أن أحدا لا يدخل الجنة إلا بفضل الله.
[22] قوله عز وجل: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ } ، يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار، { وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ } ، يعني الأمراض وفقد الأولاد، { إِلَّا فِي كِتَابٍ } ، يعني اللوح المحفوظ، { مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا } , من قبل أن نخلق الأرض والأنفس.
قال ابن عباس : من قبل أن نبرأ المصيبة.
وقال أبو العالية : يعني النسمة، { إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } ، أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل.
[23] { لِكَيْ لَا تَأْسَوْا } ، تحزنوا، { عَلَى مَا فَاتَكُمْ } من الدنيا، { وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } ، قرأ أبو عمرو بقصر الألف لقوله { فَاتَكُمْ } , فجعل الفعل له، وقرأ الآخرون (آتاكم) بمد الألف، أي: أعطاكم.

{ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ } متكبر بما أوتي من الدنيا، { فَخُورٍ } يفخر به على الناس.
[24] { الَّذِينَ يَبْخَلُونَ } ، قيل: هو في محل الخفض على نعت المختال.
وقيل: هو رفع بالابتداء وخبره فيما بعده.
{ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ } ، أي يعرض عن الإيمان { فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ }

[25] قوله عز وجل: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ } ، بالآيات والحجج، { وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ } ، يعني العدل.
وقال مقاتل بن سليمان : هو ما يوزن به أي ووضعنا الميزان كما قال: { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا } بأن وضع الميزان { لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } ، ليتعاملوا بينهم بالعدل، { وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ } ، قال أهل المعاني معنى قوله: (أنزلنا الحديد) ، أنشأنا وأحدثنا، أي أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه.
وقال قطرب : هذا من النزل كما يقال أنزل الأمير على فلان نزلا حسنا فمعنى الآية أنه جعل ذلك نزلا لهم.
ومثله قوله: { وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } .
{ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ } ، قوة شديدة يعني السلاح للحرب.

قال مجاهد : فيه جنة وسلاح يعني آلة الدفع وآلة الضرب { وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ } ، مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والإبرة ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة، { وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ } ، أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الأشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله، { مَنْ يَنْصُرُهُ } ، أي دينه، { وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ } ، أي قام بنصرة الدين لم ير الله ولا الآخرة وإنما يحمد

ويثاب من أطاع الله بالغيب.
{ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } ، قوي في أمره عزيز في ملكه.

{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } { ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ } على دينه { رَأْفَةً } ، وهي أشد الرقة، { وَرَحْمَةً } ، كانوا متوادين بعضهم لبعض، كما قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (رحماء بينهم) ، { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا } ، من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مضمر كأنه قال: وابتدعوا رهبانية أي جاءوا بها من قبل أنفسهم، { مَا كَتَبْنَاهَا } ، أي ما فرضناها، { عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ } ، يعني ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية، وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الجبال، { فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا } ، أي لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين

ملوكهم وتركوا الترهيب، وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به، وذلك قوله تعالى: { فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ } ، وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة، { وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ } ، وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام.

[28] فقال الله عز وجل: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ } الخطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى، يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم { وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ } محمد صلى الله عليه وسلم، { يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ } نصيبين، { مِنْ رَحْمَتِهِ } ، يعني يؤتكم أجرين لإيمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام والإنجيل، وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وقال قوم: انقطع الكلام عند قوله (رحمة) ثم قال: ورهبانية ابتدعوها وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان، فما رعوها يعني الطاعة والملة حق رعايتها كناية عن غير مذكور، فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم، وهم أهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون، وهم الذين ابتدعوا الرهبانية، وإليه ذهب مجاهد .
معنى قوله: { إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ } على هذا التأويل: ما أمرناهم وما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وما أمرنا لهم بالترهب.

{ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ } ، قال ابن عباس ومقاتل : يعني على الصراط، كما قال: { نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ } ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النور هو القران.
وقال مجاهد : هو الهدى والبيان، أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهمدون به، { وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }
[29] ثم قال: { لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ } ، قال قتادة : حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم، فأنزل الله تعالى: { لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ } ، قال مجاهد : قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا به، فأنزل الله تعالى: { لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ } أي

ليعلم و (لا) صلة، { أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } ، أي ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم، ولا نصيب لهم في فضل الله، { وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }

(58) سورة المجادلة
[1] { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } ، الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت، فقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: « يا رسول الله إن زوجي ظاهر مني، وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حرمت عليه " فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ }» الآيات (1) ومعنى قوله { قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ } وتخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها، { وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا } ، مراجعتكما الكلام، { إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } ، سميع لما تناجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه.

_____
(1) أخرجه عبد الرزاق في التفسير 2 / 277 وصححه الحاكم 2 / 481 وانظر تفسير ابن كثير 4 / 319.

[2] ثم ذم الظهار فقال: { الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ } ، أي ما اللواتي يجعلونهن مع زوجاتهم كالأمهات، المعنى ليس هن بأمهاتهم، { إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ } ، أي ما أمهاتهم، { إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ } ، لا يعرف في شرع { وَزُورًا } ، كذبا، { وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ } ، عفا عنهم وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم.
[3] { وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ } اختلف أهل العلم في العود فقال أهل الظاهر: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبي العالية، وقال: { ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا } أي إلى ما قالوا، أي أعادوه مرة أخرى، فإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه، وذهب قوم إلى أن الكفارة تجب بنفس الظهار والمراد من العود هو العود إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار، وهو قول مجاهد والثوري .

وقال قوم: المراد من العود الوطء، وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري، وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها، وقال قوم هو العزم على الوطء، وهو قول مالك وأصحاب الرأي، وفسر ابن عباس العود بالندم، فقال.
يندمون فيرجعون إلى الألفة ومعناه هذا.
قال الفراء : يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال: وفي نقض ما قال، يعني رجع عما قال، قوله: { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا } والمراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر عنها ما لم يكفر سواء أراد التكفير بالإعتاق أو بالصيام أو بالإطعام، وعند مالك : إن أراد التكفير بالإطعام يجوز له الوطء قبله لأن الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال في الإطعام: { فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا } ولم يقل: { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا } وعند الآخرين الإطلاق في الطعام محمول على المقيد في العتق

والصيام.
{ ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ } ، تؤمرون به، { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } .

[4] { فَمَنْ لَمْ يَجِدْ } يعني الرقبة، { فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ }{ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا } يعني المظاهر إذ لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر عن الجماع يجب عليه إطعام ستين مسكينا، { ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } ، لتصدقوا ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم من الله عز جل، { وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ } ، يعني ما وصف من الكفارات في الظهار، { وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، قال ابن عباس : لمن جحده وكذب به.
[5] { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } ، أي يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما، { كُبِتُوا } ، أذلوا وأخزوا وأهلكوا، { كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا } ، إليك، { آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ } .

[6 - 7] { يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ } ، حفظ الله أعمالهم، { وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ } ، أي من سرار ثلاثة يعني من المسارة، أي: ما من شيء يناجي به الرجل صاحبيه، { إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } ، بالعلم، وقيل: معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا إلا هو رابعهم بالعلم يعلم نجواهم { وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } .

[8] { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى } ، نزلت في اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى } أي المناجاة { ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ } ، أي يرجعون إلى المناجاة التي نهوا عنها { وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ } ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه، { وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ } ، وذلك أن اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم { وَيَقُولُونَ } السام عليك، والسام الموت وهم يوهمونه أنهم يقولون السلام عليك، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول: "عليكم " فإذا خرجوا قالوا: { فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ }

يريدون لو كان نبيا حقا لعذبنا الله بما نقول، قال الله عز وجل: { حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ } .
[9] فقال: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ } ، أي كفعل المنافقين واليهود، وقال مقاتل أراد بقوله: (آمنوا) المنافقين أي آمنوا بلسانهم.
قال عطاء : يريد الذي آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، { وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }

[10] { إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ } ، أي من تزيين الشيطان، { لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا } ، أي إنما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين، { وَلَيْسَ }، التناجي، { بِضَارِّهِمْ شَيْئًا } ، وقيل: ليس الشيطان بضارهم شيئا، { إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه، فإن ذلك يحزنه » .

[11] قوله عز وجل: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا } ، أي توسعوا في المجلس، قرأ الحسن وعاصم : في المجالس لأن الكل جالس مجلسا معناه ليتفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون (في المجلس) على التوحيد لأن المراد منه مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، { فَافْسَحُوا } : أوسعوا، يقول فسح يفسح فسحا إذا وسع في المجلس، { يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ } ، يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها، { وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا } أي ارتفعوا، قيل: ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لإخوانكم، وقال مجاهد وأكثر المفسرين: معناه إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة وإلى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا، { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ } ، بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم، صلى الله عليه وسلم وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لإخوانهم، { وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } ، من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم، { دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } ، قال الحسن : قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال: أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم في العلم

فإن الله تعالى يقول: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات.

[12] قوله عز وجل: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ } ، أمام مناجاتكم، { صَدَقَةً } ، قال ابن عباس : وذلك أن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه ويثبطهم ويردعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم, { ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ } ، يعني تقديم الصدقة على المناجاة، { وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ، يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم.
[13] { أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا } ، قال ابن عباس : أبخلتم؟ والمعنى: أخفتم العيلة والفاقة إن قدمتم، { بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا } ، ما أمرتم به، { وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } ، تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة، وقيل: الواو صلة مجازه فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفف عنكم، ونسخ الصدقة.
قال مقاتل بن حيان : كان ذلك عشر ليال ثم نسخ.
وقال الكلبي : ما كانت إلا ساعة من نهار.

{ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ } ، المفروضة، { وَآتُوا الزَّكَاةَ } ، الواجبة، { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }

[14] { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } ، نزلت في المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين إليهم وأراد بقوله: { غَضِبَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ } اليهود، { مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ } ، يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين، كما قال: { مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ }{ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } ، قال السدي ومقاتل : نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجراته إذ قال: « يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان " فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العينين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "علام تشتمني أنت وأصحابك؟!" فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، » فأنزل الله عز وجل هذه الآيات (1) ، فقال: ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم كذبة.

_____
(1) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص 761، وقال ابن حجر في الكافي: «لم أجده هكذا»، ثم ذكر نحوه من رواية سماك عن ابن جبير عن ابن عباس، وقد أخرجه أحمد والبزار والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم.

[15 - 16] { أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }{ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ } , الكاذبة, { جُنَّةً } يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم، { فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } ، صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم، { فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ }
[17 - 18] { لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ } ، يوم القيامة، { أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }{ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ } ، ما كانوا مشركين، { كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ } ، في الدنيا { وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ } من أيمانهم الكاذبة، { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ } .

[19- 20] { اسْتَحْوَذَ } ، غلب واستولى، { عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ }{ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ } ، الأسفلين أي هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة.

[21] { كَتَبَ اللَّهُ } ، قضى الله قضاء ثابتا، { لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } نظيره قوله: { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ }{ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ } قال الزجاج : غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة.
[22] قوله عز وجل: { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } ، الآية أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وأن من كان مؤمنا لا يوالي من كفر، إن كان من عشيرته، { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ } ، أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة.
وقيل: حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه.
{ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ } ، قواهم بنصر منه، قال الحسن : سمى نصره إياهم روحا لأن أمرهم يحيا به.
وقال السدي : يعني بالإيمان.

وقال الربيع : يعني بالقران وحججه، كما قال: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا } وقيل: برحمة منه.
وقيل: أمدهم بجبريل عليه السلام.
{ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا }{ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }

(59) سورة الحشر
[1 - 2] { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } ، يعني بني النضير، { مِنْ دِيَارِهِمْ } ، التي كانت بيثرب، قال ابن إسحاق : كان إجلاء بني النضير بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد، وفتح قريظة عند مرجعه من الأحزاب وبينهما سنتان.
{ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ } ، قال الزهري : كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا.
قال ابن عباس : من شك أن الحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر إلى الشام، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (اخرجوا) قالوا: إلى أين؟ قال: "إلى أرض المحشر" ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام، وقال الكلبي: إنما قال لأول الحشر لأنهم كانوا أول مع أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
قال مرة الهمداني : كان أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام في أيام عمر .

وقال قتادة : كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا { مَا ظَنَنْتُمْ } ، أيها المؤمنون، { أَنْ يَخْرُجُوا } ، من المدينة لعزتهم ومنعتهم، وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة، { وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ } ، أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله، { فَأَتَاهُمُ اللَّهُ } ، أي أمر الله وعذابه، { مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا } ، وهو أنه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، { وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ } ، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف، { يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ } ، قال الزهري : وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إبلهم، ويخرب المؤمنون باقيها.
قال ابن زيد : كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى الأوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا.

قال قتادة : كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها.
قال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم في أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فذلك قوله عز وجل: {

فَاعْتَبِرُوا } ، فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم، { يا أُولِي الْأَبْصَارِ } ، يا ذوي العقول والبصائر.

[3 - 4] { وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ } ، الخروج من الوطن، { لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا } ، بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة، { وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ }{ ذَلِكَ } ، الذي لحقهم، { بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } .
[5] { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ } الآية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخليهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل؟ فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا، واختلفوا في ذلك فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا.

وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله هذه الآية، بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم، أخبر الله في هذه الآية أن ما قطعتموه وما تركوه فبإذن الله، { أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ } ، واختلفوا في اللينة فقال قوم: النخل كلها لينة ما خلا العجوة، وقال مجاهد وعطية : هي النخل كلها من غير استثناء، وقال سفيان : هي كرام النخل.
وقال مقاتل : هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون، وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين: إنكم تكرهون الفساد في الأرض وأنتم تفسدون، دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه، فأخبر الله تعالى أن ذلك بإذنه.

[6] { وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ } ، أي: رده على رسوله، يقال: فاء يفيء أي رجع وفاءها الله، { مِنْهُمْ } ، أي من يهود بني النضير، { فَمَا أَوْجَفْتُمْ } ، أوضعتم، { عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ } يقال: وجف الفرس والبعير يجف وجيفا وهو سرعة السير، وأوجفه صاحبه إذا حمله على السير، وأراد بالركاب الإبل التي تحمل القوم.
وذلك أن بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسمها بينهم، كما فعل بغنائم خيبر، فبين الله تعالى في هذه الآية أنها فيء لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا إليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حربا.
{ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } فجعل أموال بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء, فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة .

[7] قوله عز وجل: { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } ، يعني من أموال كفار أهل القرى، قال ابن عباس : هي قريظة والنضير وفدك وخيبر

وقرى عرينة: { فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } , قد ذكرنا في سورة الأنفال حكم الغنيمة وحكم الفيء: أن مال الفيء كان لرسول الله في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقى مجعل مال الله, { كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً } , قرأ العامة بالياء { دُولَةً } نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة, وقرأ أبو جعفر (تكون) بالتاء (دولة) بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الأمر إلى دولة, وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحينئذ لا خبر له والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم, { بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ } , يعني بين الرؤساء والأقوياء, معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الأغنياء والأقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء, وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا اغتنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه, وهو المرباع, ثم يصطفي منها بعد المرباع ما شاء, فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه

فيما أمر به, ثم قال { وَمَا آتَاكُمُ } أعطاكم, { الرَّسُولُ } , من الفيء والغنيمة, { فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ } من الغلول وغيره, { فَانْتَهُوا } , وهذا نازل في أموال الفيء, وهو عام في كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عنه, { وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } ثم بين من له الحق في الفيء فقال:
[8] { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا } , رزقا { مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا } أي أخرجوا إلى دار الهجرة طلبا لرضا الله عز وجل, { وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } في إيمانهم.
قال قتادة : هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله, واختاروا الإسلام على ما كانوا فيه من شدة.
[9] { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ } وهم الأنصار تبوءوا الدار توطنوا الدار, أي المدينة اتخذوها دار الهجرة والإيمان, { مِنْ قَبْلِهِمْ } , أي أسلموا في ديارهم وآثروا الإيمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين.

ونظم الآية والذين تبوءوا الدار من قبلهم أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم, وقد آمنوا لأن الإيمان ليس بمكان تبوأ, { يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً } , حزازة وغيظا وحسدا, { مِمَّا أُوتُوا } , أي مما أعطى المهاجرين دونهم من الفيء, وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير بين المهاجرين, ولم يعط منها الأنصار فطابت أنفس الأنصار بذلك, { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ } , أي يؤثرون على إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم, { وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } , فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون, وذلك أنهم قاسموا ديارهم وأموالهم, { وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } , الشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل.
وفرق العلماء بين الشح والبخل.
قال ابن عمر : ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له, وقال سعيد بن جبير : الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة.
وقيل: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم.

[10] { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ } , يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة, ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن

سبقهم بالإيمان والمغفرة, فقال: { يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا } غشا وحسدا وبغضا، { لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } , فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم، فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية، لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل، المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين.

قال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل: المهاجرين، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه المنازل، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فسببتموهم! سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » (1) ، وقال مالك بن مغول : قال عمر بن شراحيل الشعبي : يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ فقالت: أصحاب موسى عليه السلام، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حواري عيسى عليه السلام، وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم! أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم، وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة (2) ، قال مالك بن أنس : من يبغض أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا: { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى

_____
(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 15 / 125، ويشهد له ما أخرجه في التفسير عن عروة قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم.
(2) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 85 / 1461، وذكره ابن تيمية في منهاج السنة 1 / 23-26 وقال: هذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضا.

رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } حتى أتى على هذه الآية.
[11] قوله عز وجل: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا } أي أظهروا خلاف ما أضمروا يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه، { يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } ، وهم اليهود من بني قريظة والنضير جعل المنافقين إخوانهم في الدين؛ لأنهم كفار مثلهم.
{ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ } ، من المدينة، { لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا } ، يسألنا خذلانكم وخلافكم، { أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ } ، يعني المنافقين، { لَكَاذِبُونَ }
[12] { لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ } ، وكان الأمر كذلك، فإنهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم، وقوتلوا فلم ينصروهم، قوله تعالى: { وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ } أي لو قدر وجود نصرهم.
قال الزجاج : معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الأدبار منهزمين، { ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ } ، يعني بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرهم.

[13] { لَأَنْتُمْ } ، يا معشر المسلمين، { أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ } ، أي يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله، { ذَلِكَ } ، أي ذلك الخوف منكم، { بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } ، عظمة الله.
[14] { لَا يُقَاتِلُونَكُمْ } ، يعنى اليهود، { جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ } ، أي لا يبرزون لقتالكم إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران، وهو قوله: { أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ } , قرأ ابن كثير وأبو عمرو (جدار) على الواحد، وقرأ الآخرون (جدر) بضم الجيم والدال على الجمع.
{ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ } ، أي بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة.
وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله { تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى } ، متفرقة مختلفة، قال قتادة : أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهادتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق.
وقال مجاهد : أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ }

[15] { كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } ، يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم، { قَرِيبًا } ، يعني مشركي مكة، { ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ } ، يعني القتل ببدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير، قاله مجاهد .
وقال ابن عباس : كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع.
وقيل: مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } .
ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود جميعا في تخادعهم.

[16] فقال: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ } أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان، { إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } .
[17] { فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا } ، يعني الشيطان وذلك الإنسان { أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ } ، قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإجلاء بني النضير عن المدينة فدس المنافقون إليهم، وقالوا: لا تجيبوا محمدا إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فإن قاتلكم فإنا معكم وإن أخرجكم خرجنا معكم، فأجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين، حتى جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرؤوا منهم.

[18] قوله عز وجل: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ } ، يعني ليوم القيامة، أي لينظر أحدكم أي شيء قدم لنفسه عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه، { وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }
[19] { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ } ، تركوا أمر الله، { فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ } ، أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا، { أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }
[20] { لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } .
[21] قوله عز وجل: { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } ، قيل: لو جعل في الجبل تمييز وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزانته، حذرا من أن لا يؤدي حق

الله عز وجل في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عما فيه من العبر كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } .

[22] { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ } ، الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه, والشهادة ما شاهدوه وما علموه، { هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } .
[23] { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ } ، الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، { السَّلَامُ } ، الذي سلم من النقائص، { الْمُؤْمِنُ } ، قال ابن عباس : هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه، وهو من الأمان الذي هو ضد التخويف كما قال: { وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } وقيل: معناه المصدق لرسله بإظهار المعجزات, والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب، والكافرين بما وعدهم من العقاب { الْمُهَيْمِنُ } ، الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل، يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشيء، وقيل: هو في الأصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء، كقولهم أرقت وهرقت، ومعناه المؤمن، وقال الحسن : الأمين.
وقال الخليل : هو الرقيب الحافظ وقال ابن زيد : المصدق.
وقال سعيد بن المسيب والضحاك : القاضي.

وقال ابن كيسان : هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله.
{ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ } ، قال ابن عباس : الجبار هو العظيم، وجبروت الله عظمته، وهو على هذا القول صفة ذات الله، وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت الكسر والأمر، وجبرت العظم إذا أصلحته بعد الكسر، فهو يغني الفقير ويصلح الكسير.
وقال السدي ومقاتل : هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد.
وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال: هو القهار الذي إذا أراد أمرا فعله لا يحجزه عنه حاجز.
{ الْمُتَكَبِّرُ } ، الذي تكبر عن كل سوء.
وقيل: المتعظم عما لا يليق به وأصل الكبر والكبرياء الإمتناع.
وقيل: ذو الكبرياء وهو الملك، { سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } .
[24] { هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ } ، المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال { يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ }{ الْبَارِئُ } ، المنشىء للأعيان من العدم إلى الوجود { الْمُصَوِّرُ } ، الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض.
هذه صورة الأمر أي مثاله، فأولا يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا.

{ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } .

(60) سورة الممتحنة

[1] { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ } قال المفسرون: نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى ناس بمكة من المشركين

يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا حاطب ما هذا؟" قال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إنه قد صدقكم" فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: "إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله هذه السورة (1) { تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ } ، قيل: أي المودة، والباء زائدة كقوله: { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ } وقال الزجاج : معناه كقوله إليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم، { وَقَدْ كَفَرُوا } ، الواو للحال أي وحالهم أنهم

_____
(1) أخرجه البخاري في الجهاد 6 / 143 ومسلم في فضائل الصحابة برقم (2494) 4 / 1941.

كفروا، { بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ } ، يعني القرآن { يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ } ، من مكة، { أَنْ تُؤْمِنُوا } ، أي لأن آمنتم، كأنه قال يفعلون ذلك لإيمانكم، { بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ } ، هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله: { لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ }{ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ } ، قال مقاتل بالنصيحة، { وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ } ، من المودة للكفار { وَمَا أَعْلَنْتُمْ } ، أظهرتم بألسنتكم، { وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } ، أخطأ طريق الهدى.
[2] { إِنْ يَثْقَفُوكُمْ } ، يظفروا بكم ويروكم، { يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ } ، بالضرب والقتل، { وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ } ، بالشتم، { وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ } ، كما كفروا.
يقول: لا تناصحوهم فإنهم لا يناصحونكم ولا يوادونكم.

[3] { لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ } ، معناه لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم التي بمكة إلى خيانة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم، { وَلَا أَوْلَادُكُمْ } ، الذين عصيتم الله لأجلهم، { يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ } ، فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }
[4] { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ } ، قدوة { حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ } ، من أهل الإيمان { إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ } ، من المشركين، { إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ } ، جمع بريء، { وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ }، جحدنا وأنكرنا دينكم، { وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } ، يأمر حاطبا والمؤمنين بالاقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، والذين معه.

من المؤمنين في التبرؤ من المشركين، { إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ } ، يعني لكم أسوة حسنة في إبراهيم وأموره إلا في استغفاره لأبيه المشرك، فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه: لأستغفرن لك، ثم تبرأ منه على ما ذكرناه في سورة التوبة { وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } ، يقول

إبراهيم لأبيه: ما أغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله إن عصيته وأشركت به، { رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا } ، يقول إبراهيم ومن معه من المؤمنين، { وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } .
[5] { رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا } ، قال الزجاج : لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا.
وقال مجاهد : لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم ذلك.
{ وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } .

[6] { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ } ، أي في إبراهيم ومن معه { أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ } ، هذا بدل من قوله لكم، وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة، { وَمَنْ يَتَوَلَّ } ، يعرض عن الإيمان ويوال الكفار، { فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ } ، عن خلقه، { الْحَمِيدُ } ، فوالى أولياءه وأهل طاعته.
قال مقاتل : فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة، ويعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله:
[7] { عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ } أي من كفار مكة، { مَوَدَّةً } ، ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخوانا وخالطوهم وناكحوهم، { وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ، ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال:

[8] { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ } ، أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم، { وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ } ، تعدلوا فيهم بالإحسان والبر، { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } ، قال ابن عباس : نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا النبي صلي الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا، فرخص الله في برهم ثم ذكر الذين نهاهم عن صلتهم فقال:
[9] { إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ } ، وهم مشركو مكة، { أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } .

[10] قوله عز وجل: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ } قال ابن عباس : امتحانها أن تستحلف ما خرجت لبغض زوجها ولا عشقا لرجل من المسلمين، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا لحديث أحدثته، ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحبا لله ورسوله.

{ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ } ، أي هذا الامتحان لكم والله أعلم بإيمانهن، {فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ } ، ما أحل الله مؤمنة لكافر، { وَآتُوهُمْ } ، يعني أزواجهم الكفار، مَا أَنْفَقُوا ، عليهن يعني المهر الذي دفعوا إليهن، { وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ } أي مهورهن، أباح الله نكاحهن للمسلمين، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار، { وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ } ، والعصم جمع العصمة وهي ما يعتصم به من العقد

والنسب، والكوافر جمع الكافرة، ونهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها، فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما.

قال الزهري : فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين { وَاسْأَلُوا } أيها المؤمنون، { مَا أَنْفَقْتُمْ } ، أي إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم، { وَلْيَسْأَلُوا } ، يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم {مَا أَنْفَقُوا } ، من المهر ممن تزوجها منكم، { ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } ، قال الزهري : لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد، فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله عز وجل وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمروا من أداء نفقات المسلمين على نسائهم.

[11] فأنزل الله عز وجل: { وَإِنْ فَاتَكُمْ } ، أيها المؤمنون، { شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ } ، فلحقن بهم مرتدات، { فَعَاقَبْتُمْ } ، قال المفسرون: معناه غنمتم أي غزوتم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة، وقيل: ظهرتم وكانت العاقبة لكم، وقيل: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم { فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ } ، إلى الكفار منكم، { مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا } ، عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار.
وقيل: فعاقبتم المرتدة بالقتل { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ } .

[12] قوله عز وجل: { يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ } ، الآية، وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه، وهو يبايع النساء بأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم ويبايعهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يعرفها، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « أبايعهن { عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا } ، فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي صلي الله عليه وسلم: { وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ }» ، وهي أن تقذف ولدا على زوجها ليس منه، قالت هند : والله إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: { وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ } ، قالت هند : ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء.

فأقر النسوة بما أخذ عليهن، قوله: { وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ } أراد وأد البنات الذي كان يفعل أهل الجاهلية، قوله: { وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ } : ليس المراد منه نهيهن عن الزنا لأن النهي عن الزنا قد تقدم ذكره، بل المراد منه أن تلتقط مولودا وتقول لزوجها هذا ولدي منك، فهو البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن، لأن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها، قوله { وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ } : أي في كل أمر وافق طاعة الله.

قال بكر بن عبد الله المزني : في كل أمر فيه رشد.
وقال مجاهد : لا تخلو المرأة بالرجال.
وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد : هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه، ولا تحدث المرأة الرجال إلا ذا محرم، ولا تخلو برجل غير ذي محرم، ولا تسافر إلا مع ذي محرم.
قوله: { فَبَايِعْهُنَّ } ، يعني إذا بايعنك فبايعهن، { وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان النبي صلي الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية.

{ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا } قالت: وما مست يد رسول الله صلي الله عليه وسلم يد امرأة إلا امرأة يملكها » (1) .
[13] قوله عز وجل: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } ، وهم اليهود وذلك أن أناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصلون إليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم، فنهاهم الله عن ذلك، { قَدْ يَئِسُوا } ، يعني هؤلاء اليهود، { مِنَ الْآخِرَةِ } ، بأن يكون لهم فيها ثواب وخير، { كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ } ، أي كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة.

_____
(1) أخرجه البخاري في الأحكام 13 / 203 ومسلم في الإمارة برقم (1866) 3 / 1489.

(61) سورة الصف
[1 - 2] { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }{ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ } ، قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأنزل الله عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا } فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين، فأنزل الله تعالى { لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ } وقال محمد بن كعب : لما أخبر الله تعالى رسوله صلي الله عليه وسلم بثواب الشهداء بدر، قالت الصحابة: لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه وسعنا، ففروا يوم أحد فعيرهم الله بهذه الآية.
وقال قتادة والضحاك : نزلت في شأن القتال، كان الرجل يقول: قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ولم يطعن، وضربت ولم يضرب، فنزلت هذه الآية.
قال ابن زيد : نزلت في المنافقين كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون.

[3] { كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا } ، قوله: { أَنْ تَقُولُوا } في موضع رفع، فهو كقولك بئس رجلا أخوك، ومعنى الآية أي عظم ذلك في المقت والبغض عند الله، أي إن الله يبغض بغضا شديدا أن تقولوا { مَا لَا تَفْعَلُونَ } ، أي تعدوا من أنفسكم شيئا ثم لم تفوا به.
[4] { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا } ، أي يصفون أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم، { كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ } ، قد رص بعضه ببعض أي ألزق بعضه ببعض وأحكم فليس فيه فرجة ولا خلل.
وقيل: أحكم بالرصاص .
[5] { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ } ، من بني إسرائيل، { يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي } ،

وذلك حين رموه بالأدرة، { وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ } ، والرسول يعظم ويحترم، { فَلَمَّا زَاغُوا } ، عدلوا عن الحق، { أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } ، أمالها عن الحق، يعني أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن الحق، { وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } قال الزجاج : يعني لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق.

[6] { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } ، والألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان أحدهما أنه مبالغة من الفاعل أي الأنبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمدا لله من غيره، والثاني أنه مبالغة من المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو أكثر مناقبا وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها { فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ }.
[7، 8] { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } { يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }
[9] { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }

[10] { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ } ، قرأ ابن عامر : تنجِّيكم بالتشديد والآخرون بالتخفيف، { مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } ، نزل هذا حين قالوا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه، وجعل ذلك بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار، ثم بين تلك التجارة فقال:
[11 - 12] { تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } { يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }
[13] { وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا } ، ولكم خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة { نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ } ، قال الكلبي : هو النصر على قريش، وفتح مكة.
وقال عطاء : يريد فتح فارس والروم.
{ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } ، يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصرة الدين وجهاد المخالفين.

[14] فقال: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ } ، أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام، { مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ } ، أي من ينصرني مع الله، { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ } ، قال ابن عباس : يعني في زمن عيسى عليه السلام، وذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق: فرقة قالوا: كان الله فارتفع، وفرقة قالوا: كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالوا: كان عبد الله ورسوله فرفعه الله إليه وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس، فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت المؤمنة على الكافرة، فذلك قوله تعالى: { فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ

فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ } ، غالبين، وروى مغيرة عن إبراهيم قال: فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلي الله عليه وسلم أن عيسى كلمة الله وروحه.

(62) سورة الجمعة

[1 - 2] { يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }{ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ } يعني العرب كانت أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ { رَسُولًا مِنْهُمْ } ، يعني محمدا صلي الله عليه وسلم نسبُه نسبُهم، { يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } ، أي ما كانوا قبل بعثة الرسول إلا في ضلال مبين يعبدون الأوثان.
[3] { وَآخَرِينَ مِنْهُمْ } أي المؤمنين الذين يدينون بدينهم؛ لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم، فإن المسلمين كلهم أمة واحدة، واختلف العلماء فيهم فقال قوم: هم العجم وقال عكرمة ومقاتل : هم التابعون.
وقال ابن زيد : هم جميع من دخل في الإسلام بعد النبي صلي الله عليه وسلم { لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ } ، أي لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم.
وقيل: لما يلحقوا بهم أي في الفضل والسابقة لأن التابعين لا يدركون شأو الصحابة { وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } .

[4] { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ } ، يعني الإسلام والهداية { وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } .
[5] قوله عز وجل: { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ } ، أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها، { ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا } ، لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها، { كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا } ، أي كتبا من العلم واحدها سفر، قال الفراء : هي الكتب العظام يعني كما أن الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها، كذلك اليهود يقرؤون التوراة ولا ينتفعون بها لأنهم خالفوا ما فيها، { بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الأنبياء يعني من سبق في علمه أنه لا يهديهم.
[6] { قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ } ، محمد صلي الله عليه وسلم وأصحابه، { فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ } ، فادعوا بالموت على أنفسكم، { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } ، أنكم أبناء الله وأحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم إليه.

[7 - 8]{ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ }{ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

[9] قوله عز وجل: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ } ، أي في يوم الجمعة وأراد بهذا النداء الأذان عند قعود الإمام على المنبر للخطبة { فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } ، أي: فامضوا إليه واعملوا له، وليس المراد من السعي الإسراع إنما المراد منه العمل والفعل، كما قال: { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ } وقال: { إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى } وكان عمر بن الخطاب يقرأ: (فامضوا إلى ذكر الله) وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود .
وقال الحسن : أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة

إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع.
وعن قتادة في هذه الآية: فاسعوا إلى ذكر الله، قال: فالسعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي إليها { إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } أي الصلاة، وقال سعيد بن المسيب : { فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } قال هو موعظة الإمام، { وَذَرُوا الْبَيْعَ } ، يعني البيع والشراء لأن اسم البيع يتناولهما جميعا.
وإنما يحرم البيع والشراء عند الأذان الثاني، وقال الزهري : عند خروج الإمام.

وقال الضحاك : إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء، { ذَلِكُمْ } ، الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع { خَيْرٌ لَكُمْ } ، من المبايعة، { إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } مصالح أنفسكم، واعلم أن صلاة الجمعة من فروض الأعيان فتجب على كل من جمع العقل والبلوغ والحرية والذكورة والإقامة إذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد، أما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما، لأنهما ليسا من أهل أن يلزمهما فرض الأبدان لنقصان أبدانهما، ولا جمعة على النساء بالاتفاق.
[10] قوله عز وجل: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ } ، أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم { وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } يعني الرزق وهذا أمر إباحة كقوله: { وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا } ، قال ابن عباس : إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر، وقيل: فانتشروا في الأرض ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله.
وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول : { وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } هو طلب العلم { وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } .

[11] قوله عز وجل: { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا } الآية، عن جابر بن عبد الله قال: « أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي صلي الله عليه وسلم، فثار الناس إلا اثني عشر رجلا فأنزل الله: { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا }» (1) وأراد باللهو الطبل.
وقيل: كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق.
وقوله: { انْفَضُّوا إِلَيْهَا } رد الكناية إلى التجارة لأنها أهم.
وقال علقمة : « سئل عبد الله بن عمر : أكان النبي صلي الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا؟ قال: أما تقرأ: { وَتَرَكُوكَ قَائِمًا }» وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي صلي الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله، هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعا، ويجب أن يقرأ في الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لا تصح جمعته عند الشافعي، وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه.

_____
(1) أخرجه البخاري في التفسير (8 / 643) ، ومسلم في الجمعة (2 / 590 رقم 863) .

وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة، وهو مأمور بالخطبة { قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ } ، أي ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي صلي الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة { وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } ، لأنه موجد الأرزاق فإياه فاسألوا ومنه فاطلبوا.

(63) سورة المنافقون
[1] { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ } ، يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه، { قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } ، لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا.
[2] { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً } ، سترة { فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } ، منعوا الناس عن الجهاد والإيمان بمحمد صلي الله عليه وسلم ، { إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } .
[3] { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا } ، أقروا باللسان إذا رأوا المؤمنين، { ثُمَّ كَفَرُوا } ، إذا خلوا إلى المشركين { فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ } ، بالكفر، { فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ } الإيمان.

[4] { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ } ، يعني أن لهم أجساما ومناظر، { وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ } ، فتحسب أنه صدق، قال عبد الله بن عباس : كان عبد الله بن أبيّ جسيما فصيحا ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبي صلي الله عليه وسلم قوله: { كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ } أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام { مُسَنَّدَةٌ } ممالة إلى جدار من قولهم أسندت الشيء إذا أملته، وأراد أنها ليست بأشجار تثمر ولكنها خشب مسندة إلى حائط، { يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ } ، أي لا يسمعون صوتا في العسكر إن نادى مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة إلا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم أنهم يرادون بذلك وظنوا أنهم قد أتوا، لما في قلوبهم من الرعب.
وقيل: ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمرا يهتك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال: { هُمُ الْعَدُوُّ } ، هذا ابتداء وخبره، { فَاحْذَرْهُمْ } ، ولا تأمنهم، { قَاتَلَهُمُ اللَّهُ } ، لعنهم الله { أَنَّى يُؤْفَكُونَ } ، يصرفون عن الحق.

[5] { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ } ، أي عطفوا وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار { وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ } ، يعرضون عما دعوا إليه، { وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } ، متكبرون عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم.
[6] { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ } ، يا محمد، { أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } قيل لعبد الله بن أبي ابن سلول في مرض موته: اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم! فأنزل الله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ } الآية.

[7] ونزل: { هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا } ، يتفرقوا، { وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } فلا يعطي أحد أحدا شيئا إلا بإذنه ولا يمنعه إلا بمشيئته، { وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ } أن أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.
[8] { يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ } ، عن غزوة بني المصطلق، { لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ } ، فعزة الله قهره من دونه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على

أعدائهم.
{ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } ذلك، ولو علموا ما قالوا هذه المقالة.

[9] قوله عز وجل: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ } لا تشغلكم { أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ } قال المفسرون: يعني الصلوات الخمس نظيره قوله { لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ }{ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ } أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله { فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } .
[10] { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ } ، قال ابن عباس : يريد زكاة الأموال، { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ } ، فيسأل الرجعة، { فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي } ، هلا أخرتني أمهلتني، وقيل: (لا) صلة فيكون الكلام بمعنى التمني أي لو أخرتني، { إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ } ، فأتصدق وأزكي مالي، { وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ } ، أي من المؤمنين، نظيره قوله تعالى: { وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ } هذا قول مقاتل وجماعة، وقالوا: نزلت الآية في المنافقين.
وقيل: نزلت الآية في المؤمنين.

والمراد بالصلاح هنا الحج، وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس أنه قال: ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت، وقرأ هذه الآية.
[11] { وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } ، قرأ أبو بكر (يعملون) بالياء وقرأ الآخرون بالتاء.

(64) سورة التغابن
[1 - 2] { يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } ، قال ابن عباس : إن الله خلق بني آدم مؤمنا وكافرا يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا، وقال جماعة: معنى الآية إن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا، لأن الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم، فقال { فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ } ثم اختلفوا في تأويلها، فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال.
فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة، ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة.
وقال عطاء بن أبي رباح : فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب.
وقيل فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه وهو مذهب الدهرية، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه.

وجملة القول فيه أن الله خلق الكافر، وكفره فعلا له وكسبا، وخلق المؤمن، وإيمانه فعلا له وكسبا، فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلم منه، والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه، وهذا طريق أهل السنة والجماعة من سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر.
[3] { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }

[4 - 5] { يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ } ، يخاطب كفار مكة، { نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ } ، يعني الأمم الخالية، { فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ } ، يعني ما لحقهم من العذاب في الدنيا، { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، في الآخرة.

[6] { ذَلِكَ } العذاب، { بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا } ، ولم يقل: يهدينا لأن البشر وإن كان لفظه واحدا فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه، وواحده إنسان، ومعناه ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا، { فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ } ، عن إيمانهم، { وَاللَّهُ غَنِيٌّ } ، عن خلقه، { حَمِيدٌ } ، في أفعاله، ثم أخبر عن إنكارهم البعث.
[7 - 8] فقال جل ذكره: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ } ، يا محمد، { بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }{ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا } ، وهو القرآن، { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } .

[9] { يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ } ، يعني يوم القيامة يجمع فيه أهل السماوات والأرض، { ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ } ، وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد، فالمغبون من غبن عن أهله ومنازله في الجنه فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان، { وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } .

[10] { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }
[11] { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } ، بإرادته وقضائه، { وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ } ، فيصدق أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله { يَهْدِ قَلْبَهُ } ، يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضائه، { وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }
[12] { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }
[13] { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }
[14] قوله عز وجل: { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ } ، قال ابن عباس .

هؤلاء رجال من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم، وقالوا صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم فأطاعوهم، وتركوا الهجرة، فقال تعالى: { فَاحْذَرُوهُمْ } أن تطيعوهم وتدعو الهجرة، { وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ، هذا فيمن أقام على الأهل والولد ولم يهاجر فإذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة وقد فقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة، وإن لحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير، فأمرهم الله عز وجل بالعفو عنهم والصفح.
[15] { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } ، بلاء واختبار وشغل عن الآخرة، يقع بسببها الإنسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام، { وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } ، قال بعضهم.

لما ذكر الله العداوة أدخل فيه من للتبعيض، فقال.
{ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ } لأن كلهم ليسوا بأعداء، ولم يذكر "من" في قول: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } لأنها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب.

[16] { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } ، أي أطقتم، هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ }{ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا } ، الله ورسوله، { وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ } ، أي أنفقوا من أموالكم خيرا لأنفسكم، { وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ } حتى يعطي حق الله من ماله { فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } .
[17 - 18] { إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ }{ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

(65) سورة الطلاق
[1] { يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ } نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لأنه السيد المقدم، فخطاب الجميع معه، وقيل: مجازه يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء، أي إذا أردتم تطليقهن، كقوله عز وجل: { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ } أي إذا أردت القراءة.
{ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ } ، أي لطهرهن بالذي يقضينه من عدتهن { وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ } ، أي عدد أقرائها فاحفظوها، قيل: أمر بإحصاء العدة لتفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثا.
وقيل: للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة أمر النفقة والسكنى.

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ } ، أراد به إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز أن يخرجها منه، { وَلَا يَخْرُجْنَ } ، ولا يجوز لها أن تخرج ما لم تنقض العدة، فإن خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثمت { إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ } ، قال ابن عباس : الفاحشة المبينة أن تبذأ على أهل زوجها فيحل إخراجها، وقال جماعه: أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها، ثم ترد إلى منزلها، ويروى ذلك عن ابن مسعود، وقال قتادة : معناه إلا أن يطلقها على نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها، والفاحشة: النشوز.
وقال ابن عمر والسدي : خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة.
{ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ } ، يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها، { وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا } ، يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين، وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات، ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى إذا ندم أمكنته المراجعة.

[2] { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ } ، أي قربن من انقضاء عدتهن، { فَأَمْسِكُوهُنَّ } ، أي راجعوهن، { بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ } ، أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم، { وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ } ، على الرجعة أو الفراق أمر بالإشهاد على الرجعة وعلى الطلاق، { وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ } ، أيها الشهود، { ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } ، قال عكرمة والشعبي والضحاك : ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا إلى الرجعة، وأكثر المفسرين قالوا: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى مالكا فأتى النبي صلي الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أسر العدو ابني وشكا إليه أيضا الفاقة، فقال له النبي صلي الله

عليه وسلم: « اتق الله واصبر وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله » ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلا وجاء إلى أبيه (1) .
[3] { وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } ، ما ساق من الغنم.

_____
(1) أورد الواحدي بغير سند، وأورده السيوطي في الدر (6 / 233) من رواية ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس، وكذا أخرجه الثعلبي من هذا الوجه كما في الكافي الشافي لابن حجر، وأخرجه الطبري من طريق سالم بن أبي الجعد مرسلا، ووصله الحاكم عن جابر، وفي سنده عبيد الله بن كثير تركه الأزدي، ورواه الخطيب في تاريخه من طريق جويبر (متروك) عن الضحاك.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن مسعود : هو أن يعلم أنه من قبل الله وأن الله رازقه.
وقال الربيع بن خثيم : { يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } من كل شيء ضاق على الناس.
وقال أبو العالية : { يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } من كل شدة.
وقال الحسن : { مَخْرَجًا } عما نهاه الله عنه.
{ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } ، يتق الله فيما: نابه كفاه ما أهمه { إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ } أي منفذه أمره، ممض في خلقه قضاءه.
{ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } ، أي جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلا ينتهي إليه.

[4] قوله عز وجل: { وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ } ، فلا يرجون أن يحضن، { إِنِ ارْتَبْتُمْ } ، أي شككتم فلم تدروا ما عدتهن، { فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ } ، يعني الصغار اللائي لم يحضن فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر، وهذا كله في عدة الطلاق، أما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض أو لا تحيض، وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا } أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.
[5] { ذَلِكَ } ، يعني ما ذكر من الأحكام، { أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا }

[6] { أَسْكِنُوهُنَّ } ، يعني مطلقات نسائكم { مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ } ، (من) صلة أي أسكنوهن حيث سكنتم { مِنْ وُجْدِكُمْ } ، سعتكم وطاقتكم يعني إن كان موسرا يوسع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيرا فعلى قدر الطاقة، { وَلَا تُضَارُّوهُنَّ } ، لا تؤذوهن، { لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ } ، مساكنهن فيخرجن، { وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ } ، فيخرجن من عدتهن.
{ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ } ، أي أرضعن أولادكم، { فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ } ، على إرضاعهن، { وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ } ، ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بالمعروف، وقال الكسائي : شاوروا، قال مقاتل : بتراضي الأب والأم على أجر مسمى، والخطاب للزوجين جميعا، يأمرهم أن يأتوا بالمعروف وبما هو الأحسن، ولا يقصدوا الضرار، { وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ } ، في الرضاع والأجرة فأبى الزوج أن يعطي المرأة أجرتها وأبت الأم أن ترضعه فليس له إكراهها على

إرضاعه، ولكنه يستأجر للصبي مرضعا غير أمه وذلك قوله: { فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى } .

[7] { لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ } ، على قدر غناه، { وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ } ، من المال، { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا } ، في النفقة، { إِلَّا مَا آتَاهَا } ، أعطاها من المال، { سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } ، بعد ضيق وشدة غنى وسعة.
[8] قوله عز وجل: { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ } ، عصت وطغت، { عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ } ، أي وأمر رسله، { فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا } ، بالمعاقبة والاستقصاء، قال مقاتل : حاسبها بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب، وهو قوله: { وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا } ، منكرا فظيعا وهو عذاب النار، لفظهما ماض ومعناهما الاستقبال، وقيل: في الآية تقديم وتأخير مجازها: فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر البلايا وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا.
[9] { فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا } ، جزاء أمرها، وقيل: ثقل عاقبة كفرها، { وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا } ، خسرانا في الدنيا والآخرة.

[10] { أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا } ، يعني القرآن.
[11] { رَسُولًا } بدلا من الذكر، وقيل: أنزل إليكم قرآنا وأرسل رسولا وقيل مع الرسول، وقيل: الذكر هو الرسول.
وقيل: ذكرا أي شرفا، ثم بين ما هو فقال { يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا } ، يعني الجنة التي لا ينقطع نعيمها.
[12] { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ } ، في العدد، { يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ } ، بالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى، قال أهل المعاني: هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاتها وينقلها من حال إلى حال.

وقال قتادة : في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه وخلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه.
{ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } ، فلا يخفى عليه شيء.

(66) سورة التحريم
[1] { يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ } يعني العسل ومارية { تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } وأمر أن يكفر عن يمينه ويراجع أمته، فقال:

[2] { قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ } ، أي بين وأوجب أن تكفروها إذا حنثتم وهي ما ذكر في سورة المائدة، { وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ } ، وليكم وناصركم، { وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } ، واختلف أهل العلم في لفظ التحريم، فقال قوم: ليس هو بيمين فإن قال لزوجته: أنت علي حرام أو حرمتك، فإن نوى به طلاقا

فهو طلاق، وإن نوى به ظهارا فظهار، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ، وإن قال ذلك لجاريته: فإن نوى عتقا عتقت، وإن نوى تحريم ذاتها أو أطلق، فعليه كفارة اليمين، فإن قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه، وهذا قول ابن مسعود وإليه ذهب الشافعي، وذهب جماعة إلى أنه يمين، فإن قال ذلك لزوجته أو جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها، كما لو حلف أن لا يطأها، وإن حرم طعاما فهو كما لو حلف ألا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل، يروى ذلك عن أبي بكر وعائشة، وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة رضي الله عنه.
[3] { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا } ، وهو تحريم فتاته على نفسه، وقوله لحفصة : « لا تخبري بذلك أحدا » .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة . قال.
الكلبي : أسر إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدي.
وقال ميمون بن مهران : أسر إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي.
{ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ } ، أخبرت به حفصةُ عائشةَ، { وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ } ، أي أطلع الله تعالى نبيه على أنها أنبأت به، { عَرَّفَ بَعْضَهُ } ، قرأ عبد الرحمن السلمي والكسائي (عرف) بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من إفشاء سره، أي غضب من ذلك عليها وجازاها به، من قول القائل لمن أساء إليه لأعرفن لك ما فعلت، أي لأجازينك عليه، وجازاها به عليه بأن طلقها، فلما بلغ ذلك عمر قال: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلي الله عليه وسلم، فجاء جبريل وأمره بمراجعتها، واعتزل رسول الله صلي الله عليه وسلم نساءه شهرا وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية، حتى نزلت آية التخيير.
وقال مقاتل بن حيان : لم يطلق رسول الله صلي الله عليه وسلم حفصة وإنما هم بطلاقها فأتاه جبريل عليه السلام، وقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها من جملة نسائك في الجنة، فلم يطلقها.

وقرأ الآخرون (عرف) بالتشديد أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث، أي أخبرها ببعض القول الذي كان منها، { وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ } ، يعني لم يعرفها إياه، ولم يخبرها به.
قال الحسن : ما استقصى كريم قط، قال الله تعالى: { عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ } ، وذلك أن النبي صلي الله عليه وسلم لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يترضاها فأسر إليها شيئين: تحريم الأمة على نفسه وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنها، وأطلع الله تعالى نبيه عليه، عرف حفصة وأخبرها ببعض مما أخبرت به عائشة وهو تحريم الأمة وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة، كره رسول الله صلي الله عليه وسلم أن ينتشر ذلك في الناس، { فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ } ، أي أخبر النبي صلي الله عليه وسلم حفصة بما أظهره الله عليه، { قَالَتْ } ، حفصة، { مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا } ، أي من أخبرك بأني أفشيت السر؟ { قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ }
[4] { إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ } ، أي من التعاون على النبي صلي الله عليه وسلم بالإيذاء يخاطب عائشة وحفصة { فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } ، أي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة.

قال ابن زيد : مالت قلوبكما بأن سرهما ما ذكره رسول الله صلي الله عليه وسلم من اجتناب جاريته.
قوله: { وَإِنْ تَظَاهَرَا } ، أي تتظاهرا وتتعاونا على أذى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء ، والآخرون بتشديدها ، { فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ } , أي وليه وناصره .
قوله : { وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ } روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب : (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - ، وقال الكلبي : هم المخلصون الذي ليسوا بمنافقين .
قوله : { وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ } أي : أعوان للنبي - صلى الله عليه وسلم - , وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع ، كقوله { وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } .

[5] { عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ } ، أي واجب من الله إن طلقكن رسوله ، { أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ } خاضعات لله بالطاعة ، { مُؤْمِنَاتٍ } ، مصدقات بتوحيد الله ، { قَانِتَاتٍ } ، طائعات ، وقيل : داعيات ، وقيل : مصليات ، { تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ } صائمات ، وقال زيد بن أسلم : مهاجرات . وقيل- يسحن معه حيثما ساح ، { ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا } ، وهذا في الإخبار عن القدرة لا عن الكون لأنه قال : { إِنْ طَلَّقَكُنَّ } وقد علم أنه لا يطلقهن وهذا كقوله : { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } ، وهذا إخبار عن القدرة ، لا في الوجود أمة هم خير من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - .

[6] قوله - عز وجل - : { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ } ، قال عطاء عن ابن عباس : أي بالانتهاء عما نهاكم الله - تعالى - عنه والعمل بطاعته ، { وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } ، يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر ، وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك نارا ، { وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ } يعني خزنة النار { غِلَاظٌ } , فظاظ على أهل النار { شِدَادٌ } ، أقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفا في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة ، { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } .

[7 - 8] { يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا } أي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه ، واختلفوا في معناه قال عمر وأبي ومعاذ : التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع . قال الحسن : هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ألا يعود فيه . قال الكلبي : أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن . قال سعيد بن المسيب : توبة تنصحون بها أنفسكم . قال القرظي : يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيئ الإخوان .

{ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ } أي لا يعذبهم الله بدخول النار . { نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ } ، على الصراط ، { يَقُولُونَ } ، إذ طفئ نور المنافقين { رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

[9] { يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } ثم ضرب الله مثلا للصالحين والصالحات من النساء .

[10] فقال - جل ذكره - : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ } واسمها واعلة , { وَامْرَأَةَ لُوطٍ } , اسمها واهلة , وقال مقاتل : والعة ووالهة , { كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ } وهما نوح ولوط - عليهما السلام -, { فَخَانَتَاهُمَا } قال ابن عباس : ما بغت امرأة نبي قط ، وإنما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما , فكانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون , وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة , وأما امرأة لوط فإنها كانت تدل قومه على أضيافه, إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار, وإذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه أنه نزل به ضيف , وقال الكلبي , أسرتا النفاق وأظهرتا الإيمان : { فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } لم يدفعا عنهما مع نبوتهما , عذاب الله , { وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ } . قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية أن ينفعه صلاح غيره, ثم أخبر أن معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعا .

[11] فقال : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ } وهي آسية بنت مزاحم , قال المفسرون : لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون , ولما تبين لفرعون إسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس , قال سلمان : كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها ظلتها الملائكة : { إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ } فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأته : { وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ } , قال مقاتل : وعمله يعني الشرك . وقال أبو صالح عن ابن عباس : وعمله , قال : جماعة : { وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } الكافرين
[12] { وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ } , أي في جيب درعها , ولذلك ذكر الكناية , { مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا } يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة { وَكُتُبِهِ } أراد الكتب التي أنزلت على إبراهيم وموسى وداود وعيسى - عليهم السلام - .

{ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ } , أي من القوم القانتين المطيعين لربها ولذلك لم يقل من القانتات, وقال عطاء : من القانتين أي من المصلين , ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها فإنهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله .

(67) سورة الملك

[1 - 2] { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }{ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ }

قال عطاء عن ابن عباس : يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة, وقال قتادة : أراد موت الإنسان وحياته في الدنيا وجعل الله الدنيا دار حياة وفناء, وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء : قيل : إنما قدم الموت لأنه إلى القهر أقرب . وقيل : قدمه لأنه أقدم, لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما , ثم طرأت عليها الحياة : { لِيَبْلُوَكُمْ } , فيما بين الحياة إلى الموت : { أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } , روي عن ابن عمر مرفوعا (أحسن عملا) أحسن عقلا وأورع عن محارم الله, وأسرع في طاعة الله, وقال الفضيل بن

عياض : أحسن عملا أخلصه وأصوبه, وقال : العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا, فالخالص إذا كان لله, والصواب إذا كان على السنة, وقال الحسن : أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها وقال الفراء : لم تقع البلوى على أي إلا وبينهما إضمار ، كما تقول : بلوتكم لأنظر أيكم أطوع ، ومثله سلهم أيهم بذلك زعيم أي سلهم وانظر أيهم { وَهُوَ الْعَزِيزُ } , في انتقامه ممن عصاه ، { الْغَفُورُ } ، لمن تاب إليه .

[3] { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا } , طبقا على طبق بعضها فوق بعض . { مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ } , . معناه . ما ترى يا بن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض ، بل هي مستقيمة مستوية وأصله من الفوت وهو أن يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها ، { فَارْجِعِ الْبَصَرَ } ، كرر النظر ، معناه : انظر ثم ارجع ، { هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ } ، شقوق وصدوع .
[4] { ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ } , قال ابن عباس : مرة بعد مرة ، { يَنْقَلِبْ } ينصرف ويرجع { إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا } صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى ، { وَهُوَ حَسِيرٌ } كليل منقطع لم يدرك ما طلب .
[5] { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ } , أراد الأدنى من الأرض وهي التي يراها الناس . وقوله : (بمصابيح) الكواكب ، واحدها مصباح ، وهو السراج سمي الكوكب مصباحا لإضاءته ، { وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا } مرامي, { لِلشَّيَاطِينِ } ، إذا استرقوا السمع ، { وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ } في الآخرة ، { عَذَابَ السَّعِيرِ } , النار الموقدة .

[6, 7] { وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }{ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا } ، وهو أول نهيق الحمار وذلك أقبح الأصوات ، { وَهِيَ تَفُورُ } تغلي كغلي المرجل ، وقال مجاهد : تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل .
[8] { تَكَادُ تَمَيَّزُ } , تتقطع , { مِنَ الْغَيْظِ }, من تغيظها عليهم, قال ابن قتيبة , تكاد تنشق غيظا على الكفار { كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ } , جماعة منهم, { سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا } , سؤال توبيخ , { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } , رسول ينذركم .
[9] { قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا } للرسل { مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ }
[10] { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ } من الرسل ما جاءونا به ، { أَوْ نَعْقِلُ } منهم ، وقال ابن عباس : لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به ، { مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } ، قال الزجاج : لو كنا نسمع سمع من يعي ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار .

[11] { فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا } بعدا ، { لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ } .

[12 - 13] { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }
{ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } قال ابن عباس : نزلت في المشركين ، كانوا ينالون من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا : فقال بعضهم لبعض : أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد .
[14] فقال الله - جل ذكره - : { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ } ألا يعلم ما في الصدور من خلقها ، { وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } , لطيف علمه في القلوب ، الخبير بما فيها

من السر والوسوسة . وقيل : (من) يرجع إلى المخلوق ، أي ألا يعلم الله مخلوقه .

[15] { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا } ، سهلا لا يمتنع المشي فيها بالحزونة ، { فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا } قال ابن عباس وقتادة : في جبالها . وقال الضحاك : في آكامها . وقال مجاهد : في طرقها وفجاجها . قال الحسن : في سبلها . وقال الكلبي : في أطرافها . وقال مقاتل : في نواحيها . قال الفراء : في جوانبها . والأصل في الكلمة الجانب { وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ } ، مما خلقه رزقا لكم في الأرض ، { وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } أي : وإليه تبعثون من قبوركم .
[16] ثم خوف الكفار فقال : { أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ } قال ابن عباس : أي عذاب من في السماء إن عصيتموه ، { أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ } , قال الحسن : تتحرك بأهلها . وقيل : تهوي بهم ، والمعنى : أن الله - تعالى - يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تلقيهم إلى أسفل ، تعلو عليهم وتمر فوقهم . يقال : مار يمور إذا جاء وذهب .

[17] { أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا } ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط . { فَسَتَعْلَمُونَ } , في الآخرة وعند الموت ، { كَيْفَ نَذِيرِ } أي إنذاري إذا عاينتم العذاب .
[18] { وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } يعني كفار الأمم الماضية ، { فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ } ، أي إنكاري عليهم بالعذاب .
[19] { أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ } تصف أجنحتها في الهواء ، { وَيَقْبِضْنَ } ، أجنحتهن بعد البسط { مَا يُمْسِكُهُنَّ } ، في حال القبض والبسط أن يسقطن ، { إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ } .
[20] { أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ } استفهام إنكار . قال ابن عباس : أي منعة لكم ، { يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ } ، يمنعكم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم . { إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ } أي في غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم .

[21] { أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ } ، أي من الذي يرزقكم المطر إن أمسك الله عنكم ، { بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ } ، تمادوا في الضلال ، { وَنُفُورٍ } ، تباعد من الحق .
[22] ثم ضرب مثلا فقال : { أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ } ، راكبا رأسه في الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر . قال قتادة : راكبا على المعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة ، { أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا } ، معتدلا يبصر الطريق وهو ، { عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } وهو مؤمن . قال قتادة : يمشي يوم القيامة سويا .

[23] { قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ } ، قال مقاتل : يعني أنهم لا يشكرون رب هذه النعم .
[24 - 27] { قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ }{ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }{ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ } { فَلَمَّا رَأَوْهُ }
، يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين . وقال مجاهد : يعني العذاب ببدر ، { زُلْفَةً } ، أي قريبا وهو اسم يوصف به المصدر يستوي فيه

المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع ، { سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، اسودت وعلتها الكآبة ، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد ، يقال ساء الشيء يسوء فهو سيئ إذا قبح ، وسيئ يساء إذا قبح ، { وَقِيلَ } لها أي قال لهم الخزنة ، { هَذَا } ، أي هذا العذاب ، { الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ } ، تفتعلون من الدعاء أي أن تدعوه وتتمنوه أنه يجعله لكم ، وقرأ يعقوب : تدعون بالتخفيف ، وهي قراءة قتادة ومعناهما واحد مثل تذكرون وتذكرون .

[28] { قُلْ } ، يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك ، { أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ } ، من المؤمنين ، { أَوْ رَحِمَنَا } فأبقاها إلى منتهى آجالنا ، { فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } ، فإنه واقع بهم لا محالة . وقيل : معناه أرأيتم إن أهلكني الله فيعذبني ومن معي أو رحمنا فيغفر لنا ، فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا ، لأن حكمه نافذ فينا ، فمن يجير الكافرين فمن يجيركم ويمنعكم مع عذابه وأنتم كافرون ، وهذا معنى قول ابن عباس .
[29] { قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ } ، الذي نعبده ، { آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ } ، قرأ الكسائي بالياء ، وقرأ الباقون بالتاء . { مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } ، أي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال منا أنحن أم أنتم ؟
[30] { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا } , أي غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي والدلاء ، قال الكلبي ومقاتل : يعني ماء زمزم ، { فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ } ، ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء . وقال عطاء عن ابن عباس : معين أي جار .

(68) سورة القلم
[1] { ن } اختلفوا فيه فقال بعضهم : إن نون آخر حروف الرحمن ، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس . وقال الحسن وقتادة والضحاك : النون الدواة . وقيل : هو قسم أقسم الله به . وقيل : فاتحة السورة { وَالْقَلَمِ } ، هو الذي كتب الله به الذكر { وَمَا يَسْطُرُونَ } ، يكتبون أي ما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم .
[2] { مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ } ، بنبوة ، { رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ } ، هذا جواب لقولهم { يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ } فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الأعمال أي : إنك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة . وقيل : بعصمة ربك . وقيل : هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله . وقيل : معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك ، كقولهم : سبحانك اللهم وبحمدك أي والحمد لك .
[3] { وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ } ، أي منقوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك .

[4] { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } ، قال ابن عباس ومجاهد : دين عظيم لا دين أحب إلي ولا أرضى عندي منه ، وهو دين الإسلام . وقال الحسن : هو آداب القرآن ، وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله ، والمعنى إنك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن . وقيل : سمى الله خلقه عظيما لأنه امتثل تأديب الله إياه بقوله : { خُذِ الْعَفْوَ } [الأعراف : 199] الآية .
[5] قوله - عز وجل - { فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ } ، فسترى يا محمد ويرون يعني

أهل مكة إذا نزل بهم العذاب .
[6] { بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ } ، قيل معناه بأيكم المجنون . فالمفتون مفعول بمعنى المصدر ، وقيل : الباء بمعنى (في) مجازه : فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون في فريقك أم في فريقهم؟ وقيل : بأيكم المفتون وهو الشيطان الذي فتن بالجنون ، وهذا قول مجاهد . وقال آخرون : الباء فيه زائدة معناه : أيكم المفتون؟ أي المجنون الذي فتن بالجنون ، وهذا قول قتادة .

[7] { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } { فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ } ، يعني مشركي مكة فإنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه فنهاه أن يطيعهم .
[9] { وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ } ، قال الضحاك : لو تكفرون فيكفرون . وقال الكلبي : لو تلين لهم فيلينون لك . قال الحسن : لو تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم . قال زيد بن أسلم : لو تنافق وترائي فينافقون .
[10] { وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ } ، كثير الحلف بالباطل . قال مقاتل : يعني الوليد بن المغيرة . وقيل . الأسود بن عبد يغوث : وقال عطاء : الأخنس بن شريق . قوله : { مَهِينٍ } ، ضعيف حقير قيل : هو فعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز . وقال ابن عباس : كذاب ، وهو قريب من الأول لأن الإنسان إنما يكذب لمهانة نفسه عليه .
[11] { هَمَّازٍ } ، مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة ، وقال الحسن : هو الذي يغمز بأخيه في المجلس ، كقوله (همزة) { مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ } ، قتات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم .

[12] { مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ } ، بخيل بالمال ، قال ابن عباس : مناع للخير أي للإسلام يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام, يقول : لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبدا . { مُعْتَدٍ } ، ظلوم يتعدي الحق, { أَثِيمٍ } ، فاجر .

[13] { عُتُلٍّ } ، العتل : الغليظ الجافي . وقال الحسن : هو الفاحش الخلق ، السيئ الخلق . قال الفراء : هو الشديد الخصومة في الباطل . وقال الكلبي : هو الشديد في كفره ، وكل شديد عند العرب عتل ، وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف { بَعْدَ ذَلِكَ } ، أي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به ، { زَنِيمٍ } ، وهو الدعي الملصق بالقوم ، وليس منهم ، قال عطاء كن ابن عباس : يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم . قال مرة الهمداني : إنما ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة . وقيل : الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة . وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : نعت من لا يعرف حتى قيل : زنيم فعرف ، وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها . قال ابن قتيبة : لا نحلم أن الله وصف أحدا ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة ، فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة .

[14] { أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ } ، قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب (أأن) بالاستفهام وقرأ الآخرون : بلا استفهام على الخبر ، فمن قرأ بالاستفهام فمعناه : ألأن كان ذا مال وبنين .
[15] { إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } ، أي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا . وقيل : معناه ألأن كان ذا مال وبنين

تطيعه . ومن قرأ على الخبر فمعناه : لا تطع كل حلاف مهين لأن كان ذا مال وبنين ، أي لا تطعه لماله وبنيه ، { إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ }

[16] ثم أوعده فقال : { سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ } ، الخرطوم الأنف . قال أبو العالية ومجاهد : أي نسود وجهه فنجعل له علما في الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه . قال الفراء : خص الخرطوم بالسمة وأنه في مذهب الوجه لأن بعض الشيء يعبر به عن كله . وقال ابن عباس : سنحطمه بالسيف ، وقد فعل ذلك يوم بدر . وقال قتادة : سنلحق به شيئا لا يفارقه ، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة ، كالوسم على الخرطوم . وقال الضحاك والكسائي : سنكويه على وجهه .
[17 - 18] { إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ } ، يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع ، { كَمَا بَلَوْنَا } ، ابتلينا ، { أَصْحَابَ الْجَنَّةِ } بستان باليمن { إِذْ أَقْسَمُوا } ، حلفوا ، { لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ } ، ليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين ، { وَلَا يَسْتَثْنُونَ } ، لا يقولون : إن شاء الله .
[19] { فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ } , عذاب { مِنْ رَبِّكَ } , ليلا ولا يكون الطائف إلا بالليل ، وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها ، { وَهُمْ نَائِمُونَ } .

[20] { فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ } ، كالليل المظلم الأسود ، الأسود بلغة خزيمة .
[21] { فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ } ، نادى بعضهم بعضا لما أصبحوا .
[22] { أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ } يعني الثمار والزروع والأعناب ، { إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ } ، قاطعين للنخل .
[23] { فَانْطَلَقُوا } ، مشوا إليها ، { وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ } ، يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا .
[24] { أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ }{ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ } ، الحرد في اللغة يكون بمعنى القصد والمنع والغضب ، قال الحسن وقتادة وأبو العالية ، : على جد وجهد . وقال القرظي ومجاهد وعكرمة : على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم ، وهذا على معنى القصد لأن القاصد إلى الشيء جاد مجمع على الأمر . وقال أبو عبيدة والقتيبي : غدوا من بيتهم على منع المساكين ، وقال الشعبي وسفيان : على حنق وغضب من المساكين . وعن ابن عباس : على قدرة ، { قَادِرِينَ } ، عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينها وبينهم أحد .

[26] { فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ } ، أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا : إنا لمخطئون الطريق أضللنا مكان جنتنا ليست هذه بجنتنا .
[27] فقال بعضهم : { بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ } ، حرمنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء .
[28] { قَالَ أَوْسَطُهُمْ } ، أعدلهم أعقلهم وأفضلهم ، { أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ } ، هلا تستثنون ، أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم ليصرمنها مصبحين ، وسمي الاستثناء تسبيحا لأنه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته . وقيل : هلا تسبحون الله وتقولوا . سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم . وقيل : هلا تستغفرونه من فعلكم .
[29] { قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا } ، نزهوه عن أن يكون ظالما فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا : { إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } ، بمنعنا المساكين .
[30] { فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ } ، يلوم بعضهم بعضا في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل .

[31] { قَالُوا يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ } ، في منعنا حق الفقراء . وقال ابن كيسان : طغينا نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل .
[32] ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا : { عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ } ، قال عبد الله بن مسعود : بلغني أن القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان .
[33] { كَذَلِكَ الْعَذَابُ } ، أي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا ، { وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } .
[34] ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال : { إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } ، فقال المشركون : إنا نعطى في الآخرة أفضل مما تعطون . فقال الله تكذيبا لهم .
[35- 37] { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ }{ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }{ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ } ، نزل من عند الله ، { فِيهِ } ، في هذا الكتاب ، { تَدْرُسُونَ } ، تقرءون .
[38] { إِنَّ لَكُمْ فِيهِ } ، في ذلك الكتاب ، { لَمَا تَخَيَّرُونَ } ، تختارون وتشتهون .

[39] { أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ } ، عهود ومواثيق ، { عَلَيْنَا بَالِغَةٌ } ، مؤكدة عاهدناكم عليها ، فاستوثقتم بها منا فلا تنقطع ، { إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ } الخير والكرامة عند الله .
[40] ثم قال لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : { سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ } ، كفيل أي أيهم يكفل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين .
[41] { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ } ، أي عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا . وقيل : شهداء يشهدون لهم بصدق ما يدعونه . { فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ } .
[42] { يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ } ، قيل : عن أمر فظيع شديد ، قال ابن عباس : هو أشد ساعة في القيامة . قال سعيد بن جبير : يوم يكشف عن ساق : عن شدة الأمر . وقال ابن قتيبة : تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه إلى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه ، ويقال إذا اشتد الأمر في الحرب : كشفت الحرب عن ساق . قوله - عز وجل - : { وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ } ، يعني الكفار والمنافقون ، تصير أصلابهم كصياصي البقر فلا يستطيعون السجود .

[43] { خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ } ، وذلك أن المؤمنين يرفعون رءوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج, وتسود وجوه الكافرين والمنافقين : { تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ } ، يغشاهم ذل الندامة والحسرة ، { وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ } ، قال إبراهيم التيمي : يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة . وقال سعيد بن جبير : كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون ، { وَهُمْ سَالِمُونَ } ، أصحاء فلا يأتونه ، قال كعب الأحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا عن الذين يتخلفون عن الجماعات .
[44] { فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ } ، أي فدعني والمكذبين بالقرآن ، وخل بيني وبينهم . قال الزجاج : معناه لا تشغل قلبك به وكله إلي فإني أكفيك أمره ، { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ } ، سنأخذهم بالعذاب ، { مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ } ، فعذبوا يوم بدر .

[45 - 48] { وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ }{ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ }{ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ }{ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ } ، أصبر على أذاهم لقضاء ربك ، { وَلَا تَكُنْ } ، في الضجر والعجلة ، { كَصَاحِبِ الْحُوتِ } ، وهو يونس بن متى ، { إِذْ نَادَى } ، ربه وهو في بطن الحوت ، { وَهُوَ مَكْظُومٌ } ، مملوء غما .
[49] { لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ } ، أدركه { نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ } ، حين رحمه وتاب عليه ، { لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ } ، لطرح بالفضاء من بطن الحوت ، { وَهُوَ مَذْمُومٌ } ، يذم ويلام بالذنب .

[50 - 51] { فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ } ، اصطفاه ، { فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ }{ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ } ، وذلك أن الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعين فنظروا إليه قوم من قريش ، وقالوا : ما رأينا مثله ولا مثل حججه ، قال ابن عباس : معناه ينفذونك ، يقال : زلق السهم إذا أنفذ ، قال السدي : يصيبونك بعيونهم . قال النضر بن شميل : يعينونك . وقيل : يزيلونك . وقال الكلبي : يصرعونك . وقيل : يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة . قال ابن قتيبة : ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه ، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء ، يكاد يسقطك . وقال الزجاج : يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن لصرعوك ، وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل : نظر إلي نظرا يكاد يصرعني ، ونظرا يكاد يأكلني ، يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن . وهو قوله : { لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ } ، وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون إليه النظر بالبغضاء ، { وَيَقُولُونَ

إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ } ، أي ينسبونه لجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن .
[52] فقال الله - تعالى - : { وَمَا هُوَ } ، يعني القرآن ، { إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } ، قال ابن عباس : موعظة للمؤمنين . قال الحسن : دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية .

(69) سورة الحاقة
[1] { الْحَاقَّةُ } يعني القيامة سميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها . وقيل : لأن فيها حواق الأمور وحقائقها ، ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال ، أي يجب ، يقال : حق عليه الشيء إذا وجب يحق حقوقا .
[2] { مَا الْحَاقَّةُ } هذا استفهام معناه التفخيم لشأنها ، كما يقال : زيد ما زيد ، على التعظيم لشأنه .
[3] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ } ، أي أنك لا تعلمها إذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الأهوال .
[4] { كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ } ، قال ابن عباس وقتادة : بالقيامة ، سميت قارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة . وقيل : كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم .
[5] { فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ } ، أي بطغيانهم وكفرهم . قيل : هي مصدر ، وقيل : نعت ، أي بأفعالهم الطاغية ، وهذا معنى قول مجاهد ، كما قال : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا } وقال قتادة : بالصيحة الطاغية ، وهي التي جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم .

[6] { وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ } ، عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل ، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها .
[7] { سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ } ، أرسلها عليهم . وقال مقاتل : سلطها عليهم . { سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ } ، قال وهب : هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة . قيل : سميت عجوزا لأنها عجز الشتاء . وقيل : سميت بذلك لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح ، فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب .
{ حُسُومًا } ، قال مجاهد وقتادة : متتابعة ليس فيها فترة ، فعلى هذا هو حسم الكي ، وهو أن يتابع على موضع الداء بالمكوة حتى يبرأ ، ثم قيل لكل شيء تويع : حاسم ، وجمعه حسوم ، مثل شاهد وشهود ، وقال الكلبي ومقاتل : حسوما دائمة . وقال النضر بن شميل : حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم ، والحسم : القطع والمنع ومنه حسم الداء . قال الزجاج : أي تحسمهم حسوما تفنيهم وتذهبهم . وقال عطية : شؤما كأنها حسمت الخير عن أهلها .

{ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا } ، أي في تلك الليالي والأيام ، { صَرْعَى } ، هلكى جمع صريع ، { كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } ، ساقطة ، وقيل : خالية الأجواف .
[8] { فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ } ، أي من نفس باقية يعني لم يبق منهم أحد .

[9] { وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ } ، قرأ أهل البصرة والكسائي : بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه ، وقرأ الآخرون : بفتح القاف وسكون الباء . أي ومن قبله من الأمم الكافرة ، { وَالْمُؤْتَفِكَاتُ } ، يعني أي قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات . وقيل : يريد الأمم الذين ائتفكوا بخطيئتهم ، { بِالْخَاطِئَةِ } ، أي بالخطيئة والمعصية وهي الشرك .
[10] { فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ } ، يعني لوطا وموسى ، { فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً } ، نامية ، قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : شديدة . وقيل : زائدة على عذاب الأمم .
[11] { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ } ، أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه يعني زمن نوح عليه السلام ، { حَمَلْنَاكُمْ } ، أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم ، { فِي الْجَارِيَةِ } ، في السفينة التي تجري في الماء .

[12] { لِنَجْعَلَهَا } ، أي لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه ، { لَكُمْ تَذْكِرَةً } ، عبرة وعظة { وَتَعِيَهَا } أي تحفظها ، { أُذُنٌ وَاعِيَةٌ } ، أي حافظة لما جاء من عند الله . قال قتادة : أذن سمعت وعقلت ما سمعت . قال الفراء : لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتي بعد .
[13] { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ } ، وهي النفخة الأولى .
[14] { وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ } ، رفعت أماكنها ، { فَدُكَّتَا } ، كسرتا ، { دَكَّةً } كسرة ، { وَاحِدَةً } ، فصارتا هباء منثورا .
[15] { فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } ، قامت القيامة .
[16] { وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ } ، ضعيفة قال الفراء . وهيها تشققها .

[17] { وَالْمَلَكُ } ، يعني الملائكة ، { عَلَى أَرْجَائِهَا } ، نواحيها ، وأقطارها ما لم ينشق منها ، وأحدها رجا وتثنيته رجوان . قال الضحاك : تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها . { وَيَحْمِلُ

عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ } ، أي فوق رءوسهم يعني الحملة ، { يَوْمَئِذٍ } ، يوم القيامة ، { ثَمَانِيَةٌ } ، أي ثمانية أملاك . وروي عن ابن عباس أنه قال : فوقهم يومئذ ثمانية أي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله .
[18] { يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ } ، على الله ، { لَا تَخْفَى } ، قرأ بالياء, وقرأ الآخرون بالتاء ، { مِنْكُمْ خَافِيَةٌ } ، أي فعلة خافية . قال الكلبي : لا يخفى على الله منكم شيء . قال أبو موسى : يعرض الناس ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فآخذ بيمينه وآخذ بشماله .
[19] وذلك قوله - عز وجل - : { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ } ، الهاء في { كِتَابِيَهْ } هاء الوقف .

[20] { إِنِّي ظَنَنْتُ } ، علمت وأيقنت ، { أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ } أي أحاسب في الآخرة .
[21] { فَهُوَ فِي عِيشَةٍ } ، يعني حالة من العيش ، { رَاضِيَةٍ } ، مرضية .
[22] { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ } ، رفيعة .
[23] { قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } ، ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطعون كيف شاءوا .
[24] ويقال لهم : { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ } ، قدمتم لآخرتكم من الأعمال الصالحة ، { فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ } ، الماضية يريد أيام الدنيا .
[25] { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ } ، قال ابن السائب : تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه . وقيل : تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه . { فَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أوتَ كِتَابِيَهْ } ، يتمنى أنه لم يؤت كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله .

[26 - 27] { وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ }{ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ } ، يقول : يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية من كل ما بعدها ، والقاطعة للحياة ، فلم أحي بعدها . والقاضية موت لا حياة بعدها ، يتمنى أنه لم يبعث للحساب . قال قتادة : يتمنى الموت وإن لم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت .
[28] { مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ } ، لم يدفع عني من عذاب الله شيئا .
[29] { هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ } ، ضلت عني حجتي ، عن أكثر المفسرين ، وقال ابن زيد : زال عني ملكي وقوتي . قال مقاتل : يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك ، يقول الله لخزنة جهنم :
[30] { خُذُوهُ فَغُلُّوهُ } ، اجمعوا يده إلى عنقه .
[31] { ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ } ، أي أدخلوه الجحيم .
[32] { ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ } ، فأدخلوه فيها . قال ابن عباس : سبعون ذراعا بذراع الملك ، فيدخل في دبره ويخرج من منخره . وقيل : يدخل في فيه ويخرج من دبره .

[33 - 34] { إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ }{ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ } ، لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر أهله بذلك .

[35] { فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ } ، قريب ينفعه ويشفع له .
[36] { وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ } ، وهو صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم . قال الضحاك والربيع : هو شجر يأكله أهل

النار .
[37] { لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ } ، أي الكافرون . 38,
[39] { فَلَا أُقْسِمُ } ، (لا) رد لكلام المشركين كأنه قال : ليس كما يقول المشركون أقسم ، { بِمَا تُبْصِرُونَ }{ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ } ، أي بما ترون وبما لا ترون . قال قتادة : أقسم بالأشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات . وقال : أقسم بالدنيا والآخرة . وقيل : ما تبصرون ما على وجه الأرض وما لا تبصرون ما في بطنها . وقيل : ما تبصرون من الأرواح . وقيل : ما تبصرون : الإنس وما لا تبصرون : الملائكة والجن . وقيل : النعم الظاهرة والباطنة . وقيل : ما تبصرون : ما أظهر الله للملائكة واللوح والقلم ، وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحدا .
[40] { إِنَّهُ } ، يعني القرآن ، { لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } ، أي تلاوة رسول كريم يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم - . 41,

[42] { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ }{ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } ، قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب (يؤمنون ، ويذكرون) بالياء فيهما ، وقرأ الآخرون : بالتاء ، وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلا كقولك لمن لا يزور : قلما تأتينا ، وأنت تريد لا تأتينا أصلا . 43,
[44] { تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }{ وَلَوْ تَقَوَّلَ } تخرص واختلق ، { عَلَيْنَا } ، محمد ، { بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ } ، وأتى بشيء من عند نفسه .
[45] { لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ } ، قيل (من) صلة ، مجازه : لأخذناه وانتقمنا منه باليمين أي بالحق ، كقوله : (كنتم تأتوننا عن اليمين) ، أي من قبل الحق . وقال ابن عباس : لأخذناه بالقوة والقدرة ، وقيل : معناه لأخذنا بيده اليمنى ، وهو مثل معناه . لأذللناه ، وأهناه كالسلطان ، إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه ، يقول لبعض أعوانه : خذ بيده فأقمه .

[46] { ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ } ، قال ابن عباس : أي نياط القلب ، وهو قول أكثر المفسرين . وقال مجاهد : الحبل الذي في الظهر . وقيل : هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب ، فإذا انقطع مات صاحبه .
[47] { فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ } ، مانعين يحجزوننا عن عقوبته ، والمعنى : أن محمدا لا يتكلف الكذب لأجلكم ، مع علمه بأنه لو تكلمه لعاقبناه ، ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه ، وإنما قال : { حَاجِزِينَ } بالجمع وهو فعل واحد ردا على معناه كقوله : { لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } .
[48] { وَإِنَّهُ } ، يعني القرآن ، { لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ } ، أي لعظة لمن اتقى عقاب الله . 49,
[50] { وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ }{ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ } ، يوم القيامة يندمون على ترك الإيمان به .
[51] { وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ } ، أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين .
[52] { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } .

(70) سورة المعارج
[1] { سَأَلَ سَائِلٌ } ، قرأ أهل المدينة والشام (سال) بغير همز وقرأ الآخرون : بالهمز ، فمن همز فهو من السؤال ، ومن قرأ بغير همز قيل : هو لغة في السؤال ، يقال : سال يسال مثل خاف يخاف ، وقيل : هو من السيل ، وسال واد من أودية جهنم ، يروى ذلك عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ،

والأول أصح . واختلفوا في الباء في قوله : { بِعَذَابٍ } ، قيل : هي بمعنى (عن) كقوله : { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } أي عنه خبيرا ، ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب ، { وَاقِعٍ } ، نازل كائن على من ينزل ، ولمن ذلك العذاب .

[2] فقال الله مبينا مجيبا لذلك السائل : { لِلْكَافِرِينَ } ، وذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالعذاب قال بعضهم لبعض : من أهل العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمدا فسألوه فأنزل الله : { سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ }{ لِلْكَافِرِينَ } أي هو للكافرين ، هذا قول الحسن وقتادة . وقيل : التاء صلة ومعنى الآية : دعا داع وسأل سائل عذابا واقعا للكافرين أي على الكافرين ، اللام بمعنى على ، وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب ، فقال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ، الآية ، فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبرا . وهذا قول ابن عباس ومجاهد . { لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ } .

[3] { مِنَ اللَّهِ } ، أي بعذاب من الله ، { ذِي الْمَعَارِجِ } ، قال ابن عباس : أي ذي السماوات ، سماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها . وقال سعيد بن جبير : ذي الدرجات . وقال قتادة : ذي الفواضل والنعم ، ومعارج الملائكة .

[4] { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ } ، يعني جبريل عليه السلام ، { إِلَيْهِ } أي إلى الله - عز وجل - ، { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } ، من سني الدنيا . قال عكرمة وقتادة : هو يوم القيامة . وقال الحسن أيضا : هو يوم القيامة . وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سني الدنيا . وقيل : معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة . وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل .

[5] { فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا } ، يا محمد على تكذيبهم ، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال .

[6, 7] { إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا } ، يعني العذاب ، { وَنَرَاهُ قَرِيبًا } ، لأن ما هو آت قريب وهو يوم القيامة .

[8] { يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ } ، كعكر الزيت . وقال الحسن . كالفضة إذا أذيبت .

[9] { وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ } ، كالصوف المصبوغ . ولا يقال عهن إلا للمصبوغ . وقال مقاتل : كالصوف المنفوش .

[10] { وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا } ، قرأ البزي عن ابن كثير (لا يسأل) بضم الياء أي لا يسأل حميم عن حميم ، أي لا يقال له : أين حميمك؟ وقرأ الآخرون : بفتح الياء ، أي لا يسأل قريب قريبا لشغله بشأن نفسه .

[11] { يُبَصَّرُونَهُمْ } ، يرونهم وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والإنس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسأله ، ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه . قال ابن عباس : يتعارفون ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعده . وقيل : يبصرونهم يعرفونهم أي يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه ، ومع ذلك لا يسأله عن شأنه لشغله بنفسه .

{ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ } ، يتمنى المشرك ، { لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ } .

[12 - 13] { وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ }{ وَفَصِيلَتِهِ } ، عشيرته التي فصل منهم .

وقال مجاهد : قبيلته . وقال غيره : أقربائه الأقربين . { الَّتِي تُؤْوِيهِ } ، أي تضمه ويأوي إليها .
[14] { وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ } ، يود لو يفتدي بهم جميعا ، { ثُمَّ يُنْجِيهِ } ، ذلك الفداء من عذاب الله .
[15] { كَلَّا } ، لا ينجيه من عذاب الله شيء ، ثم ابتدأ فقال : { إِنَّهَا لَظَى } ، وهي اسم من أسماء جهنم . وقيل : هي الدركة الثانية ، سميت بذلك لأنها تتلظى أي تتلهب .

[16] { نَزَّاعَةً لِلشَّوَى } وهي الأطراف : اليدان ، والرجلان ، والأطراف . وقال مجاهد : لجلود الرأس . وروى إبراهيم بن المهاجر عنه : اللحم دون العظام . قال مقاتل : تنزع النار الأطراف فلا تترك لحما ولا جلدا . وقال الضحاك : تنزع الجلد واللحم عن العظام .
[17] { تَدْعُو } ، النار إلى نفسها ، { مَنْ أَدْبَرَ } ، على الإيمان ، { وَتَوَلَّى } ، عن الحق فتقول إلي يا مشرك ، إلي يا منافق ، إلي إلي . قال ابن عباس : تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب .
[18] { وَجَمَعَ } ، أي جمع المال ، { فَأَوْعَى } ، أمسكه في الوعاء ولم يؤد حق الله منه .
[19] { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا } ، روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : الهلوع الحريص على ما لا يحل له . وقال سعيد بن جبير : شحيحا . وقال عكرمة : ضجورا . وقال الضحاك والحسن : بخيلا . وقال قتادة : جزوعا . وقال مقاتل : ضيق القلب . والهلع . شدة الحرص ، وقلة الصبر . وقال عطية عن ابن عباس : تفسيره ما بعده . 20,

[21] وهو قوله : { إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا }{ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } ، يعني إذا أصابه الفقر لم يصبر ، وإذا أصابه المال لم ينفق .
[22] ثم استثنى فقال : { إِلَّا الْمُصَلِّينَ } ، استثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان في معنى الجمع .
[23] { الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ } . يقيمونها في أوقاتها يعني الفرائض .

[24- 33] { وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ }{ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ }{ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ }{ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ }{ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ }{ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ }{ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ }{ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ }{ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ }{ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ } أي يقومون فيها بالحق ولا يكتمونها ولا يغيرونها .
[34 - 35] { وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ }{ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ } .

[36] { فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، أي فما بال الذين كفروا ، كقوله : { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ } ، { قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ } ، مسرعين مقبلين إليك مادي أعناقهم ومديمي النظر إليك متطلعين نحوك ، نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي - صلى الله عليه وسلم - يستمعون كلامه

ويستهزئون به ويكذبونه ، فقال الله - تعالى - : ما لهم ينظرون إليك ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يستمعون .
[37] { عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ } ، حلقا وفرقا .
[38] { أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ } ، قال ابن عباس : معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذب نبي؟
[39] { كَلَّا } ، لا يدخلها ، ثم ابتدأ فقال : { إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ } ، أي من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، نبه الناس على أنهم خلقوا من أصل واحد وإنما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالإيمان والطاعة .

[40 - 41] { فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ } ، يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه ، { إِنَّا لَقَادِرُونَ }{ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ } ، على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله ، { وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ } .
[42] { فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا } ، في باطلهم ، { وَيَلْعَبُوا } ، في دنياهم ، { حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ } ، نسختها آية القتال .
[43] { يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ } ، أي القبور ، { سِرَاعًا } ، إلى إجابة الداعي ، { كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ } قرأ ابن عامر وحفص (نصب) بضم النون والصاد ، وقرأ الآخرون : بفتح النون وسكون الصاد ، يعنون إلى شيء منصوب ، يقال : فلان نصب عيني . وقال الكلبي : إلى علم ودراية . ومن قرأ بالضم قال مقاتل والكسائي : يعني إلى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله . قال الحسن : يسرعون إليها أيهم يستلمها أولا { يُوفِضُونَ } ، أي يسرعون .
[44] { خَاشِعَةً } ، ذليلة خاصعة { أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ } ، يغشاهم هوان ، { ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ } ، يعني يوم القيامة .

(71) سورة نوح
[1]{ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ } ، بأن أنذر قومك ، { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، المعنى : إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا .
[2] { قَالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ } ، أنذركم وأبين لكم .

[3 - 4] { أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ }{ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ } ، (من) صلة أي يغفر لكم ذنوبكم . وقيل : يعني ما سلف من ذنوبكم إلى وقت الإيمان ، وذلك بعض ذنوبهم ، { وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } ، أن يعافيكم إلى منتهى آجالهم فلا يعاقبكم ، { إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } ، يقول آمنوا قبل الموت ، تسلموا من العذاب ، فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولا يمكنكم الإيمان .
[5 - 6] { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا }{ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا } ، نفارا وإدبارا عن الإيمان والحق .

[7] { وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ } ، إلى الإيمان بك ، { لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ } ، لئلا يسمعوا دعوتي ، { وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ } ، غطوا بها وجوههم لئلا يروني ، { وَأَصَرُّوا } ، على كفرهم ، { وَاسْتَكْبَرُوا } ، عن الإيمان بك ، { اسْتِكْبَارًا } .
[8] { ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا } ، معلنا : بالدعاء . قال ابن عباس : بأعلى صوتي .

[9] { ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ } ، أي كررت الدعاء معلنا ، { وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا } ، قال ابن عباس : يريد الرجل بعد الرجل ، أكلمه سرا بيني وبينه ، أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك .

[10 - 11] { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا }{ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا } ، وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة ، فهلكت أولادهم وأموالهم ومواشيهم ، فقال لهم نوح : استغفروا ربكم من الشرك ، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد ، يرسل السماء عليكم مدرارا . 12,
[13] { وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ } ، قال عطاء : يكثر أموالكم وأولادكم { وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا }{ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } ، قال ابن عباس ومجاهد : لا ترون لله عظمة . وقال سعيد بن جبير : ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته . وقال الكلبي : لا تخافون الله حق عظمته . والرجاء : بمعنى الخوف ، والوقار . العفة ، اسم من التوقير وهو التعظيم . قال : الحسن : لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة . قال ابن كيسان : ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيرا .
[14] { وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا } ، تارات ، حال بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق .

[15] { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا }{ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا } قال الحسن : يعني في السماء الدنيا ، كما يقال : أتيت بني تميم وإنما أتى بعضهم ، وفلان متوار في دور بني فلان وهو في دار واحدة .
[16] { وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا } ، مصباحا مضيئا .
[17] { وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا } أراد مبدأ خلق أبي البشر آدم خلقه من الأرض ، والناس ولده ، قوله : (نباتا) اسم جعل في موضع المصدر أي نباتا قال الخليل : مجازه : أنبتكم فنبتم نباتا .
[18] { ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا } ، بعد الموت ، { وَيُخْرِجُكُمْ } منها يوم البعث أحياء { إِخْرَاجًا } .
[19] { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا } ، فرشها وبسطها لكم .
[20] { لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا } ، طرقا واسعة .
[21] { قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي } ، يعني لم يجيبوا دعوتي ، { وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا } يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين هم لم يزدهم كثرة المال والولد إلا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة .

[22] { وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا } ، أي كبيرا عظيما ، يقال : كبير وكبار ، بالتخفيف ، وكبار بالتشديد ، شدد المبالغة ، كلها بمعنى واحد كما يقال : أمر عجيب وعجاب بالتشديد أشد في المبالغة ، واختلفوا في مكرهم . قال ابن عباس : قالوا قولا عظيما . قال الضحاك : افتروا على الله وكذبوا رسله . وقيل . منع الرؤساء أتباعهم عن الإيمان بنوح وحرشوهم على قتله .
[23] { وَقَالُوا } لهم ، { لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ } أي عبادتها { وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا } قرأ أهل المدينة بضم الواو والباقون بفتحها ، { وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا } هذه أسماء آلهتهم . قال محمد بن كعب : هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح ، فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم مأخذهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم : لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق

إلى العبادة ، ففعلوا ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس : إن الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم ، فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الأسماء لأنهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين .

[24] { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا } ، أي ضل بسبب الأصنام كثير من الناس كقوله - عز وجل - : { رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ } ، وقال مقاتل : أضل كبراؤهم كثيرا من الناس . { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا } ، هذا دعاء عليهم بعدما أعلم الله نوحا أنهم لا يؤمنون ، وهو قوله : { أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ } .
[25] { مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ } ، أي من خطيئاتهم ، (وما) صلة ، وقرأ أبو عمرو (خطاياهم) وكلاهما جمع خطيئة ، { أُغْرِقُوا } ، بالطوفان ، { فَأُدْخِلُوا نَارًا } ، قال الضحاك : هي في حالة واحدة في الدنيا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب ، وقال مقاتل : فأدخلوا نارا في الآخرة ، { فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا } ، لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار .
[26] { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } ، أحدا يدور في الأرض فيذهب ويجيء من الدوران ، وقال القتيبي : إن أصله من الدار أي نازل دار .

[27] { إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ } قال ابن عباس والكلبي ومقاتل : كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح فيقول : احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه ، { وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } ، قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وغيرهم : إنما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم ، وأعقم أرحام نسائهم وأيبس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة . وقيل : سبعين سنة ، وأخبر الله نوحا أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعاءه ، وأهلكهم كلهم .
[28] { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ } ، واسم أبيه لمك بن متوشلخ واسم أمه سمحاء بنت أنوش وكانا مؤمنين ، { وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ } ، داري { مُؤْمِنًا } ، وقال الضحاك والكلبي : مسجدي . وقيل : سفينتي . { وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } ، هذا عام في كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل ، { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } ، هلاكا ودمارا فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم .

(72) سورة الجن
[1] { قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ } وكانوا تسعة من جن نصيبين . وقيل : سبعة ، استمعوا قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكرنا خبرهم في سورة الأحقاف . { فَقَالُوا } ، لما رجعوا إلى قومهم ، { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا } قال ابن عباس : بليغا أي قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته .
[2] { يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ } يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان ، { فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا }
[3] { وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا } جلال ربنا وعظمته ، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة ، يقال : جد الرجل أي عظم ، ومنه قول أنس : إذا كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ، أي عظم قدره ، وقال السدي : { جَدُّ رَبِّنَا } أي أمر ربنا . وقال الحسن : غنى ربنا . ومنه قيل للجد : حظ ، ورجل مجدود . وقال ابن عباس : قدرة ربنا . قال الضحاك : فعله . وقال القرظي : آلاؤه ونعماؤه على

خلقه . وقال الأخفش : علا ملك ربنا . { مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا } . قيل : تعالى جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبة وولدا .

[4] { وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا } ، هو إبليس ، { عَلَى اللَّهِ شَطَطًا } ، كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد .
[5] { وَأَنَّا ظَنَنَّا } حسبنا { أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ } قرأ يعقوب (تقول) بفتح الواو وتشديدها { عَلَى اللَّهِ كَذِبًا } ، أي كنا نظنهم صادقين في قولهم : إن لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن .
[6] قال الله { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ } وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا سافر فأمسى في الوادي قال : أعوذ بسيد سفهاء قومه ، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح { فَزَادُوهُمْ } يعني زاد الإنسان الجن باستعاذتهم بقادتهم { رَهَقًا } ، قال ابن عباس : إثما . وقال مجاهد : طغيانا . وقال مقاتل : غيا . وقال الحسن : شرا . وقال إبراهيم : عظمة وذلك أنهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا ، يقولون : سدنا الجن والإنس ، والرهق في كلام العرب الإثم وغشيان المحارم .

[7] { وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا } ، يقول الله - تعالى - : إن الجن ظنوا ، { كَمَا ظَنَنْتُمْ } ، يا معشر الكفار من الإنس { أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا } ، بعد موته .
[8] { وَأَنَّا } ، يقول الجن ، { لَمَسْنَا السَّمَاءَ } ، قال الكلبي : السماء الدنيا ، { فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا } من الملائكة { وَشُهُبًا } ، من النجوم .
[9] { وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا } من السماء ، { مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ } أي كنا نستمع ، { فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا } أرصد له ليرمي به ، قال ابن قتيبة : إن الرجم كان قبل مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة ، وكانوا يسترقون في بعض الأحوال ، فلما بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - منعوا من ذلك أصلا . ثم قالوا :
[10] { وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ } ، برمي الشهب ، { أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } .

[11] { وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ } دون الصالحين . { كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا } ، أي جماعات متفرقين وأصنافا مختلفة ، والقدة : القطعة من الشيء ، يقال : صار القوم قددا إذا اختلفت حالاتهم ، وأصلها من القد وهو القطع ، قال مجاهد : يعنون مسلمين وكافرين ، وقيل : أهواء مختلفة وقال ابن كيسان : شيعا وفرقا لكل فرقة هوى كأهواء الناس . وقال سعيد بن جبير : ألوانا شتى . وقال أبو عبيدة : أصنافا .
[12] { وَأَنَّا ظَنَنَّا } ، علمنا وأيقنا ، { نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ } ، أي لن نفوته إن أراد بنا أمرا ، { وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا } ، إن طلبنا .
[13] { وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى } ، القرآن وما أتى به محمد ، { آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا } ، نقصانا من عمله وثوابه ، { وَلَا رَهَقًا } ، ظلما . وقيل : مكروها يغشاه .

[14] { وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ } ، وهم الذين آمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - { وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ } الجائرون العادلون عن الحق . قال ابن عباس : الذين جعلوا لله ندا ، يقال : أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط ، وقسط إذا جار فهو قاسط . { فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا } أي قصدوا طريق الحق وتوخوه .

[15] { وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ } ، الذين كفروا ، { فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا } كانوا وقود النار يوم القيامة .

[16] ثم رجع إلى كفار مكة فقال : { وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ } ، اختلفوا في تأويلها ، فقال قوم . لو استقاموا على طريق الحق والإيمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين ، { لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا } ، كثيرا ، قال مقاتل : وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين . وقالوا : معناه لو آمنوا لوسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا ، وضرب الماء الغدق مثلا لأن الخير والرزق كله في المطر ، كما قال : { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ } الآية . وقال : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ } الآية .

[17] وقوله - تعالى - : { لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ } أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا . وقال آخرون : معناها وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتتنوا بها فنعذبهم كما قال الله : { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ } الآية .
{ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا } قال ابن عباس : شاقا ، والمعنى ذا صعيد أي ذا مشقة . قال قتادة . لا راحة فيه . وقال مقاتل : لا فرح فيه . قال الحسن : لا يزداد إلا شدة . والأصل فيه أن الصعود يشق على الإنسان .

[18] { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ } ، يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ، { فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } قال قتادة . كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها المساجد كلها . وقال الحسن : أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجدا للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقال سعيد بن جبير : قالت الجن للنبي - صلى الله عليه وسلم - كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناءون؟ فنزلت : { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ }
وروي عن سعيد بن جبير أيضا : أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة : الجبهة واليدان والركبتان والقدمان ، يقول : هذه الأعضاء التي تقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره . فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها مسجد بكسر الجيم ، وإن جعلتها الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم .

[19] { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ } يعني النبي - صلى الله عليه وسلم - { يَدْعُوهُ } يعني يعبده ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي ببطن نخلة ويقرأ القرآن ، { كَادُوا } يعني الجن ، { يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } أي يركب بعضهم بعضا ، ويزدحمون حرصا على استماع القرآن ، هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس . وقال سعيد بن جبير عنه : هذا من قول النفر الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - واقتدائهم به في الصلاة . وقال الحسن وقتادة وابن زيد : يعني لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الإنس والجن ، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاءهم به ، ويطفئوا نور الله فأبى الله ألا أن يتم نوره ، ويتم هذا الأمر وينصره

على سق ناوأه ، وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض ، ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراكمه وتلبد الشعر إذا تراكم .

[20] { قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي } ، قرأ أبو جعفر وعاصم وحمزة (قل) على الأمر ، قرأ الآخرون (قال) يعني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنما أدعو ربي ، قال مقاتل : وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك ، فقال لهم : إنما أدعو ربي ، { وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا } .
[21] { قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا } ، لا أقدر أن أدفع عنكم ضررا , { وَلَا رَشَدًا } أي لا أسوق لكم أو إليكم رشدا، أي خيرا ، يعني أن الله يملكه .
[22] { قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ } لن يمنعني منه أحد عصيته . { وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا } ملجأ أميل إليه . ومعنى الملتحد أي المائل ، قال السدي : حرزا . وقال الكلبي : مدخلا في الأرض مثل السرب .

[23] { إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ } ففيه الجوار والأمن والنجاة ، قاله الحسن . قال مقاتل : ذلك الذي يجيرني من عذاب الله ، يعني التبليغ . وقال قتادة : إلا بلاغا من الله فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه . وقيل : لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لكن أبلغ بلاغا من الله فإنما أنا مرسل به لا أملك إلا ما ملكت .
{ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } ولم يؤمن ، { فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } .
[24] { حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ } ، يعني العذاب يوم القيامة ، { فَسَيَعْلَمُونَ } عند نزول العذاب ، { مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا } أهم أم المؤمنين .
[25] { قُلْ إِنْ أَدْرِي } ، أي ما أدري ، { أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ } من العذاب وقيل . يوم القيامة ، { أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا } .

[26 - 27] { عَالِمُ الْغَيْبِ } رفع على نعت أجلا وغاية تطول مدتها يعني : أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه إلا الله . قوله (ربي) ، وقيل : هو عالم الغيب ، { فَلَا يُظْهِرُ } لا يطلع ، { عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا }{ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ } إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب لأنه يستدل على نبوته بالآية المعجزة التي تخبر عن الغيب ، { فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا } ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصدا أي يجعل بين يديه وخلفه من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترقوا السمع ، ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة . قال مقاتل وغيره : كان الله إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين ، فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره ، وإذا جاءه ملك قالوا له : هذا رسول ربك .

[28] { لِيَعْلَمَ } قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء أي ليعلم الناس ، { أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا } وقرأ الآخرون : بفتح الياء أي ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا ، { رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ } أي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء ، { وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا } قال ابن عباس : أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق فلم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل ، ونصب (عددا) على الحال ، وإن شئت على المصدر ، أي عد عددا .

(73) سورة المزمل
[1] { يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ } ، أي الملتفف بثوبه ، وأصله (المتزمل) أدغمت التاء في الزاي ، ومثله (المدثر) أدغمت التاء في الدال ، يقال : تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى به . وقال السدي : أراد يا أيها النائم قم فصل قال الحكماء : كان هذا الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة ، ثم خوطب بعد بالنبي والرسول .
[2] { قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا } أي للصلاة ، (إلا قليلا) ، وكان قيام الليل فريضة في الابتداء ثم بين قدره فقال :
[3] { نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا } إلى الثلث .

[4] { أَوْ زِدْ عَلَيْهِ } على النصف إلى الثلثين ، وخيره بين هذه المنازل ، فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يقومون على هذه المقادير ، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان ، فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب ، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله : { فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى } الآية ، فكان بين أول السورة وآخرها سنة ، وقال مقاتل وابن كيسان : كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ، { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } ، قال ابن عباس : بينه بيانا . قال الحسن : اقرأه قراءة بينة . قال مجاهد : ترسل فيه ترسلا . قال قتادة : تثبت فيه تثبتا . وعن ابن عباس أيضا : اقرأه على هينتك ثلاث آيات أو أربعا أو خمسا .

[5] { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : شديدا . قال الحسن : إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل بها ثقيل . قال قتادة : ثقيلا هو والله فرائضه وحدوده . قال مقاتل : ثقيل لما فيه من الأمر والنهي والحدود . قال أبو العالية : ثقيل بالوعد والوعيد والحلال والحرام . وقال محمد بن كعب : ثقيل على المنافقين . قال الحسين بن الفضل : قولا خفيفا على اللسان ثقيلا في الميزان . قال الفراء : ثقيلا ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا . قال ابن زيد : هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة .

[6] قوله - عز وجل - : { إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ } أي ساعاته كلها ، وكل ساعة منه ناشئة ، سميت بذلك لأنها تنشأ أي تبدو ، ومنه نشأت السحابة إذا بدت ، وكل ما حدث بالليل وبدأ فقد نشأ فهو ناشئ ، والجمع ناشئة . وقال ابن أبي مليكة : سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا : الليل كله ناشئة . وقال سعيد بن جبير وابن زيد : أي ساعة قام من الليل فقد نشأ ، وهو بلسان الحبش القيام ، يقال : نشأ فلان أي قام . وقالت عائشة : الناشئة القيام بعد النوم . وقال ابن كيسان : هي القيام من آخر الليل . وقال عكرمة . هي القيام من أول الليل . وقال الحسن : كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل . وقال الأزهري : ناشئة الليل قيام الليل ، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو . { هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا } ، قرأ ابن عامر وأبو عمر : وطاء بكسر الواو ممدودا بمعنى المواطأة والموافقة ، يقال وطأت فلانا مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان ، بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار . وقرأ والآخرون : بفتح الواو

وسكون الطاء أي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار ، لأن الليل للنوم والراحة . وقال قتادة : أثبت في الخير وأحفظ للقراءة .

وقال الفراء : أثبت قياما أي أوطأ للقيام وأسهل للمصلي من ساعات النهار ، لأن النهار خلق لتصرف العبادة ، والليل للخلوة فالعبادة فيه أسهل . وقيل : أشد نشاطا . وقال ابن زيد : أفرغ له قلبا من النهار لأنه لا تعرض فيه حوائج . وقال الحسن : أشد وطأ في الخير وأمنع من الشيطان . { وَأَقْوَمُ قِيلًا } وأصوب قراءة وأصح قولا لهدأة الناس وسكون الأصوات . وقال الكلبي : أبين قولا بالقرآن ، وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطا وأتم إخلاصا وأكثر بركة وأبلغ في الثواب .
[7] { إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا } ، أي تصرفا وتقلبا وإقبالا وإدبارا في حوائجك وأشغالك ، وأصل السبح سرعة الذهاب ، ومنه السباحة في الماء . وقيل : سبحا طويلا أي فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل ، وقرأ يحيى بن يعمر (سبخا) بالخاء المعجمة أي استراحة وتخفيفا للبدن .

[8] { وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ } ، بالتوحيد والتعظيم ، { وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا } ، قال ابن عباس وغيره : أخلص إليه إخلاصا . قال الحسن : اجتهد . وقال ابن زيد : تفرغ لعبادته . وقال سفيان : توكل عليه توكلا . وقيل . انقطع إليه في العبادة انقطاعا ، وهو الأصل في الباب ، يقال : تبتلت الشيء أي قطعته ، والتبتيل : تفعيل ، منه يقال : بتلته فتبتل ، المعنى : بتل إليه نفسك ، ولذلك قال : تبتيلا . قال ابن زيد : التبتل رفض الدنيا وما فيها ، والتماس ما عند الله - تعالى - .
[9] { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص (رب) برفع الباء على الابتداء ، وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب في قوله : { وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ } ، { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } ، قيما بأمورك ففوضها إليه .
[10] { وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا } نسختها آية القتال .
[11] { وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا } ، نزلت في صناديد قريش المستهزئين . وقال مقاتل بن حيان : نزلت في المطعمين ببدر فلم يكن إلا يسير حتى قتلوا ببدر .

[12] { إِنَّ لَدَيْنَا } عندنا في الآخرة ، { أَنْكَالًا } ، قيودا عظاما لا تنفك أبدا ، واحدها نكل . قال الكلبي : أغلالا من حديد ، { وَجَحِيمًا } .
[13] { وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ } غير سائغة يأخذ بالحق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم { وَعَذَابًا أَلِيمًا } .
[14] { يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ } ، أي تتزلزل وتتحرك ، { وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا } ، رملا سائلا ، قال الكلبي : هو الرمل الذي أخذت منه شيئا تبعك ما بعده ، يقال : أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه .
[15] { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا }
[16] { فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا } شديدا ثقيلا ، يعني عاقبناه عقوبة غليظة يخوف كفار مكة .

[17] { فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ } ، أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم يوم القيامة ، وقيل : معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة ، وبأي شيء تتحصنون منه إذا كفرتم ؟ { يَوْمًا

يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا } شمطا من هوله وشدته ، وذلك حين يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك .
[18] ثم وصف هول ذلك اليوم فقال : { السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ } ، متشقق لنزول الملائكة به أي : بذلك المكان . وقيل : الهاء ترجع إلى الرب أي بأمره وهيبته ، { كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا } ، كائنا .
[19] { إِنَّ هَذِهِ } ، أي آيات القرآن { تَذْكِرَةٌ } تذكير وموعظة { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا } بالإيمان والطاعة .

[20] { إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى } أقل { مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ } يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه ، { وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } قال عطاء : يريد لا يفوته علم ما تفعلون ، أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل ، { عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ } قال الحسن : قاموا حتى انتفخت أقدامهم ، فنزل : (علم أن لن تحصوه) ، لن تطيقوه . وقال مقاتل : كان الرجل يصلي الليل كله ، مخافة ألا يصيب ما أمر به من القيام ، فقال : علم أن لن تحصوه : لن تطيقوا معرفة ذلك . { فَتَابَ عَلَيْكُمْ } فعاد عليكم بالعفو والتخفيف ، { فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ } يعني في الصلاة ، قال الحسن : يعني في صلاة المغرب والعشاء . قال قيس بن حازم : صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ، ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ، ثم ركع ، فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال : إن الله - عز وجل - يقول . فاقرءوا ما تيسر منه .

قوله - عز وجل - : { عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ } ، يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله ، { وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } لا يطيقون قيام الليل ، روى إبراهيم عن ابن مسعود قال : أيما رجل جلب شيئا ما إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ، ثم قرأ عبد الله : { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } . { فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ } أي ما تيسر عليكم من القرآن . قال أهل التفسير كان هذا في صدر الإسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس ، وذلك قوله { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } ، قال ابن عباس : يريد ما سوى الزكاة من صلة الرحم ، وقري الضيف . { وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا } ، تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتم ، { وَأَعْظَمَ أَجْرًا } ، من الذي أخرتم ، ولم تقدموه { وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ } لذنوبكم ، { إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } .

(74) سورة المدثر

[1 - 2] قوله - عز وجل - : { يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } { قُمْ فَأَنْذِرْ } أي أنذر كفار مكة .
[3] { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } أي عظمه عما يقوله عبدة الأوثان .
[4] { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } ، قال قتادة ومجاهد : نفسك فطهر من الذنب ، فكنى عن النفس بالثوب ، وهو قول إبراهيم والضحاك والشعبي والزهري . وقال عكرمة : سئل ابن عباس عن قوله : { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } فقال : لا تلبسها على

معصية ولا على غدر . وروى أبو روق عن الضحاك معناه : وعملك فأصلح . قال السدي : يقال للرجل إذا كان صالحا إنه لطاهر الثياب ، وإذا كان فاجرا إنه لخبيث الثياب . وقال سعيد بن جبير : وقلبك ونيتك فطهر . وقال الحسن والقرظي : وخلقك فحسن . وقال ابن سيرين وابن زيد : أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها ، وذلك أن المشركين كانوا لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم . وقال طاوس : وثيابك فقصر لأن تقصير الثياب طهرة لها .

[5] { وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } المراد بالرجز الأوثان ، قال : فاهجرها ولا تقربها . وقيل : الزاي فيه منقلبة عن السين ، والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما ، ودليل هذا التأويل قوله : { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ } ، وروي عن ابن عباس أن معناه . اترك المآثم . وقال أبو العالية والربيع : الرجز بضم الراء الصنم ، وبالكسر النجاسة والمعصية . قال الضحاك : يعني الشرك . وقال الكلبي : يعني العذاب ، ومجاز الآية : اهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال .
[6] { وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ } ، أي لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه ، وهذا قول أكثر المفسرين . وقال قتادة : لا تعط شيئا طمعا لمجازاة الدنيا ، يعني أعط لربك وأرد به الله . وقال الحسن : معناه لا تمنن على الله بعملك فتستكثره ، قال الربيع : لا يكثرن عملك في عينك فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل . وروى خصيف عن مجاهد : ولا تضعف أن تستكثر من الخير ، من قولهم : حبل منين إذا كان ضعيفا ، دليله قراءة ابن مسعود (ولا تمنن أن تستكثر من الخير) ، وقال ابن زيد معناه : لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجرا أو عرضا من الدنيا .

[7] { وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } قيل : فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لأجل ثواب الله . وقال مجاهد : فاصبر لله على ما أوذيت فيه . وقال ابن زيد . معناه حملت أمرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه لله - عز وجل - . وقيل : فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله .
[8] { فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ } أي نفخ في الصور ، وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل يعني النفخة الثانية .
[9] { فَذَلِكَ } أي النفخ في الصور ، { يَوْمَئِذٍ } يعني يوم القيامة ، { يَوْمٌ عَسِيرٌ } شديد . 10) { عَلَى الْكَافِرِينَ } يعسر فيه الأمر عليهم ، { غَيْرُ يَسِيرٍ } ، غير هين .
[11] قوله - عز وجل - : { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا } أي خلقته في بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد ، نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كان يسمى الوحيد في قومه .
[12] { وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا } أي كثيرا . قيل : هو ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة .

[13] { وَبَنِينَ شُهُودًا } حضورا بمكة لا يغيبون عنه وكانوا عشرة ، قاله مجاهد وقتادة . وقال مقاتل : كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس ، أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة .
[14] { وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا } ، أي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا . وقال الكلبي : يعني المال بعضه على بعض كما يمهد الفرش .
[15] { ثُمَّ يَطْمَعُ } يرجو ، { أَنْ أَزِيدَ } ، أي أن أزيده مالا ، وولدا ، وتمهيدا .

[16] { كَلَّا } لا أفعل ولا أزيده ، قالوا : فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك { إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا } ، معاندا .
[17] { سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا } سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها .

[18] { إِنَّهُ فَكَّرَ } في محمد والقرآن { وَقَدَّرَ } في نفسه ماذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن .
[19] { فَقُتِلَ } ، لعن ، وقال الزهري : عذب ، { كَيْفَ قَدَّرَ } على طريق التعجب والإنكار والتوبيخ . 20) { ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ } ، كرره للتأكيد ، وقيل : معناه لعن على أي حال قدر من الكلام ، كما يقال لأضربنه كيف صنع أي على أي حال صنع .
[21] { ثُمَّ نَظَرَ } ، في طلب ما يدفع به القرآن ويرده .
[22] { ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ } ، كلح وقطب وجهه ونظر بكراهية شديدة كالمهتم المتفكر في شيء .
[23] { ثُمَّ أَدْبَرَ } ، عن الإيمان { وَاسْتَكْبَرَ } تكبر حين دعي إليه .
[24] { فَقَالَ إِنْ هَذَا } ما هذا الذي يقرأه محمد ، { إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ } ، يروى ويحكى عن السحرة .
[25] { إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ } يعني يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما . وقيل : يرويه عن مسلمة صاحب اليمامة .
[26] قال الله - تعالى - : { سَأُصْلِيهِ } سأدخله { سَقَرَ } ، وسقر اسم من أسماء جهنم . 27,

[28] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ } { لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ } أي لا تبقي ولا تذر فيها شيئا إلا أكلته وأهلكته . وقال مجاهد : لا تميت ولا تحيي يعني لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا ، كلما احترقوا جددوا . وقال السدي : لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما . وقال الضحاك : إذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيئا وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تفنيهم ، ولكل شيء ملالة وفترة إلا جهنم .
[29] { لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ } ، مغيرة للجلد حتى تجعله أسود ، يقال : لاحة السقم والحزن إذ غيره ، قال مجاهد : تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل . وقال ابن عباس وزيد بن أسلم : محرقة للجلد . وقال الحسن وابن كيسان : تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا .
[30] { عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ } ، أي على النار تسعة عشر من الملائكة ، وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر .

[31] { وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً } ، لا رجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة؟ { وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ } أي عددهم في القلة ، { إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا } ، أي ضلالة لهم { لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } ، لأنه مكتوب في التوراة والإنجيل أنهم تسعة عشر ، { وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا } ، يعني من آمن من أهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - إذا وجدوا ما قاله موافقا لما في كتبهم ، { وَلَا يَرْتَابَ } لا يشك , { الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ } في عددهم ، { وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } ، شك ونفاق ، { وَالْكَافِرُونَ } مشركو مكة { مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا } أي شيء أراد بهذا الحديث . " وأراد بالمثل الحديث نفسه { كَذَلِكَ } . أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق , كذلك { يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا

يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } , قال مقاتل : هذا جواب أبي جهل حين قال : أما لمحمد أعوان إلا تسعة؟ قال عطاء : وما يعلم

جنود ربك إلا هو يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار ، لا يعلم عدتهم إلا الله والمعنى أن تسعة عشر هم خزنة النار ، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله - عز وجل - ، ثم رجع إلى ذكر سقر فقال : { وَمَا هِيَ } , يعني النار ، { إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ } , إلا تذكرة وموعظة للناس .
[32] { كَلَّا وَالْقَمَرِ } ، هذا قسم يقول حقا .
[33] { وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ } دبر الليل وأدبر إذا ولى ذاهبا .
[34] { وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ } ، أضاء وتبين .
[35] { إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ } , يعني أن سقر لإحدى الأمور العظام , وواحد الكبر كبرى ، قال مقاتل والكلبي : أراد بالكبر كانت جهنم وهي سبعة : جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية .
[36] { نَذِيرًا لِلْبَشَرِ } يعني النار نذيرا للبشر . قال الحسن : والله ما أنذر الله بشي أدهى منها .
[37] { لِمَنْ شَاءَ } ، بدل من قوله للبشر { مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ } , في الخير والطاعة, , { أَوْ يَتَأَخَّرَ } , عنها في الشر والمعصية , المعنى : أن الإنذار قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر .

[38] { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } مرتهنة في النار بكسبها مأخوذة بعملها .
[39] { إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ } فإنهم لا يرتهنون بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم . قال قتادة علق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين . واختلفوا فيهم روي عن علي رضي الله عنه أنهم أطفال المسلمين وروى أبو ظبيان عن ابن عباس : هم الملائكة . وقال مقاتل : هم أصحاب الجنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق ، حين قال الله لهم : (هؤلاء في الجنة ولا أبالي) وعنه أيضا : هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم ، وعنه أيضا : هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم . وقال الحسن : هم المسلمون المخلصون . وقال القاسم : كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من اعتمد على الفضل ، وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به ، ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به .
,40]
[41] { فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ }{ عَنِ الْمُجْرِمِينَ } المشركين .
[42] { مَا سَلَكَكُمْ } أدخلكم { فِي سَقَرَ } ، فأجابوا .
[43] { قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ } ، لله .

[44-47] { وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ }{ وَكُنَّا نَخُوضُ } , في الباطل , { مَعَ الْخَائِضِينَ }{ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ }{ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ } وهو الموت .
[48] قال الله - عز وجل - : { فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } قال ابن مسعود : تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين ، فلا يبقى في النار إلا أربعة ، ثم تلا : { قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ } إلى قوله : { بِيَوْمِ الدِّينِ } ، قال عمران بن الحصين : الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون .
[49] { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ } , عن مواعظ القرآن معرضين نصب على الحال ، وقيل صاروا معرضين .

[50] { كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ } , جمع حمار ، { مُسْتَنْفِرَةٌ } ، قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء ، وقرأ الباقون بكسرها ، فمن قرأ بالفتح فمعناها منفرة مذعورة ، ومن قرأ بالكسر فمعناها نافرة ، يقال : نفر واستنفر بمعنى واحد ، كما يقال عجب واستعجب .

[51] { فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ } , قال مجاهد وقتادة والضحاك : القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من لفظها ، وهي رواية عطاء عن ابن عباس . وقال سعيد بن جبير : هم القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس . وقال زيد بن أسلم : من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة . وعن أبي المتوكل قال : هي لغط القوم وأصواتهم . وروى عكرمة عن ابن عباس قال : هي حبال الصيادين . وقال أبو هريرة : هي الأسد ، وهو قول عطاء والكلبي وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت ، كذلك هؤلاء المشركين إذا سمعوا النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ القرآن هربوا منه . قال عكرمة : هي ظلمة الليل ، ويقال لسواد أول الليل قسورة .
[52] { بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً } قال المفسرون : إن كفار قريش قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك لرسوله نؤمر فيه باتباعك . قال الكلبي : إن المشركين قالوا : يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته ، فأتنا بمثل ذلك ، والصحف الكتب وهي جمع الصحيفة ومنشرة منشورة .

[53] فقال الله - تعالى - : { كَلَّا } , لا يؤتون الصحف . وقيل : حقا وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه { بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ } ، أي لا يخافون عذاب الآخرة ، والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة .
[54] { كَلَّا } حقا { إِنَّهُ } يعني القرآن { تَذْكِرَةٌ } موعظة .
[55] { فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ } اتعظ به .
[56] { وَمَا يَذْكُرُونَ } قرأ نافع ويعقوب : تذكرون بالتاء والآخرون بالياء ، { إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } , قال مقاتل : إلا أن يشاء الله لهم الهدى . { هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ } , أي أهل أن تتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه .

(75) سورة القيامة
[1] { لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } قرأ القواس عن ابن كثير (لأقسم) الحرف الأول بلا ألف قبل الهمزة .

[2] { وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } بالألف ، وكذلك قرأ عبد الرحمن الأعرج ، على معنى أنه أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوامة ، والصحيح أنه أقسم بهما جميعا و (لا) صلة فيهما أي أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة . وقال أبو بكر بن عياش : هو تأكيد كقولك لا والله . وقال الفراء : (لا) رد لكلام المشركين المنكرين ، ثم ابتدأ فقال : أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة { وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } قال سعيد بن جبير وعكرمة : تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء . قال قتادة : اللوامة : الفاجرة . قال مجاهد : تندم على ما فات وتقول : لو فعلت ولم أفعل . قال الفراء : ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها ، إن صانت عملت خيرا قالت : هلا ازددت ، وإن عملت شرا قالت : ليتني لم أفعل . قال الحسن : هي

النفس المؤمنة قال : إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلامي ما أردت بكلامي . وإن الفاجر يمضي قدما ، يحاسب نفسه ولا يعاتبها . قال مقاتل : هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا .

[3] { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ } يعني الكافر { أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ } , بعد التفرق والبلى فنحييه ، قيل : ذكر العظام ، وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها . وقيل : هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله : { قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ } .
[4] { بَلَى قَادِرِينَ } أي نقدر يريد بل قادرين على أكثر من ذا ، مجاز الآية : بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك , وهو : { عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ } أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار ، فلا يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة ، كالكتابة والخياطة وغيرها ، هذا قول أكثر المفسرين . وقال الزجاج وابن قتيبة : معناه ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها فنؤلف بينها حتى نسوي البنان ، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر .

[5] { بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ } ، يقول : لا جهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قدما في معاصي الله ما عاش راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب ، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي . وقال سعيد بن جبير : ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول : سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله . وقال الضحاك : هو الأمل يقول : أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت . وقال ابن عباس وابن زيد : يكذب بما أمامه من البعث والحساب . وأصل الفجور الميل وسمي الفاسق والكافر فاجرا لميله عن الحق .
[6] { يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ } أي متى يكون ذلك ، تكذيبا به .
[7] قال الله - تعالى - : { فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ } , قال قتادة ومقاتل : شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا . قيل : ذلك عند الموت . وقال الكلبي : عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار . وقال الفراء والخليل : برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى من العجائب ، وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ .

[8] { وَخَسَفَ الْقَمَرُ } ، أظلم وذهب نوره وضوءه .
[9] { وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران . وقيل : يجمع بينهما في ذهاب الضياء . وقال كعطاء بن يسار : يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى . وقيل : يجمعان ثم يقذفان في النار . وقيل : يجمعان فيطلعان من المغرب .
[10] { يَقُولُ الْإِنْسَانُ } أي الكافر المكذب { يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ } أي المهرب وهو موضع الفرار . وقيل : هو مصدر أي أين الفرار .
[11] قال الله - تعالى - : { كَلَّا لَا وَزَرَ } , لا حصن ولا حرز ولا ملجأ . وقال السدي : لا جبل وكانوا إذا فزعوا لجئوا إلى الجبل فتحصنوا به . وقال - تعالى - : لا جبل يومئذ يمنعهم .
[12] { إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ } أي مستقر الخلق . وقال عبد الله بن

مسعود : المصير والمرجع نظيره قوله - تعالى - . { إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى } { وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } وقال السدى : المنتهى نظيره : { وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى } .

[13] { يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ } قال ابن مسعود وابن عباس : بما قدم قبل الموت من عمل صالح وسيئ ، وما أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها . وقال عطية عن ابن عباس : بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة . وقال قتادة : بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه . وقال مجاهد : بأول عمله وآخره . وقال عطاء : قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره . وقال زيد بن أسلم بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة .

[14] { بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ } قال عكرمة ومقاتل والكلبى : معناه بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله ، وهي سمعه وبصره وجوارحه ، ودخل الهاء في البصيرة لأن المراد بالإنسان هنا جوارحه ، ويحتمل أن يكون معناه بل الإنسان على نفسه بصيرة ، يعني لجوارحه ، فحذف حرف الجر كقوله : { وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ } أي لأولادكم ، ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث ، أي بل الإنسان على نفسه عين بصيرة . وقال أبو العالية وعطاء : بل الإنسان على نفسه شاهد وهي رواية العوفي عن ابن عباس . والهاء في بصيرة للمبالغة ، دليل هذا التأويل قوله - عز وجل - : { كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } .

[15] { وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ } يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ، كما قال { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ } . وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء . قال الفراء : ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره ، ومعنى الإلقاء : القول كما قال : { فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ } . وقال الضحاك والسدي : { وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ } يعني ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب ، وأهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير ، ومعناه على هذا القول : وإن أسبل الستر ليخفي ما كان يعمل فإن نفسه شاهدة عليه .
[16] وقوله - عز وجل - : { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ }« كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ نزل جبريل بالوحي كان يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه ، وكان يعرف منه » فأنزل الله -عز وجل- هذه الآية (1)
[17] { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } ، قال : علينا أن نجمعه في صدرك ، وقرآنه .
[18] { فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } ، فإذا أنزلناه فاستمع .

_____
(1) أخرجه البخاري في التفسير (8 / 682) , ومسلم في الصلاة رقم (448) (1 / 230) .

[19] { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } ، علينا أن نبينه بلسانك ، « وكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله - عز وجل - . »

[20 - 21] { كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ }{ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ } أي يختارون الدنيا على العقبى ويعملون لها يعني كفار مكة .
[22 - 23] { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ } ، يوم القيامة { نَاضِرَةٌ } قال ابن عباس : حسنة

، وقال مجاهد : مسرورة . وقال ابن زيد : ناعمة . وقال مقاتل : بيض يعلوها النور . وقال السدي : مضيئة . وقال يمان : مسفرة . وقال الفراء : مشرقة بالنعيم . يقال : نضر الله وجهه ينضر نضرا ، ونضره الله ، وأنضره ، ونضر وجهه ، ينضر ، نضرة ، ونضارة . قال الله - تعالى - : { تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ } ، { إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } ، قال ابن عباس وأكثر الناس : تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب . قال الحسن : تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق .
[24] { وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ } ، عابسة كالحة مغبرة مسودة .

[25] { تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ } ، تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب ، والفاقرة : الداهية العظيمة ، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر . قال سعيد بن المسيب : قاصمة الظهر . قال ابن زيد : هي دخول النار . وقال الكلبي : هي أن يحتجب عن رؤية الرب - عز وجل - .
[26] { كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ } ، يعني النفس كناية عن غير مذكور ، { التَّرَاقِيَ } ، فحشرج بها عند الموت ، والتراقي جمع الترقوة ، وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف على الموت .
[27] { وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ } ، أي قال من حضره الموت : هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته أو دوائه ، وقال قتادة : التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا . وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان : هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض : من يرقى بروحه فتصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب .
[28] { وَظَنَّ } ، أيقن الذين بلغت روحه التراقي ، { أَنَّهُ الْفِرَاقُ } ، من الدنيا .

[29] { وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ } ، قال قتادة : الشدة بالشدة . قال عطاء : شدة الموت بشدة الآخرة . قال سعيد بن جبير : تتابعت عليه الشدائد . قال السدي : لا يخرج من كرب إلا جاءه أشد منه . قال ابن عباس : أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، وقال مجاهد : اجتمع فيه الحياة والموت ، وقال الضحاك : الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه . وقال الحسن : هما ساقاه إذا التفا في الكفن . وقال الشعبي : هما ساقاه إذا التفا عند الموت .
[30] { إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ } ، أي مرجع العباد إلى الله يساقون إليه .
[31] { فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى } ، يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله .
[32] { وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } ، عن الإيمان .
[33] { ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ } ، رجع إليهم ، { يَتَمَطَّى } ، يتبختر ويختال في مشيه ، قيل : أصله يتمطط أي يتمدد ، والمط هو المد .

[34 - 35] { أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى }{ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى } هذا وعيد على وعيد من الله - عز وجل - لأبي جهل ، وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد . وقال بعض العلماء : معناه إنك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به ، تقال للرجل حيث يصيبه مكروه يستوجبه . وقيل : هي كلمة تقولها العرب لمن قاربه المكروه . وأصلها من الولي وهو القرب ، قال الله - تعالى - : { قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ }.
[36] { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } هملا لا يؤمر ولا ينهى ، قال السدي

: معناه المهمل وإبل سدى إذا كانت ترعى حيث شاءت بلا راع .
[37] { أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى } تصب في الرحم ، قرأ حفص عن عاصم : (يمنى) بالياء وهي قراءة الحسن ، وقرأ الآخرون : بالتاء لأجل النطفة .
[38] { ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى } ، فجعل فيه الروح وسوى خلقه .
[39] { فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى } ، وخلق من مائة أولادا ذكورا وإناثا .
[40] { أَلَيْسَ ذَلِكَ } ، الذي فعل هذا ، { بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } .

(76) سورة الإنسان
[1] { هَلْ أَتَى } ، قد أتى ، { عَلَى الْإِنْسَانِ } ، يعني آدم عليه السلام ، { حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ } قبل أن ينفخ فيه الروح ، { لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا } لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به ، يريد : كان شيئا ولم يكن مذكورا ، وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح .

[2] { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ } يعني ولد آدم ، { مِنْ نُطْفَةٍ } يعني مني الرجل ومني المرأة . { أَمْشَاجٍ } ، أخلاط واحدها مشج ومشيج ، مثل خدن وخدين ، قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع : يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد ، وقال الضحاك : أراد بالأمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وحمراء وصفراء ، وقال يمان : كل لونين اختلطا فهو أمشاج ، وقال قتادة : هي أطوار الخلق : نطفة ، ثم علقة ثم مضغة ، ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر . { نَبْتَلِيهِ } نختبره بالأمر والنهي ، { فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } ، قال بعض أهل العربية : وفيه تقديم وتأخير ، مجازه : فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه ، لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة .
[3] { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ } أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة ، وعرفناه طريق الخير والشر . { إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } ، إما مؤمنا سعيدا وإما كافرا شقيا . وقيل : معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق إن شكر أو كفر .

[4] ثم بين ما للفريقين فقال : { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ } يعني في جهنم ، { وَأَغْلَالًا } يعني في أيديهم تغل في أعناقهم ، { وَسَعِيرًا } ، وقودا شديدا .
[5] { إِنَّ الْأَبْرَارَ } يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم ، { يَشْرَبُونَ } ، في الآخرة ، { مِنْ كَأْسٍ } فيه شراب { كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا } ، قال قتادة : يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك ، قال عكرمة : مزاجها طعمها ، وقال أهل المعاني : أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرده ، لأن الكافور لا يشرب ، وهو كقوله { حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا } أي كنار ، وهذا معنى قول مجاهد ومقاتل ومجاهد : يمازجه ريح الكافور . وقال ابن كيسان : طيبت بالكافور والمسك والزنجبيل . قال عطاء والكلبي : الكافور اسم لعين ماء في الجنة .

[6] { عَيْنًا } نصب تبعا للكافور وقيل : نصب على المدح . وقيل : أعني عينا . وقال الزجاج : الأجود أن يكون المعنى من عين ، { يَشْرَبُ بِهَا } قيل : يشربها والباء صلة . وقيل : بها أي منها ، { عِبَادُ اللَّهِ } قال ابن عباس : أولياء الله ، { يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } أي يقودونها حيث شاءوا من منازلهم ، وقصورهم ، كمن

يكون له نهر يفجره ههنا إلى حيث يريد .
[7] { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ } ، هذا من صفاتهم في الدنيا : أي كانوا في الدنيا كذلك ، قال قتادة : أراد يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة ، وغيره من الواجبات ، ومعنى النذر الإيجاب . وقال مجاهد وعكرمة : إذا نذروا في طاعة الله وفوا به ، { وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا } فاشيا ممتدا ، يقال : استطار الصبح إذا امتد وانتشر . قال مقاتل : كان شره فاشيا في السموات ، فانشقت وتناثرت الكواكب ، وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة ، وفي الأرض : فنسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء .

[8] { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ } أي على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه ، وقيل على حب الله ، { مِسْكِينًا } ، فقيرا لا مال له ، { وَيَتِيمًا } ، صغيرا لا أب له { وَأَسِيرًا } ، قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء : هو المسجون من أهل القبلة . وقال قتادة : أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك . وقيل : الأسير المملوك . وقيل المرأة ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - « اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان » (1) أي أسراء .
[9] { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا } والشكور مصدر كالعقود والدخول والخروج . قال مجاهد وسعيد بن جبير : إنهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم ، فأثنى عليهم .

_____
(1) قطعة من حديث أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (3 / 212) والترمذي في أبواب الرضاع (4 / 326) قال : « حسن صحيح » وابن ماجه في النكاح برقم (1851) 1 / 594 .

[10] { إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا } تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته ، ونسب العبوس إلى اليوم ، كما يقال : يوم صائم وليل نائم . وقيل : وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة ، { قَمْطَرِيرًا } ، قال قتادة ومجاهد ومقاتل : القمطرير الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس . وقال الكلبي : العبوس الذي لا انبساط فيه ، والقمطرير : الشديد ، قال الأخفش : القمطرير : أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء ، يقال : يوم قمطرير وقماطر إذا كان شديدا كريها .
[11] { فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ } الذي ، يخافون ، { وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً } ، حسنا في وجوههم ، { وَسُرُورًا } ، في قلوبهم .
[12] { وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا } على طاعة الله واجتناب معصيته ، وقال الضحاك : على الفقر . وقال عطاء : على الجوع { جَنَّةً وَحَرِيرًا } ، قال الحسن : أدخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير .

[13] { مُتَّكِئِينَ } نصب على الحال ، { فِيهَا } في الجنة { عَلَى الْأَرَائِكِ } , السرر في الحجال ، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعا ، { لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا } , أي صيفا ولا شتاء . قال مقاتل : يعني شمسا يؤذيهم حرها ولا زمهريرا يؤذيهم برده ، لأنهما يؤذيان في الدنيا . والزمهرير : البرد الشديد .
[14] { وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا } ، أي قريبة منهم ظلال أشجارها ، ونصب (دانية) بالعطف على قوله : (متكئين) ، وقيل : على موضع قوله : { لَا يَرَوْنَ فِيهَا

شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا } وبرون (دانية) ، وقيل : على المدح . { وَذُلِّلَتْ } سخرت وقربت ، { قُطُوفُهَا } ثمارها { تَذْلِيلًا } يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ، ويتناولونها كيف شاءوا على أي حال كانوا .

[15 - 16] { وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ }{ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ } ، قال المفسرون : أراد بياض الفضة في صفاء القوارير ، فهي من فضة في صفاء الزجاج ، يرى ما في داخلها من خارجها ، { قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا } الكأس على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص ، أي قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون .
[17] { وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا } ، يشوق ويطرب , والزنجبيل : مما كانت العرب تستطيبه جدا ، فوعدهم الله - تعالى - أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة . قال مقاتل : لا يشبه زنجبيل الدنيا . قال ابن عباس : كل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له في الدنيا مثل . وقيل : هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل . قال قتادة : يشربها المقربون صرفا ، ويمزج لسائر أهل الجنة .

[18] { عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا } ، قال قتادة : سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاءوا ، قال مجاهد : حديدة الجرية . قال أبو العالية ومقاتل بن حيان : سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم ، تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان ، وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك . قال الزجاج : سميت سلسبيلا لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ، ومعنى قوله : (تسمى) أي توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلا صفة لا اسم .
[19] { وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا } قال عطاء : يريد في بياض اللؤلؤ وحسنه ، واللؤلؤ إذا نثر من الخيط على البساط ، كان أحسن منه منظوما . وقال أهل المعاني : إنما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة ، فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم .

[20] { وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ } ، أي إذا رأيت ببصرك ونظرت به ثم يعني في الجنة ، { رَأَيْتَ نَعِيمًا } ، لا يوصف ، { وَمُلْكًا كَبِيرًا } ، وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه . قال مقاتل والكلبي : هو أن رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه إلا بإذنه . وقيل : ملكا لا زوال له .

[21] { عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ } ، قرأ أهل المدينة . وحمزة (عاليهم) ساكنة الياء مكسورة الهاء ، فيكون في موضع رفع بالابتداء ، وخبره ثياب سندس ، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة ، أي فوقهم ، وهو نصب على الظرف ، ثياب سندس { خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا } ، قيل : طاهرا من الأقذار والإقذاء لم تدنسه الأيدي والأرجل كخمر الدنيا . وقال أبو قلابة وإبراهيم : إنه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا في أبدانهم ، كريح المسك ، وذلك أنهم يؤتون بالطعام فيأكلون ، فإذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور ، فيشربون فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الأذفر ، وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم . وقال مقاتل : هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما كان في

قلبه من غل وغش وحسد .
[22] { إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا } ، أي ما وصف من نعيم الجنة كان لكم جزاء بأعمالكم ، وكان سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله مشكورا ، قال عطاء : شكرتكم عليه وأثبتكم أفضل الثواب .

[23] قوله - عز وجل - : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا } ، قال ابن عباس : متفرقا آية بعد آية ، ولم ينزل جملة واحدة .
[24] { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ } ، يعني من مشركي مكة ، { آثِمًا أَوْ كَفُورًا } ، يعني وكفورا ، والألف صلة .

[25 - 26] قوله - عز وجل - : { وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا }{ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ } ، يعني صلاة المغرب والعشاء ، { وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا } ، يعني التطوع بعد المكتوبة .
[27] { إِنَّ هَؤُلَاءِ } ، يعني كفار مكة { يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ } ، أي الدار العاجلة وهي الدنيا . { وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ } ، يعني أمامهم ، { يَوْمًا ثَقِيلًا } ، شديدا وهو يوم القيامة . أي يتركون فلا يؤمنون به ولا يعملون له .
[28] { نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا } ، قوينا وأحكمنا ، { أَسْرَهُمْ } قال مجاهد وقتادة ومقاتل : أسرهم أي خلقهم ، يقال رجل حسن الأسر أي الخلق ، وقال الحسن : يعني أوصالهم شددنا بعضها إلى بعض بالعروق والعصب . وروي عن مجاهد في تفسير الأسر قال : الفرج يعني موضع مصرفي البول والغائط إذا خرج الأذى انقبضا . { وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا } أي إذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم .
[29] { إِنَّ هَذِهِ } ، يعني هذه السورة ، { تَذْكِرَةٌ } ، تذكير وعظة ، { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا } ، وسيلة للطاعة . 30 ,

[31] { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } أي لستم تشاءون إلا بمشيئة الله - عز وجل - ، لأن الأمر إليه { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا }{ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ } ، أي المشركين . { أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } .

(77) سورة المرسلات
[1] { وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا } ، يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس . وقيل : عرفا أي كثيرا ، تقول العرب : الناس إلى فلان عرف واحد ، إذا توجهوا إليه فأكثروا ، هذا معنى قول مجاهد وقتادة ، قال مقاتل : يعني الملائكة التي أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه ، وهي رواية مسروق عن ابن مسعود .
[2] { فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا } ، يعني الرياح الشديدة الهبوب .
[3] { وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا } ، يعني الرياح اللينة . وقال الحسن : هي الرياح اللينة . وقال الحسن : هي الرياح التي يرسلها الله بشرا بين يدي رحمته . وقيل : هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر . وقال مقاتل : هم الملائكة ينشرون الكتب .
[4] { فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا } ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل . وقال قتادة والحسن : هي آي القرآن تفرق بين الحلال والحرام . وروي عن مجاهد قال : هي الرياح تفرق السحاب وتبدده .

[5] { فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا } ، يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء ، نظيرها : { يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ } .

[6] { عُذْرًا أَوْ نُذْرًا } . أي للإعذار والإنذار .
[7] { إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ } ، من أمر الساعة والبعث ، { لَوَاقِعٌ } ، لكائن ثم ذكر متى يقع .
[8] فقال : { فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ } ، محي نورها .
[9] { وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ } ، شقت .
[10] فقال : { وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ } ، قلعت من أماكنها .
[11] { وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ } جمعت لميقات يوم معلوم ، وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم .
[12] { لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ } ، أي أخرت ، وضرب الأجل لجمعهم فعجب العباد من ذلك اليوم .
[13] ثم بين فقال : { لِيَوْمِ الْفَصْلِ } ، قال ابن عباس : يوم فصل الرحمن بين الخلائق .
[14- 16] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ }{ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ } ، يعني الأمم الماضية بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم .
[17] { ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ } ، السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب ، يعني كفار مكة بتكذيبهم محمدا - صلى الله عليه وسلم - .

[18- 20] { كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ }{ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ } ، يعني النطفة .
[21] { فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ } ، يعني الرحم .
[22] { إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ } ، وهو وقت الولادة .
[23] { فَقَدَرْنَا } ، قرأ أهل المدينة والكسائي (فقدرنا) بالتشديد من التقدير ، وقرأ الآخرون : بالتخفيف من القدرة ، لقوله : { فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ } ، وقيل : معناهما واحد ، وقوله : (فنعم القادرون) أي المقدرون . 24,
[25] { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا } ، وعاء ، ومعنى الكفت : الضم والجمع ، يقال : كفت الشيء إذا ضمه وجمعه . وقال الفراء : يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها ، أي تحوزهم . 26,
[27] وهو قوله : { أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا }{ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ } ، جبالا .
{ شَامِخَاتٍ } ، عاليات ، { وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا } ، عذبا .

[28] { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } ، قال مقاتل : وهذا كله أعجب من البعث الذي تكذبون به ، ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة :
[29] { انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } ، في الدنيا .
[30] { انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ } ، يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب وافترق ثلاث فرق . وقيل : يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث : نور ودخان ولهب ، فأما النور فيقف على رءوس المؤمنين ، والدخان يقف على رءوس المنافقين ، واللهب الصافي يقف على رءوس الكافرين .
[31] ثم وصف ذلك الظل فقال : { لَا ظَلِيلٍ } ، يظل من الحر { وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ } ، قال الكلبي : لا يرد لهب جهنم عنكم ، والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب .

[32] { إِنَّهَا } ، يعني جهنم ، { تَرْمِي بِشَرَرٍ } ، وهو ما تطاير من النار ، واحدها شررة . { كَالْقَصْرِ } ، وهو البناء العظيم ، قال ابن مسعود : يعني الحصون . وقال عبد الرحمن بن عباس عن قوله : (إنها ترمي بشرر كالقصر) قال : هي الخشب العظام المقطعة .

[33] { كَأَنَّهُ } رد الكناية إلى اللفظ ، { جِمَالَةٌ } ، قرأ حمزة والكسائي وحفص (جمالة) على جمع الجمل مثل حجر وحجارة ، وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف ، أراد الأشياء العظام المجموعة ، وقرأ الآخرون (جمالات) بالألف وكسر الجيم على جمع الجمال ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - وسعيد بن جبير : هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض ، حتى يكون كأوساط الرجال ، { صُفْرٌ } ، جمع الأصفر ، يعني لون النار ، وقيل : الصفر معناه السود لأنه جاء في الحديث : « إن شرر نار جهنم أسود كالقير » ، والعرب تسمي سود الابل صفرا لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الظباء : أدم ، لأن بياضها يعلوه كدرة . 34,
[35] { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ } ، أي في القيامة لأن فيها مواقف ، ففي بعضها يختصمون ويتكلمون ، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون .
[36] { وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ } ، قال الجنيد : أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه . 37,

[38] { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ } ، بين أهل الجنة والنار ، { جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ } ، يعني مكذبي هذه الأمة والأولين الذين كانوا أنبياءهم .
[39] { فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ } , قال مقاتل : إن كانت لكم حيلة فاحتلوا لأنفسكم . 40,
[41] { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ } ، جمع ظل أي في ظلال الشجر, { وَعُيُونٍ } الماء .
[42] { وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ } .
[43] ويقال لهم : { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } , في الدنيا بطاعتي . 44,
[45] { إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ }{ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ } .
[46] ثم قال لكفار مكة : { كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا } , في الدنيا , { إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ } , مشركون بالله - عز وجل - مستحقون للعذاب . 47,

[48] { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا } , يعني صلوا , { لَا يَرْكَعُونَ } لا يصلون , وقال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- : إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون . 49,
[50] { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ } , أي بعد القرآن, { يُؤْمِنُونَ } , إذا لم يؤمنوا به .

(78) سورة النبأ
[1] { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ } , أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون , وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت, وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون : ماذا جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - .

[2] ثم ذكر أن تساؤلهم عماذا فقال : { عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ } , قال مجاهد والأكثرون : هو القرآن , ودليله قوله : { قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ } , وقال قتادة : هو البعث .
[3 - 4] { الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ } , فمصدق ومكذب, { كَلَّا سَيَعْلَمُونَ } , كلا نفي يقول : هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور .
[5] { ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ } , وعيد لهم على إثر وعيد .
ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيده .
[6] فقال : { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا } , فراشا .
[7] { وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا } , للأرض حتى تميد .
[8] { وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا } أصنافا ذكورا وإناثا .
[9] { وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا } , أي راحة لأبدانكم .
[10] { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا } , غطاء وغشاء يستر كل شيء بظلمته .

[11] { وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا } , المعاش : العيش وكل ما يعاش فيه فهو معاش , أي جعلنا منها سببا للمعاش والتصرف في المصالح .
[12] { وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا } , يريد سبع سموات .
[13] { وَجَعَلْنَا سِرَاجًا } يعني الشمس , { وَهَّاجًا } , مضيئا منيرا .
[14] { وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ } يعني الرياح التي تعصر السحاب ، وقال أبو العالية : المعصرات هي السحاب ، { مَاءً ثَجَّاجًا } ، أي صبابا . وقال قتادة : متتابعا يتلو بعضه بعضا .
[15] { لِنُخْرِجَ بِهِ } ، أي بذلك الماء ، { حَبًّا } ، وهو ما يأكله الناس ، { وَنَبَاتًا } ، ما تنبته الأرض مما تأكله الأنعام .
[16] { وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا } ، ملتفة بالشجر .
[17] { إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ } ، يوم القضاء بين الخلق ، { كَانَ مِيقَاتًا } ، لما وعد الله من الثواب والعقاب .
[18] { يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا } ، زمرا زمرا من كل مكان للحساب .
[19] { وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ } ، أي شقت لنزول الملائكة ، { فَكَانَتْ أَبْوَابًا } ، أي ذات أبواب . وقيل : تنحل وتتناثر حتى تصير فيها أبوابا وطرقا .

[20] { وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ } ، عن وجه الأرض ، { فَكَانَتْ سَرَابًا } ، أي هباء منبثا لعين الناظر كالسراب .
[21] : { إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا } ، طريقا وممرا فلا سبيل لأحد إلى الجنة حتى يقطع النار . وقيل : كانت مرصادا أي معدة لهم ، وقيل : هو من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته ، والمرصاد فيه العدو . وقوله : (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) ، أي ترصد الكفار .
[22] { لِلطَّاغِينَ } ، للكافرين ، { مَآبًا } ، مرجعا يرجعون إليه .
[23] { لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا } ، جمع حقب ، والحقب الواحد : ثمانون سنة ، كل سنة اثنا عشر شهرا ، كل شهر ثلاثون يوما ، كل يوم ألف سنة . قال الحسن : إن الله لم يجعل لأهل النار مدة ، بل قال : (لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا) فوالله ما هو إلا إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر إلى الأبد ، فليس للأحقاب عدة إلا الخلود .
[24] { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } ، قال الحسن وعطاء : لا يذوقون فيها بردا أي روحا وراحة . قال مقاتل : لا يذوقون فيها بردا ينفعهم من حر ولا شرابا ينفعهم من عطش .

[25] { إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا } ، الغساق : الزمهرير يحرقهم ببرده . وقيل : صديد أهل النار .
[26] { جَزَاءً وِفَاقًا } ، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم .
[27] { إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا } ، لا يخافون أن يحاسبوا ، والمعنى : أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون .
[28] { وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } ، أي بما جاء به الأنبياء ، { كِذَّابًا } ، يعني تكذيبا .
[29] { وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا } ، أي وكل شيء من الأعمال بيناه في اللوح المحفوظ .
[30] { فَذُوقُوا } ، أي يقال لهم فذوقوا ، { فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا } .

[31] قوله - عز وجل - : ، { إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا } ، فوز ونجاة من النار ، وقال الضحاك : متنزها .
[32] { حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا } ، يريد أشجار الجنة وثمارها .
[33] { وَكَوَاعِبَ } ، جواري نواهد قد تكعبت ثديهن ، واحدتها كاعب ، { أَتْرَابًا } ، مستويات في السن .
[34] { وَكَأْسًا دِهَاقًا } ، قال ابن عباس والحسن : مترعة مملوءة . وقال سعيد بن جبير ومجاهد : متتابعة . قال عكرمة : صافية .
[35] { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا } ، باطلا من الكلام ، { وَلَا كِذَّابًا } ، تكذيبا ، لا يكذب بعضهم بعضا .
[36] { جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا } ، أي جازاهم جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا ، يقال : أحسبت فلانا أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي .
[37] { رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا } ، قال مقاتل : لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه . وقال الكلبي : لا يملكون شفاعة إلا بإذنه .

[38] { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ } ، أي في ذلك اليوم ، { وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا } ، واختلفوا في هذا الروح ، قال الشعبي والضحاك : هو جبريل . وقال عطاء عن ابن عباس : الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه ، فإذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا ، وقال مجاهد وقتادة وأبو صالح : الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا ، وقال الحسن : هم بنو آدم ، { لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا } ، في الدنيا ، أي حقا وقيل : قال : لا إله إلا الله .
[39] { ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ } ، الكائن الواقع يعني يوم القيامة ، { فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا } ، مرجعا وسبيلا بطاعته ، أي فمن شاء رجع إلى الله بطاعته .
[40] { إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا } ، يحني العذاب في الآخرة ، وكل ما هو آت قريب . { يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ } ، أي كل امرئ يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتا في صحيفته ، { وَيَقُولُ الْكَافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا } ، يتمنى ذلك .

(79) سورة النازعات
[1] { وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا } ، يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم ، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد ، والمراد بالإغراق : المبالغة في المد .

[2] { وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا } هي الملائكة تنشط نفس المؤمن ، أي تحل حلا رفيقا فتقبضها ، كما ينشط العقال من يد البعير ، أي يحل برفق .
[3] { وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا } ، هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ، ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرفق به . وقال قتادة : هي النجوم والشمس والقمر ، قال الله - تعالى - : { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } ، وقال عطاء : هي السفن .
[4] { فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا } ، قال مجاهد : هى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح . وقال مقاتل : هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة . وقال قتادة : هي النجوم يسبق بعضها بعضا في السير . وقال عطاء : هي الخيل .
[5] { فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا } ، قال ابن عباس : هم الملائكة وكلوا بأمور عرفهم الله - عز وجل - العمل بها .

وجواب هذه الأقسام محذوف على تقديره : لتبعثن ولتحاسبن . وقيل : جوابه قوله : إن في ذلك لعبرة لمن يخشى . وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره : يوم ترتجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقا .
[6] قوله - عز وجل - : { يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ } ، يعني النفخة الأولى يتزلزل ويتحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق .
[7] { تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ } ، وهي النفخة الثانية ردفت الأولى وبينهما أربعون سنة . قال قتادة : هما صيحتان فالأولى تميت كل شيء والأخرى تحيي كل شيء بإذن الله - عز وجل - . وقال مجاهد : وأصل الرجفة : الصوت والحركة .
[8] { قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ } ، خائفة قلقة مضطربة .
[9] { أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ } ، ذليلة كقوله : { خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ } الآية .
[10] . { يَقُولُونَ } ، يعني المنكرين للبعث إذا قيل لهم : إنكم مبعوثون من بعد الموت : { أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ } أي إلى أول الحال وابتداء الأمر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا .
[11] { أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً } بالية .

[12] { قَالُوا } ، يعني المنكرين ، { تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ } ، رجعة خائبة ، يعني إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت .
[13] قال الله - عز وجل - : { فَإِنَّمَا هِيَ } ، يعني النفخة الأخيرة ، { زَجْرَةٌ } ، صيحة ، { وَاحِدَةٌ } ، يسمعونها .
[14] { فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ } ، يعني وجه الأرض أي صاروا على وجه الأرض بعد ما كانوا في جوفها .

[15] قوله - عز وجل - : { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى } ، يقول قد جاءك يا محمد حديث موسى .
[16] { إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى } .
[17] فقال يا موسى : { اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } ، علا وتكبر وكفر بالله .
[18] { فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى } قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي : أي تتزكى وتتطهر من الشرك ، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي تسلم وتصلح ، قال ابن عباس : تشهد أن لا إله إلا الله .
[19] { وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى } ، أي أدعوك إلى عبادة ربك وتوحيده

فتخشى عقابه .
[20] { فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى } ، وهي العصا واليد البيضاء .
[21] { فَكَذَّبَ } ، بأنهما من الله { وَعَصَى } .
[22] { ثُمَّ أَدْبَرَ } ، تولى وأعرض عن الإيمان { يَسْعَى } ، يعمل بالفساد في الأرض .
[23] { فَحَشَرَ } ، فجمع قومه وجنوده ، { فَنَادَى } ، لما اجتمعوا .
[24] { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } ، فلا رب فوقي . وقيل : أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربكم وربها .

[25] { فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى } ، أي في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار .
[26] { إِنَّ فِي ذَلِكَ } ، الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى ، { لَعِبْرَةً } ، عظة ، { لِمَنْ يَخْشَى } ، الله - عز وجل - .
[27] ثم خاطب منكري البعث فقال : { أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ } ، يعني أخلقكم بعد الموت أشد عندكم وفي تقديركم أم السماء؟ وهما في قدرة الله واحد ، ثم وصف من خلق السماء فقال : { بَنَاهَا } .
[28] { رَفَعَ سَمْكَهَا } ، سقفها { فَسَوَّاهَا } ، بلا شقوق ولا فطور .
[29] { وَأَغْطَشَ } ، أظلم ، { لَيْلَهَا } ، والغطش والغبش الظلمة ، { وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا } ، أبرز وأظهر نهارها ونورها ، وأضافهما إلى السماء لأن الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء .
[30] { وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ } ، بعد خلق السماء ، { دَحَاهَا } ، بسطها ، والدحو : البسط .

[31-34] { أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا }{ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا }{ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ }{ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى } ، يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة ، وسميت القيامة طامة لأنها تطم على كل هائلة من الأمور فتعلو فوقها وتغمر ما سواها ، والطامة عند العرب : الداهية التي لا تستطاع .
[35] { يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى } ، ما عمل في الدنيا من خير وشر .
[36] { وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى } ، قال مقاتل : يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق .
[37] { فَأَمَّا مَنْ طَغَى } ، في كفره .
[38] { وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } ، على الآخرة . 39,
[40] { فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى }{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى } عن المحارم التي تشتهيها .
[41-42] { فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى }{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا } ، متى ظهورها وثبوتها .
[43] { فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا } ، لست في شيء من علمها وذكرها ، أي لا تعلمها .

[44] { إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا } ، أي منتهى علمها عند الله .
[45] { إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا } ، أي إنما ينفع إنذارك من يخافها .
[46] { كَأَنَّهُمْ } ، يعني كفار قريش ، { يَوْمَ يَرَوْنَهَا } ، يعاينون يوم القيامة ، {

لَمْ يَلْبَثُوا } ، في الدنيا وقيل : في قبورهم ، { إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا } ، معناه آخر يوم أو أوله .

(80) سورة عبس
[1] { عَبَسَ } كلح ، { وَتَوَلَّى } ، أعرض بوجهه .
[2] { أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى } وهو ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح الفهري ، « وذلك أنه أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام ، والعباس بن عبد المطلب وأبي بن خلف ، وأخاه أمية يدعوهم إلى الله ، يرجو إسلامهم ، فقال ابن أم مكتوم : يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله ، فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقطعه كلامه ، وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآية ، فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك يكرمه ، وإذا رآه قال : "مرحبا بمن عاتبني فيه ربي» (1)
[3] { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى } , يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك .
[4] { أَوْ يَذَّكَّرُ } , يتعظ, { فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى } , الموعظة .
[5] { أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى } , قال ابن عباس : عن الله وعن الإيمان بما له من المال .
[6] { فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى } , تتعرض له وتقبل عليه وتصغي إلى كلامه .

_____
(1) انظر أسباب النزول للواحدي (ص 517) ، وقال ابن حجر في الكافي الشافي (ص 181) : «ذكره الثعلبي بلا إسناد ، وأخرج ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه ، وذكره الطبري من رواية سعيد عن قتادة .

[7] { وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى } , ألا يؤمن ولا يهتدي, إن عليك إلا البلاغ .
[8] { وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى } , يمشي يعني ابن أم مكتوم .
[9] { وَهُوَ يَخْشَى } , الله - عز وجل - .
[10] { فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى } , تتشاغل وتعرض عنه .
[11] { كَلَّا } , زجر أي لا تفعل بعدها مثلها, { إِنَّهَا } , يعني هذه الموعظة { تَذْكِرَةٌ } , موعظة وتذكير للخلق .
[12] { فَمَنْ شَاءَ } , من عباد الله { ذَكَرَهُ } , أي اتعظ به .
ثم أخبر عن جلالته عنده فقال :
[13] { فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ } , يعني اللوح المحفوظ . وقيل : كتب الأنبياء , دليله قوله - تعالى - : : (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) .
[14] { مَرْفُوعَةٍ } , رفيعة القدر عند الله - عز وجل - . وقيل : مرفوعة يعني في السماء السابعة . { مُطَهَّرَةٍ } لا يمسها إلا المطهرون, وهم الملائكة .
[15] { بِأَيْدِي سَفَرَةٍ } , قال ابن عباس ومجاهد : كتبة, وهم الملائكة الكرام الكاتبون , وقال الآخرون : هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير, وهو الرسول, وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح .

[16] ثم أثنى عليهم فقال : { كِرَامٍ بَرَرَةٍ } , أي كرام على الله بررة مطيعين جمع بار .

[17] قوله - عز وجل - : { قُتِلَ الْإِنْسَانُ } , أي لعن الكافر { مَا أَكْفَرَهُ } , ما أشد كفره مع كثرة إحسانه إليه وأياديه عنده, على طريق التعجب .
ثم تبين من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم أن الله خالقه .
[18] فقال : { مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } , لفظة استفهام ومعناه التقرير .
[19] ثم فسره فقال : { مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ } , أطوار : نطفة ثم علقة إلى آخر خلقه .
[20] { ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ } , أي طريق خروجه من بطن أمه, وقال الحسن ومجاهد : يعني طريق الحق والباطل سهل له العلم به : وقيل : يسر على كل أحد ما خلقه له وقدر عليه .
[21] { ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ } , جعل له قبرا يوارى فيه .
[22] { ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ } أحياه بعد موته .
[23] { كَلَّا } رد عليه أي ليس كما يقول ويظن هذا الكافر ، { لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ } ، أي لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ، ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر .

[24] فقال : { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ } ، كيف قدره ربه ودبره له وجعله سببا لحياته .
[25] ثم بين فقال : { أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا } ، يعني المطر .
[26] { ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا } ، بالنبات .
[27] { فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا } ، يعني الحبوب التي يتغذى بها .
[28] { وَعِنَبًا وَقَضْبًا } ، وهو القت الرطب ، سمي بذلك لأنه يقضب في كل الأيام أي يقطع .
[29] { وَزَيْتُونًا } ، وهو ما يعصر منه الزيت ، { وَنَخْلًا } ، جمع نخلة .
[30] { وَحَدَائِقَ غُلْبًا } ، غلاظا ، وقال مجاهد ومقاتل : الغلب الشجر الملتفة بعضها في بعض .
[31] { وَفَاكِهَةً } ، يريد ألوان الفواكه ، { وَأَبًّا } ، يعني الكلأ والمرعى الذي لم يزرعه الناس ، مما يأكله الأنعام والدواب . قال عكرمة : الفاكهة ما يأكل الناس ، والأب ما يأكله الدواب .
[32] { مَتَاعًا لَكُمْ } ، منفعة لكم يعني الفاكهة ، { وَلِأَنْعَامِكُمْ } ، يعني العشب .
[33] ثم ذكر القيامة فقال : { فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ } ، يعني صيحة القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أي تبالغ في أسماعها حتى تكاد تصمها .

[34-36] { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ }{ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ }{ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ } ، لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه .
[37] { لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } ، يشغله عن شأن غيره .
[38] { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ } ، مشرقة مضيئة .
[39] { ضَاحِكَةٌ } ، بالسرور ، { مُسْتَبْشِرَةٌ } ، فرحة بما نالت من كرامة الله - عز وجل - .
[40] { وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ } ، سواد وكآبة مما يشاهدونه من الغم والهم .
[41] { تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ } ، تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف .
[42] { أُولَئِكَ } ، الذين يصنع بهم هذا ، { هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ } ، جمع الكافر والفاجر .

(81) سورة التكوير
[1] { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } أصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض ، فمعناه أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف ، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها .
[2] { وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ } ، أي تناثرت من السماء وتساقطت .
[3] { وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ } ، على وجه الأرض فصارت هباء منبثا .
[4] { وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ } ، وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر ، واحدتها عشراء لما جاءهم من أهوال يوم القيامة .
[5] { وَإِذَا الْوُحُوشُ } ، يعني دواب البر ، { حُشِرَتْ } ، جمعت بعد البعث ليقتص لبعضها من بعض .

[6-7] { وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ } ، قال ابن عباس : أوقدت فصارت نارا تضطرم . وقال مجاهد ومقاتل : يعني فجر بعضها في بعض العذب والملح ، فصارت البحور كلها بحرا واحدا . وقيل : صارت مياهها بحرا واحدا من الحميم لأهل النار . وقال الحسن : يبست . { وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ } ، يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار ، وهذا قول عكرمة . وقال الحسن وقتادة : ألحق كل امرئ بشيعته ، اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني ، وقال عطاء ومقاتل : زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين ، وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين . وروي عن عكرمة قال : وإذا النفوس زوجت ردت الأرواح في الأجساد .
[8] { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } ، وهي الجارية المدفونة حية .
[9] { بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } ، ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول : قتلت بغير ذنب .
[10] { وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ } ، يعني صحائف الأعمال تنتشر للحساب .

[11] { وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ } ، قال الفراء : نزعت فطويت . وقال الزجاج : قلعت كما يقلع السقف . وقال مقاتل : تكشف عمن فيها . ومعنى الكشط رفعك شيئا عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام .
[12] { وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } ، قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم (سعرت) بالتشديد ، وقرأ الباقون بالتخفيف أي أوقدت لأعداء الله .
[13] { وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } ، قربت لأولياء الله .
[14] { عَلِمَتْ } عند ذلك كل { نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ } ، من خير أو شر ، وهذا جواب لقوله : { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } وما بعدها .
[15 - 16] قوله - عز وجل - : { فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ }{ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ } ، معناه أقسم بالخنس ، قال قتادة : هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار ، فتخفى فلا ترى ، وقال ابن زيد : معنى الخنس أنها تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخيرا تتأخره عن تعجيل ذلك الطلوع ، تخنس عنه بتأخرها . والكنس أي تكنس بالنهار فلا ترى .

[17] { وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } ، قال الحسن : أقبل بظلامه . وقال الآخرون : أدبر : تقول العرب : عسعس الليل وسعسع إذا أدبر ولم يبق منه إلا اليسير .
[18] { وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } ، أقبل وبدا أوله وقيل امتد ضوؤه وارتفع .
[19] { إِنَّهُ } ، يعني القرآن ، { لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } ، يعني جبريل أي نزل به جبريل عن الله - تعالى - .
[20] { ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } ، في المنزلة .

[21] { مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } ، أي في السماوات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة إياه أنهم فتحوا أبواب السماوات ليلة المعراج بقوله لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله ، (أمين) على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه .
[22] { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } ، يقول لأهل مكة وما صاحبكم يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم - بمجنون . وهذا أيضا من جواب القسم أقسم على أن القرآن نزل به جبريل ، وأن محمدا ليس كما يقوله أهل مكة ، وذلك أنهم قالوا إنه مجنون ، وما يقول من عند نفسه .

[23] { وَلَقَدْ رَآهُ } ، يعني رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - جبريل عليه السلام على صورته ، { بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ } ، وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق .
[24] { وَمَا هُوَ } يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم - , { عَلَى الْغَيْبِ } ، أي الوحي ، وخبر السماء وما أطلع عليه مما كان غائبا عنه من الأنباء والقصص ، { بِضَنِينٍ } إنه يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليهم بل يعلمكم ويخبركم به ، ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا .
[25] { وَمَا هُوَ } يعني القرآن ، { بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ } ، قال الكلبي : يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش .
[26] { فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ } ، أي أين تعدلون عن هذا القرآن ، وفيه الشفاء والبيان ، قال الزجاج : أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم .
[27] ثم بين فقال : { إِنْ هُوَ } ، أي ما القرآن ، { إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } ، موعظة للخلق أجمعين .
[28] { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } ، أي يتبع الحق ويقيم عليه .

[29] { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } ، أي أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وفيه إعلام أن أحدا لا يعمل خيرا إلا بتوفيق الله ولا شرا إلا بخذلانه .

(82) سورة الانفطار
[1] { إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ } انشقت .
[2] { وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ } , تساقطت .
[3] { وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ } ، فجر بعضها في بعض ، واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا .
[4] { وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ } ، بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء .
[5] { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ } ، قيل : ما قدمت من عمل صالح أو سيئ ، وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة . وقيل : ما قدمت من الصدقات وأخرت من التركات .
[6] { يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ } ، ما خدعك وسول لك الباطل حتى أضعت ما وجب عليك ، والمعنى : ماذا أمنك من عقابه؟
[7] { الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ } قرأ أهل الكوفة بالتخفيف فصرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا . وقرأ الآخرون : بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق والأعضاء .

[8] { فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ } , قال مجاهد : في أي شبه من أب أو أم أو عم, وذكر الفراء قولا آخر, إما طويلا أو قصيرا أو حسنا أو غير ذلك .

[9] { كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ } ، بالجزاء والحساب .
[10] { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ } ، رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم .
[11] { كِرَامًا } على الله ، { كَاتِبِينَ } ، يكتبون أقوالكم وأعمالكم .
[12] { يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } ، من خير أو شر .
[13] قوله - عز وجل - : { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } ، الأبرار الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء فرائض الله - عز وجل - واجتناب معاصيه . 14,
[15] { وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ }{ يَصْلَوْنَهَا } ، يخلونها, { يَوْمَ الدِّينِ } يوم القيامة .
[16] { وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ } .
[17] ثم عظم ذلك اليوم ، فقال : { وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ } ، كرر تفخيما لشأنه . 18,
[19] فقال : { ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ }{ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا } ، قال مقاتل : يعني لنفس كافرة شيئا من المنفعة ، { وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ } ، أي يوم لا يملك الله في ذلك اليوم أحدا شيئا كما ملكهم في الدنيا .

(83) سورة المطففين
[1] { وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ } ، يعني الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون حقوق الناس .
[2] ثم بين المطففين من هم فقال { الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ } ، وأراد إذا اكتالوا من الناس أي أخذوا منهم ، و (من) ، و (على) يتعاقبان .
[3] { وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } ، أي كالوا لهم أو وزنوا لهم أي للناس ، وقوله : (يُخْسِرُونَ) أي ينقصون .
[4, 5] { أَلَا يَظُنُّ } ، يستيقن ، { أُولَئِكَ } ، الذين يفعلون ذلك ، { أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ }{ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ } ، يعني يوم القيامة .
[6] { يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ } من قبورهم ، { لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ، أي لأمره ولجزائه ولحسابه .

[7] قوله - عز وجل - : { كَلَّا } ، ردع أي ليس الأمر على ما هم عليه فليرتدعوا ، وتمام الكلام هاهنا ، وقال الحسن : كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا ، { إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ } ، الذي كتبت فيه أعمالهم ، { لَفِي سِجِّينٍ } ، قال عبد الله بن عمرو : (سجين) هي الأرض السابعة السفلي فيها أرواح الكفار . وقال عطاء الخراساني : هي الأرض السفلي ، وفيها إبليس وذريته ، وقال وهب : هي آخر سلطان إبليس ، وقال عكرمة : { لَفِي سِجِّينٍ } أي لفي خسار وضلال . وقال الأخفش . هو فعيل من السجن ، كما يقال : فسيق وشريب ، معناه لفي حبس وضيق شديد .
[8] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ } ، قال الزجاج : أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك .
[9] { كِتَابٌ مَرْقُومٌ } ، ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله : { إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ } أي هو كتاب الفجار مرقوم ، أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب ، لا ينسى ولا يمحى حتى يجازوا به .

[10 - 13] { وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ }{ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ }{ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ }{ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } .
[14] { كَلَّا } ، قال مقاتل : أي لا يؤمنون ، ثم استأنف فقال : { بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } .
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه » (1) .
وأصل الرين الغلبة ، يقال : رانت الخمر على عقله ترين رينا وريونا إذا غلبت عليه حتى سكر ، ومعنى الآية : غلبت على قلوبهم المعاصي وأحاطت بها . قال الحسن : هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب . قال ابن عباس : { رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ } : طبع عليها .

_____
(1) أخرجه الترمذي في التفسير (9 / 253) وقال : (حديث حسن صحيح) ، والنسائي في التفسير (2 / 505) وفي عمل اليوم والليلة (ص 317) ، وابن ماجه في الزهد برقم (4244) (2 / 1418) ، والإمام أحمد في المسند (2 / 297) ، والطبري (30 / 98) , وصححه الحاكم (2 / 517) ، وابن حبان برقم (1771) والمصنف في شرح السنة (5 / 89) .

[15] { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } ، قال ابن عباس : كلا : يريد لا يصدقون ، ثم استأنف فقال . (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) ، قال بعضهم : عن كرامته ورحمته ممنوعون . وقال قتادة : هو ألا ينظر إليهم ولا يزكيهم . وقال أكثر المفسرين : عن رؤيته .
ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال :
[16] { ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ } ، لداخلو النار .
[17] { ثُمَّ يُقَالُ } ، أي تقول لهم الخزنة ، { هَذَا } ، أي هذا العذاب ، { الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } .

[18] { كَلَّا } قال مقاتل : لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه .
ثم بين محل كتاب الأبرار فقال : { إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ } ، { عِلِّيُّونَ } في السماء السابعة تحت العرش ، وقال ابن عباس : هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه ، وقال كعب وقتادة : هو قائمة العرش اليمنى . وقال عطاء عن ابن عباس : هو الجنة . وقال الضحاك : سدرة المنتهى ، وقال بعض أهل المعاني : علو بعد علو وشرف بعد شرف ، ولذلك جمعت بالياء والنون . 19,
[20] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ }{ كِتَابٌ مَرْقُومٌ } ، ليس هذا بتفسير عليين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله : { إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ } ، أي مكتوب أعمالهم كما ذكرنا في كتاب الفجار .
[21] { يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ } ، يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب ، أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين . 22,
[23] { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ }{ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ } ، إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة ، وقال مقاتل : ينظرون إلى عدوهم كيف يعذبون .

[24] { تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ } ، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض .

[25] { يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ } ، خمر صافية طيبة ، { مَخْتُومٍ } ، ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الأبرار . وقال مجاهد : (مَخْتُومٍ) أي مطين .
[26] { خِتَامُهُ } ، أي طينه ، { مِسْكٌ } ، كأنه ذهب إلى هذا المعنى ، قال ابن زيد : ختامه عند الله مسك وختام خمر الدنيا طين { وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ } ، فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله - عز وجل - .
[27] { وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ } ، شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم ، وأصل كلمة السنام من العلو ، يقال للشيء المرتفع : سنام ، ومنه سنام البعير .
[28] { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ } ، (عينا) نصب على الحال ، (يشرب بها) أي منها ، وقيل : يشرب بها المقربون صرفا .
[29] قوله - عز وجل - : { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا } ، أشركوا يعني كفار قريش ، { كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا } من فقراء المؤمنين { يَضْحَكُونَ } ، وبهم يستهزءون .

[30] { وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ } ، يعني مر المؤمنون بالكفار ، { يَتَغَامَزُونَ } ، والغمز الإشارة بالجفن والحاجب ، أي يشيرون إليهم بالأعين استهزاء .
[31] { وَإِذَا انْقَلَبُوا } ، يعني الكفار ، { إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ } ، معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم .
[32] { وَإِذَا رَأَوْهُمْ } ، رأوا أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، { قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ } ، يأتون محمدا - صلى الله عليه وسلم - يرون أنهم على شيء .
[33] { وَمَا أُرْسِلُوا } ، يعني المشركين ، { عَلَيْهِمْ } ، يعني على المؤمنين ، { حَافِظِينَ } أعمالهم ، أي لم يوكلوا بحفظ أعمالهم .
[34] { فَالْيَوْمَ } ، يعني في الآخرة ، { الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ } ، إذا اطلعوا من الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا .
[35] { عَلَى الْأَرَائِكِ } ، من الدر والياقوت ، { يَنْظُرُونَ } ، إليهم في النار .
[36] { هَلْ ثُوِّبَ } ، هل جوزي ، { الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } ، أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام هاهنا : التقرير . وثوب وأثيب وأثاب بمعنى واحد .

(84) سورة الانشقاق
[1] { إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ } ، انشقاقها من علامات القيامة .
[2] { وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا } ، أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته ، من الأذن وهو الاستماع ، { وَحُقَّتْ } ، أي وحق لها أن تطيع ربها .
[3] { وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ } ، مد الأديم العكاظي ، وزيد في سعتها .
[4] { وَأَلْقَتْ } ، أخرجت ، { مَا فِيهَا } ، من الموتى والكنوز ، { وَتَخَلَّتْ } ، خلت منها .
[5] { وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ } ، واختلفوا في جواب (إذا) قيل : جوابه محذوف تقديره : إذا كانت هذه الأشياء يرى الإنسان الثواب والعقاب .

[6] وقيل جوابه : { يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا } ، ومجازه { إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ } لقي كل كادح ما عمله . وقيل : جوابه وأذنت ، وحينئذ تكون الواو زائدة ومعنى قوله : (كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا) ، أي ساع إليه في عملك ، والكدح : سعي الانسان وجهده في الأمر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه ، أي يؤثر { فَمُلَاقِيهِ } ، أي ملاقي جزاء عملك خيرا كان أو شرا . [7 ، 8]

{ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ } ، ديوان أعماله ، { بِيَمِينِهِ }{ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « من حوسب عذب " قالت عائشة - رضي الله عنها - : يا رسول الله أوليس يقول الله - عز وجل - : (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) ؟ فقال : "إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش في الحساب يهلك » (1) .
[9] { وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ } ، يعني في الجنة من الحور العين والآدميات ، { مَسْرُورًا } ، بما أوتي من الخير والكرامة .

_____
(1) أخرجه البخاري في العلم (1 / 196) ومسلم في الجنة وصفة نعيمها رقم (2876) (4 / 2204) .

[10] { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ } ، فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره ، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره .
[11] { فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا } ، ينادي بالويل والهلاك إذا قرأ كتابه يقول : يا ويلاه يا ثبوراه .
[12 ، 13] { وَيَصْلَى سَعِيرًا }{ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا } ، يعني في الدنيا باتباع هواه وركوب شهوته .
[14] { إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ } ، أن لن يرجع إلينا ولن يبعث .
[15] ثم قال : { بَلَى } ، أي ليس كما ظن بل يحور إلينا ويبعث { إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا } ، خلقه إلى أن بعثه .
[16] قوله - عز وجل - : { فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ } ، قال مجاهد : هو النهار كله . وقال عكرمة : ما بقي من النهار ، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين : هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس . وقال قوم : هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة .

[17] { وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ } ، أي جمع وضم يقال : وسقته أسقه وسقا أي جمعته ، واستوسقت الإبل إذا اجتمعت وانضمت ، والمعنى : والليل وما جمع وضم ما كان بالنهار منتشرا من الدواب ، وذلك أن الليل إذا أقبل آوى كل شيء إلى مأواه .
[18] { وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ } ، اجتمع واستوى وتم نوره وهو في الأيام البيض .
[19 - 20] { لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ } ، قرأ أهل مكة وحمزة والكسائي (لَتَرْكَبُنَّ) بفتح الباء ، يعني لتركبن يا محمد . قال الشعبي ومجاهد : سماء بعد سماء ، قال الكلبي : يعني تصعد فيها . ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله - تعالى - والرفعة ، قال ابن عباس : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) حالا بعد حال ، قال : هذا نبيكم - صلى الله عليه وسلم - . وقيل : أراد به السماء تتغير لونا بعد لون ، فتصير تارة كالدهان وتارة كالمهل ، فتنشق بالغمام مرة وتطوى أخرى .

وقرأ الآخرون : بضم الباء لأن المعنى بالناس أشبه لأنه ذكر من قبل : فأما من أوتي كتابه بيمينه ، وشماله وذكر من بعده { فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } ، وأراد لتركبن حالا بعد حال وأمرا بعد أمر في موقف القيامة ، يعني الأحوال تنقلب بهم فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا . و (عن) بمعنى بعد ، وقال مقاتل : يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة . وقال عطاء : مرة فقيرا ومرة غنيا . وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس : يعني

الشدائد والأهوال والموت ، ثم البعث ثم العرض . وقال عكرمة : حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ { فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } استفهام إنكار .
[21] { وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ } ، لا يصلون .
[22] { بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ } ، بالقرآن والبعث .
[23] { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ } ، في صدورهم من التكذيب . قال مجاهد : يكتمون .
[24 ، 25] { فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }{ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } ، غير مقطوع ولا منقوص .

(85) سورة البروج
[1 - 2] { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ }{ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ } ، هو يوم القيامة .

[3] { وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ } الأكثرون : أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة . وروي عن ابن عمر : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر . قال سعيد بن المسيب : الشاهد يوم التروية ، والمشهود يوم عرفة . وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : الشاهد محمد - صلى الله عليه وسلم - والمشهود يوم القيامة ، ثم تلا : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } وقال : { ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ } . وقال عبد العزيز بن يحيى : الشاهد محمد - صلى الله عليه وسلم - ، والمشهود الله - عز وجل - ، بيانه قوله : { وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } . وعن مجاهد قال : الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة . وقال عكرمة : الشاهد الإنسان والمشهود يوم القيامة ، وعن ابن عباس : الشاهد هو الله - عز وجل - والمشهود يوم القيامة . وقال الحسين بن الفضل : الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم ، وقيل : الشاهد أعضاء بني آدم ، بيانه : { يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ } .

[4] { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ } ، أي لعن ، والأخدود : الشق المستطيل في الأرض كالنهر ، وجمعه أخاديد .
[5] { النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ } ، بدل من الأخدود ، قال الربيع بن أنس : نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم .
[6] { إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ } ، أي عند النار جلوس يعذبون المؤمنين . قال مجاهد : كانوا قعودا على الكراسي عند الأخدود .
[7] { وَهُمْ } ، يعني الملك وأصحابه الذين خدوا الأخدود ، { عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ } ، من عرضهم على النار وإرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم ، { شُهُودٌ } ، حضور .
[8] { وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ } ، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ما كرهوا منهم ، { إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ } ، قال مقاتل : ما عابوا منهم . وقيل : ما علموا فيهم عيبا . قال الزجاج : ما أنكروا عليهم ذنبا إلا إيمانهم بالله { الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } .
[9] { الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ } ، من أفعالهم ، { شَهِيدٌ } .

[10] { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا } ، عذبوا وأحرقوا ، { الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } ، يقال : فتنت الشيء إذ أحرقته ، نظيره : { يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ } ، { ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ } ، بكفرهم ، { وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ } ، بما أحرقوا المؤمنين . وقيل : ولهم عذاب الحريق في الدنيا ، وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين ، وارتفعت إليهم من الأخدود ، قاله الربيع بن أنس والكلبي .
[11] ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ } واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم . جوابه { قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ } ، يعني لقد قتل . وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره : قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج . وقال قتادة : جوابه :
[12] { إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ } ، قال ابن عباس : إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد ، كقوله : { إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } .

[13] { إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ } ، أي يخلقهم أولا في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت .
[14] { وَهُوَ الْغَفُورُ } ، لذنوب المؤمنين ، { الْوَدُودُ } المحب لهم .
[15] { ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ } ، قرأ حمزة والكسائي (المجيد) بالجر على صفة العرش أي السرير العظيم . وقيل : أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم ، فقال : { رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } ، ومعناه الكمال ، والعرش : أحسن الآشياء وأكملها ، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش .
[16] { فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ } ، لا يعجزه شيء يريده وللايمتنع منه شيء طلبه .
[17] قوله - عز وجل - : { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ } ، قد أتاك خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء ، ثم بين من هم؟
[18 ، 19] فقال : { فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ }{ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، من قومك يا محمد ، { فِي تَكْذِيبٍ } ، لك وللقرآن كدأب من قبلهم ، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار .
[20] { وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ } ، عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم .

[21] { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ } ، كريم شريف كثير الخير ، ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة .
[22] { فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } ، قرأ نافع محفوظ بالرفع على نعت القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف ، قال الله - تعالى - : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } ، وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ ، وهو أم الكتاب ، ومنه تنسخ الكتب ، محفوظ من الشياطين ، ومن الزيادة فيه والنقصان .

(86) سورة الطارق
[1] { وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ } ، وهذا قسم ، والطارق النجم يظهر بالليل ، وما أتاك ليلا فهو طارق .
[2] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ } .
[3] ثم فسره فقال : { النَّجْمُ الثَّاقِبُ } ، أي المضيء . المنير ، قال مجاهد : المتوهج .

[4] { إِنْ كُلُّ نَفْسٍ } ، جواب القسم ، { لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ } ، كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير وشر . قال ابن عباس : هم الحفظة من الملائكة .
[5] { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ } ، أي فليتفكر من أي شيء خلقه ربه ، أي فلينظر نظر المتفكر .
[6] ثم بين فقال : { خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ } ، مدفوق أي مصبوب في الرحم ، وهو المني ، فاعل بمعنى مفعول كقوله : { عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ } ، والدفق الصب وأراد ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما ، وجعله واحدا لامتزاجهما .
[7] { يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ } ، يعني صلب الرجل وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر والنحر .

[8] { إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ } ، قال مجاهد : على رد النطفة في الإحليل . وقال عكرمة : على رد الماء في الصلب الذي خرج منه . وقال الضحاك : إنه على رد الإنسان ماء كما كان من قبل لقادر ، وقال قتادة : إن الله - تعالى - على بعث الانسان وإعادته بعد الموت قادر . وهذا أولى الأقاويل .
[9] لقوله : { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ } ، وذلك يوم القيامة ، تبلى السرائر تظهر الخفايا . قال عطاء بن أبي رباح : السرائر فرائض الأعمال ، كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة ، فإنها سرائر بين الله - تعالى - وبين العبد ، فلو شاء العبد لقال : صمت ولم يصم ، وصليت ولم يصل .
[10] { فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ } ، أي ما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله .
[11] ثم ذكر قسما آخر فقال : { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ } ، أي ذات المطر لأنه يرجع كل عام ويتكرر . وقال ابن عباس : هو السحاب يرجع المطر .
[12] { وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ } ، أي تصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأنهار .

[13] وجواب القسم قوله : { إِنَّهُ } ، يعني القرآن ، { لَقَوْلٌ فَصْلٌ } ، حق وجد يفصل بين الحق والباطل .
[14] { وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ } ، باللعب والباطل .
[15] ثم أخبر عن مشركي مكة فقال : { إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا } ، يخافون النبي -صلى الله عليه وسلم- ويظهرون ما هم على خلافه .
[16] { وَأَكِيدُ كَيْدًا } ، وكيد الله استدراجهم إياهم من حيث لا يعلمون .
[17] { فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ } ، قال ابن عباس : هذا وعيد من الله - عز وجل - لهم ، { أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا } ، قليلا ومعنى مهل وأمهل انظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر ، ونسخ الإمهال بآية السيف .

(87) سورة الأعلى
[1] { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } ، يعني قل سبحان ربي الأعلى ، وقال قوم : معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه به الملحدون ، وقال آخرون : نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت معظم ولذكره محترم .
[2] { الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى } ، قال الكلبي : خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين . قال الزجاج : خلق الإنسان مستويا ، ومعنى سوى : عدل قامته .

[3] { وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } قال مجاهد : هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة ، وهدى الأنعام لمراتعها . وقال مقاتل والكلبي : قدر لكل شيء مسلكه فهدى ، عرفها كيف يأتي الذكر الأنثى . وقيل : قدر الأرزاق فهدى لاكتساب الأرزاق والمعاش . وقيل : خلق المنافع في الأشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها .
[4] { وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى } ، أنبت العشب وما ترعاه النعم . من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض .
[5] { فَجَعَلَهُ } ، بعد الخضرة ، { غُثَاءً } ، هشيما باليا ، كالغثاء الذي تراه فوق السيل . { أَحْوَى } ، أسود بعد الخضرة ، وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس اسود .

[6 ، 7] { سَنُقْرِئُكَ } ، سنعلمك بقراءة جبريل عليك ، { فَلَا تَنْسَى } { إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } ، أن تنساه وما نسخ الله تلاوته من القرآن ، { إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ } ، من القول والفعل ، { وَمَا يَخْفَى } ، منهما ، والمعنى : أنه يعلم السر والعلانية .
[8] { وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى } ، قال مقاتل : نهون عليك عمل الجنة ، وهو معنى قول ابن عباس : نيسرك لأن تعمل خيرا ، واليسرى عمل الخير . وقيل : نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية السمحة .
[9] { فَذَكِّرْ } ، عظ بالقرآن ، { إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى } ، الموعظة والتذكير ، والمعنى : نفعت أو لم تنفع .
[10] { سَيَذَّكَّرُ } ، سيتعظ ، { مَنْ يَخْشَى } ، الله - عز وجل - .
[11] { وَيَتَجَنَّبُهَا } ، أي يتجنب الذكرى ويتباعد عنها ، { الْأَشْقَى } ، الشقي في علم الله .
[12] { الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى } ، العظيمة والفظيعة لأنها أعظم وأشد حرا من نار الدنيا .
[13] { ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا } ، فيستريح ، { وَلَا يَحْيَا } ، حياة تنفعه .

[14] { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } ، تطهر من الشرك وقال : لا إله إلا الله ، وقال الحسن : من كان عمله زاكيا . وقال آخرون : هو صدقة الفطر .
[15] { وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } ، قال : خرج إلى العيد فصلى صلاته ، وقيل : الصلاة هاهنا الدعاء .
[16] { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } .
[17] { وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } ، قال عرفجة الأشجعي : كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا : أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة؟ قلنا : لا ، قال : لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها ، وأن الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا الآجل .
[18] { إِنَّ هَذَا } ، يعني ما ذكر من قوله : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى } ، إلى أربع آيات ، { لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى } ، أي الكتب الأولى التي أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المتزكي والمصلي وإيثار الخلق الحياة الدنيا على الآخرة ، وأن الآخرة خير وأبقى .
[19] ثم بين الصحف فقال : { صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } ، قال عكرمة والسدي : هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى .

(88) سورة الغاشية
[1] { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ } ، قد أتاك حديث القيامة تغشى كل شيء

بالأهوال .
[2] { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ } ، يعني يوم القيامة ، { خَاشِعَةٌ } ، ذليلة .
[3] { عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ } ، قال عطاء عن ابن عباس : يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام من عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهادا في ضلالة ، يدخلون النار يوم القيامة ، ومعنى النصب الدأب في العمل بالتعب ، وقال عكرمة والسدي : عامدة في الدنيا بالمعاصي ، ناصبة في الآخرة في النار ، وقال الحسن : لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وأنصبها في النار .
[4] { تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً } ، قال ابن عباس : قد حميت فهي تتلظى على أعداء الله .
[5] { تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ } ، متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت ، فدفعوا إليها وردا عطاشا . قال المفسرون : لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت ، هذا شرابهم ، ثم ذكر طعامهم فقال :

[6 - 7] { لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ } ، قال مجاهد : هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض ، تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموها الضريع ، وهو أخبث طعام وأبشعه ، قال ابن زيد : أما في الدنيا فإن الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق ، وهو في الآخرة شوك من نار { لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ } .
[8] ثم وصف أهل الجنة فقال : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ } ، قال مقاتل : في نعمة وكرامة .
[9] { لِسَعْيِهَا } في الدنيا ، { رَاضِيَةٌ } ، في الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها .
[10 - 11] { فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ }{ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً } ، لغوا وباطلا .
[12- 14] { فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ }{ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ }{ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ } ، عندهم .
[15] { وَنَمَارِقُ } ، وسائد ومرافق ، { مَصْفُوفَةٌ } ، بعضها بجنب بعض واحدتها نمرقة بضم النون .
[16] { وَزَرَابِيُّ } ، يعني البسط العريضة { مَبْثُوثَةٌ } ، مبسوطة ، وقيل : متفرقة في المجالس .

[17] { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ } ، قال أهل التفسير : لما نعت الله - تعالى - في هذه السورة ما في الجنة عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه ، فذكر لهم الله - تعالى - صنعه فقال : { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ } وكانت الإبل أعظم عيش العرب ، لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لأهل الجنة فيها ما صنع .
[18] { وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ } ، عن الأرض حتى لا ينالها شيء يغيرها .
[19] { وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ } ، على وجه الأرض مرساة لا تزول .
[20] { وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ } ، بسطت ، قال عطاء عن ابن عباس : هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الأرض غيري؟
[21 - 22] { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ }{ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ } ، بمسلط فتقتلهم وتكرههم على الإيمان ، نسختها آية القتال .
[23] { إِلَّا مَنْ تَوَلَّى } ، استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى ، { وَكَفَرَ } ، بعد التذكير .

[24] { فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ } ، وهو أن بدخله النار . وإنما قالط الأكبر لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر .
[25] { إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ } ، رجوعهم بعد الموت ، يقال : آب يئوت أوبا وإيابا .
[26] { ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ } ، يعني جزاءهم بعد المرجع إلى الله - عز وجل - .

(89) سورة الفجر
[1] { وَالْفَجْرِ } أقسم الله - عز وجل - بالفجر ، روى أبو صالح عن ابن عباس قال : هو انفجار الصبح كل يوم . وهو قول عكرمة ، وقال عطية عنه : صلاة لصبح ، وقال قتادة : هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة . وقال الضحاك : فجر ذي الحجة لأنه قرن به الليالي العشر .
[2] { وَلَيَالٍ عَشْرٍ } ، روي عن ابن عباس : أنها العشر الأول من ذي الحجة ، وقال أبو روق عن الضحاك : هي العشر الأول من شهر رمضان . وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال : هي العشر الأواخر من شهر رمضان . وقال يمن بن رباب : هي العشر الأول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء .
[3] { وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ } اختلفوا في الشفع والوتر ، قيل : الشفع الخلق ، قال الله - تعالى - : { وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا } والوتر : هو الله - عز وجل - ، وقال مجاهد ومسروق : الشفع الخلق كله ، والوتر هو الله ، قال الله - تعالى - : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، قال الحسن وابن زيد : الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر . وروى قتادة عن الحسن قال : هو العدد منه شفع ومنه وتر . وقال قتادة : هما الصلوات منها شفع ومنها وتر .

[4] { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ } ، أي إذا سار وذهب كما قال : { وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ } ، وقال قتادة : إذا جاء وأقبل وأراد كل ليلة .
[5] { هَلْ فِي ذَلِكَ } ، أي فيما ذكرت ، { قَسَمٌ } ، أي مقنع ومكتفى في القسم ، { لِذِي حِجْرٍ } ، للذي عقل سمي بذلك لأنه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا ينبغي ، وأصل الحجر المنع وجواب القسم قوله : { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } ، واعترض بين القسم وجوابه قوله - عز وجل - :
[6 - 7] { أَلَمْ تَرَ } ، قال الفراء : ألم تخبر . وقال الزجاج : ألم تعلم ومعناه التعجب . { كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ }{ إِرَمَ } ، يخوف أهل مكة يعني كيف أهلكهم ، وهم كانوا أطول أعمارا وأشد قوة من هؤلاء ، واختلفوا في إرم فقال سعيد بن المسيب : { إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ } دمشق ، وبه قال عكرمة ، وقال القرظي : هي الإسكندرية ، وقال مجاهد : هي أمة .
وقيل : معناه القديمة . وقال قتادة ومقاتل : هم قبيلة من عاد .

[8] { الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ } ، وسموا ذات العماد لهذا لأنهم كانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة ، وقال بعضهم : سموا ذات العماد لطول قامتهم . قال ابن عباس : يعني طولهم مثل العماد . وقوله : (لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) ، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة ، وهم الذين قالوا : { مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً } ، وقيل : سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم .
[9] { وَثَمُودَ } ، أي وبثمود ، { الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ } ، قطعوا الحجر ، { بِالْوَادِي } ، يعني وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتا .
[10] { وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ } ، سمي بذلك لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد ، وقد ذكرناه في سورة ص (1) .

[11] { الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ } ، يعني عادا وثمود وفرعون عملوا في الأرض بالمعاصي وتجبروا .

_____
(1) آية (12) .

[12 - 13] { فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ }{ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ } ، قال قتادة : يعني لونا من العذاب صبه عليهم ، قال أهل المعاني : هذا على الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب ، فجرى ذلك لكل نوع من العذاب . قال الزجاج : جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب .
[14] { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } ، قال ابن عباس : يعني بحيث يرى ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد . قال الكلبي : عليه طريق العباد لا يفوته أحد . قال مقاتل : ممر الناس عليه ، والمرصاد والمرصد : الطريق . وقيل : مرجع الخلق إلى حكمه وأمره وإليه مصيرهم . وقال الحسن وعكرمة : يرصد أعمال بني آدم . والمعنى : أنه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من هو بالمرصاد .
[15] { فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ } ، امتحنه ، { رَبُّهُ } ، بالنعمة ، { فَأَكْرَمَهُ } ، بالمال ، { وَنَعَّمَهُ } ، بما وسع عليه ، { فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي } ، بما أعطاني .

[16] { وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ } ، بالفقر ، { فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ } ، أي ضيق عليه رزقه . وقيل : قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر ما يكفيه . { فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي } ، أذلني بالفقر ، وهذا يعني به الكافر تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته .

[17] فقال : { كَلَّا } ، لم أبتله بالمغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه ، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق ، ولكن الفقر والغنى بتقديره فيوسع على الكافر لا لكرامته ، ويقدر على المؤمن لا لهوانه ، إنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته ، { بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ } ، لا تحسنوا إليه . وقيل : لا تعطونه حقه .
[18] { وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ } ، أي لا تأمرون بإطعامه ، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة (تَحَاضُّونَ) بفتح الحاء وألف بعدها أي لا يحض بعضكم بعضا عليه .
[19] { وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ } ، أي الميراث ، { أَكْلًا لَمًّا } ، شديدا يأكل نصيبه ونصيب غيره ، وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ، ويأكلون نصيبهم . قال ابن زيد : الأكل اللم الذي يأكل كل شيء يجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام ، ويأكل الذي له ولغيره .
[20] { وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا } ، أي كثيرا يعني يحبون جمع المال ويولعون به ، يقال : جم المال في الحوض إذا كثر واجتمع .

[21] { كَلَّا } ، ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر . وقال مقاتل : أي لا يفعلون ما أمروا به من إكرام اليتيم وإطعام المسكين ، ثم أخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم ، فقال عز من قائل : { إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا } ، مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء .
[22] { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } ، قال عطاء : يريد صفوف الملائكة ،

وأهل كل سماء صف على حدة . قال الضحاك : أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفا مختلطين بالأرض ومن فيها فيكون سبع صفوف .
[23] { وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ } ، يعني يوم يجاء بجهنم ، { يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ } ، يتعظ ويتوب الكافر ، { وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى } ، قال الزجاج : يظهر التوبة ومن أين له التوبة .
[24] { يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } ، أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة ، أي لآخرتي التي لا موت فيها .

[25 ، 26] { فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ }{ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ } ، بفتح الذال والثاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كعذاب الله يومئذ ، ولا يوثق كوثاقه يومئذ ، وقيل : هو رجل بعينه ، وهو أمية بن خلف ، يعني لا يعذب كعذاب هذا الكافر أحد ، ولا يوثق كوثاقه أحد ، بكسر الذال والثاء ، أي لا يعذب أحد من الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ، ولا يوثق كوثاقه أحد ، يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب ، والوثاق وهو الإسار في السلاسل والأغلال .
[27] قوله - عز وجل - : { يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ } ، إلى ما وعد الله المصدقة بما قال الله .
[28] { ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ } ، إلى الله ، { رَاضِيَةً } ، بالثواب ، { مَرْضِيَّةً } ، عنك .
[29] { فَادْخُلِي فِي عِبَادِي } ، أي مع عبادي في جنتي . وقيل : في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين .
[30] { وَادْخُلِي جَنَّتِي } .

(90) سورة البلد
[1] { لَا أُقْسِمُ} ، يعني أقسم ، { بِهَذَا الْبَلَدِ } ، يعني مكة .
[2] { وَأَنْتَ حِلٌّ } ، أي حلال ، { بِهَذَا الْبَلَدِ } ، تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم ، أحل الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - مكة يوم الفتح ، حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل ، وهو متعلق بأستار الكعبة ، ومقيس بن صبابة وغيرهما ، فأحل دماء قوم وحرم دماء قوم ، والمعنى : أن الله - تعالى - لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها من حرمتها فوعد نبيه - صلى الله عليه وسلم - أنه يحلها له حتى يقاتل فيها ، وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله - عز وجل - بأن يحلها له .
[3] { وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ } ، يعني آدم عليه السلام وذريته .
[4] { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ } ، روى الوالبي عن ابن عباس : في نصب . قال الحسن : يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وقال قتادة : في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا . وقال سعيد بن جبير : في شدة . وقال عطاء عن ابن عباس : في شدة خلق حمله وولادته ورضاعه ، وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته .

[5] { أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ } ، أي يظن من شدته أن لن يقدر عليه الله - تعالى - .
[6] { يَقُولُ أَهْلَكْتُ } ، يعني أنفقت ، { مَالًا لُبَدًا } ، أي كثيرا بعضه على بعض من التلبيد في عداوة محمد - صلى الله عليه وسلم - .
[7] { أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ } ، قال سعيد بن جبير وقتادة : أيظن أن الله لم يره ، ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه؟

[8 ، 9] فقال : { أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ }{ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ } ، قال قتادة : نعم الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر .
[10] { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } ، قال أكثر المفسرين : طريق الخير والشر ، والحق والباطل ، والهدى والضلالة ، وقال محمد بن كعب عن ابن عباس : وهديناه النجدين قال : الثديين ، وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك ، والنجد : طريق ارتفاع .

[11] { فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ } ، يقول : فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب وإطعام السغبان ، فيكون خيرا له من إنفاقه على عداوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، هذا قول ابن زيد وجماعة ، وقيل : فلا اقتحم العقبة أي لم يقتحمها ولا جاوزها . والاقتحام : الدخول في الأمر الشديد ، وذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر ، فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة ، تقول لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة ولا طعام ، وهذا معنى قول قتادة . وقيل : إنه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فإذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها ، وروي عن ابن عمر : أن هذه العقبة جبل في جهنم ، وقال الحسن وقتادة : عقبة شديدة في النار دون الجسر ، فاقتحموها بطاعة الله - تعالى - . وقال ابن زيد : يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال : [12- 14] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ }{ فَكُّ رَقَبَةٍ }{ أَوْ إِطْعَامٌ } أراد بفك الرقبة إعتاقها وإطلاقها ، ومن أعتق رقبة كانت الرقبة فداءه من النار ، وقال عكرمة قوله : (فك رقبة) يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة . {

أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ } ، مجاعة ، يقال : سغب يسغب سغبا إذا جاع .
[15] { يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ } ، أي ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة .
[16] { أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ } ، قد لصق بالتراب من فقره وضره . وقال مجاهد عن ابن عباس : هو المطروح في التراب لا يقيه شيء . والمتربة مصدر ترب يترب تربا ومتربة إذا افتقر .
[17] { ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا } ، ثم بين أن هذا القرب إنما تنفع مع الإيمان ، وقيل : (ثم) بمعنى الواو ، { وَتَوَاصَوْا } ، أوصى بعضهم بعضا ، { بِالصَّبْرِ } ، على فرائض الله وأوامره ، { وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ } ، برحمة الناس .
[18- 20] { أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ }{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ }{ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ } ، مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم ، يقال : أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته .

(91) سورة الشمس
[1] { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا } ، قال مجاهد والكلبي : ضوؤها ، والضحى : حين تطلع الشمس ، فيصفو ضوؤها . قال قتادة : هو النهار كله . وقال مقاتل : حرها ، كقوله في طه : { وَلَا تَضْحَى } ، يعني لا يؤذيك الحر .
[2] { وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا } تبعها وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس ، تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور . وقال الزجاج : وذلك حين استدار يعني كمل ضوؤه فصار تابعا للشمس في الإنارة وذلك في الليالي البيض .
[3] { وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا } ، يعني إذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفا .

[4] { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا } ، يعني يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق .
[5] { وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا } ، قال الكلبي : ومن بناها وخلقها ، وقال عطاء : يريد والذي بناها . وقال الفراء والزجاج : (ما) بمعنى المصدر ، أي وبنائها كقوله : { بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي } .
[6] { وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا } ، بسطها .
[7] { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا } ، عدل خلقها وسوى أعضاءها ، قال عطاء : يريد جميع ما خلق من الجن والإنس .

[8] { فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } ، قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة : بين لها الخير والشر . وقال في رواية عطية : علمها الطاعة والمعصية . وروى الكلبي عن أبي صالح عنه : عرفها ما تأتي وما تتقي . وقال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها . قال ابن زيد : جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه إياها للتقوى ، وخذلانه إياها للفجور . واختار الزجاج هذا ، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان ، وهذا يبين أن الله - عز وجل - خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور .
[9] { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } ، وهذا موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكاها الله ، أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة .
[10] { وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } ، أي خانت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها . وقال الحسن : معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله - عز وجل - ، (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) أهلكها وأضلها وحملها على المعصية ، فجعل الفعل للنفس ، ودساها أصله : دسسها من التدسيس ، وهو إخفاء الشيء ، فأبدلت السين الثانية يا ء ، والمعنى هاهنا : أخملها وأخفى محلها بالكفر والمعصية .

[11] قوله - عز وجل - : { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا } ، بطغيانها وعدوانها أي الطغيان حملهم على التكذيب .
[12] { إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا } ، أي قام ، والانبعاث : هو الإسراع في الطاعة للباعث ، أي كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا لما انبعث أشقاها وهو قدار بن سالف ، وكان أشقر أزرق قصيرا قام لعقر الناقة .

[13] { فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ } ، صالح ، { نَاقَةَ اللَّهِ } ، أي احذروا عقر ناقة الله . وقال الزجاج : منصوب على معنى ذروا ناقة الله ، { وَسُقْيَاهَا } ، شربها أي ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء ، فلا تعرضوا للماء يوم شربها . [14 - 15] { فَكَذَّبُوهُ } ، يعني صالحا ، { فَعَقَرُوهَا } ، يعني الناقة . { فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ } ، قال عطاء ومقاتل : فدمر عليهم ربهم فأهلكهم . قال المدرج : الدمدمة الهلاك باستئصال . { بِذَنْبِهِمْ } ، بتكذيبهم الرسول وعقرها الناقة ، { فَسَوَّاهَا } ، فسوى الدمدمة عليهم جميعا ، وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد . وقال الفراء : سوى الأمة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها ، يعني سوى بينهم ، { وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا } ، عاقبتها . قال الحسن : معناه لا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم . وهي رواية عن ابن عباس ، وقال الضحاك والسدي والكلبي : هو راجع إلى العاقر في الكلام تقديم وتأخير تقديره : إذا انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها .

(92) سورة الليل
[1] { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى } ، أي يغشى النهار بظلمة فيذهب بضوئه .
[2] { وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } ، بأن وظهر من بين الظلمة .
[3] { وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى } ، يعني ومن خلق ، وقيل : هي (ما) المصدرية أي خلق الذكر والأنثى . قال مقاتل والكلبي : يعني آدم وحواء .
[4] قوله { إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى } ، إن أعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها .
[5] { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى } ، (أعطى) ماله في سبيل الله ، (واتقى) ربه .
[6] { وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى } ، قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك : وصدق بلا إله إلا الله ، وهي رواية عطية عن ابن عباس : وقال مجاهد : بالجنة . دليله قوله - تعالى - : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى } يعني الجنة . وقيل : صدق بالحسنى أي بالخلف ، أي أيقن أن الله - تعالى - سيخلفه . وهي رواية عكرمة عن ابن عباس . وقال قتادة ومقاتل والكلبي : بموعود الله - عز وجل - الذي وعده أي يفي به .
[7] { فَسَنُيَسِّرُهُ } ، فسنهيئه في الدنيا ، { لِلْيُسْرَى } ، أي للخلة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله - عز وجل - .

[8] { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ } بالنفقة في الخير ، { وَاسْتَغْنَى } ، عن ثواب الله فلم يرغب فيه .
[9 ، 10] { وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى }{ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } ، سنهينه للشر بأن نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضي الله ، فيستوجب به النار . قال مقاتل : نعسر عليه أن يأتي خيرا .
[11] { وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ } الذي بخل به ، { إِذَا تَرَدَّى } قال مجاهد : إذا مات . وقال قتادة وأبو صالح : هوى في جهنم .
[12] { إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى } ، يعني البيان . قال الزجاج : علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال ، وهو قول قتادة ، قال : على الله بيان حلاله وحرامه . قال الفراء : يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله ، كقوله - تعالى - : { وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ} ، يقول : من أراد الله فهو على السبيل القاصد .
[13] { وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى } ، فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ الطريق .
[14] { فَأَنْذَرْتُكُمْ } ، يا أهل مكة { نَارًا تَلَظَّى } ، أي تتلظى يعني تتوقد وتتوهج .

[15 - 16] { لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى }{ الَّذِي كَذَّبَ } ، الرسول ، { وَتَوَلَّى } ، عن الإيمان .
[17] { وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى } ، يريد بالأشقى الشقي ، وبالأتقى التقي .
[18] { الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ } ، يعطي ماله ، { يَتَزَكَّى } ، يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا رياء ولا سمعة ، يعني أبا بكر الصديق ، في قول الجميع ، قال ابن الزبير : كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتقهم ، فقال أبوه : أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك؟ قال : منع ظهري أريد ، فنزل : { وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى } إلى آخر السورة .
[19] { وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى } ، يد يكافئه عليها .
[20] { إِلَّا } ، لكن { ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى } ، يعني لا يفعل ذلك مجازاة

لأحد بيد له عنده ، ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى في الدار الآخرة .
[21] { وَلَسَوْفَ يَرْضَى } بما يعطيه الله - عز وجل - في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل .

(93) سورة الضحى
[1] قوله - عز وجل - : { وَالضُّحَى } ، أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل أنه قابله بالليل إذا سجى ، نظيره قوله : { أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى } ، أي نهارا . وقال قتادة ومقاتل : يعني وقت الضحى ، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس ، واعتدال النهار في الحر والبرد والصيف والشتاء ،
[2] { وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } ، قال الحسن : أقبل بظلامه ، وهي رواية العوفي عن ابن عباس ، وقال الوالبي عنه : إذا ذهب ، قال عطاء والضحاك : غطى كل شيء بالظلمة . وقال مجاهد : استوى . وقال قتادة وابن زيد : سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك . يقال : ليل ساج وبحر ساج إذا كان ساكنا .
[3] { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } هذا جواب القسم : أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك منذ أحبك .
[4 - 5] { وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى }{ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } ، قال عطاء عن ابن عباس : هو الشفاعة في أمته حتى يرضى ، وهو قول علي والحسن ، قيل : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ) من الثواب . وقيل : من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين ، (فَتَرْضَى) .

ثم أخبره الله - عز وجل - عن حالته التي كان عليها قبل الوحي ، وذكره نعمه فقال - جل ذكره - :
[6] { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } ، ألم يجدك يتيما صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى ، فجعل لك مأوى تأوي إليه ، وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المؤنة .
[7] { وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى } ، يعني ضالا عما أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوة : قال الحسن والضحاك وابن كيسان : (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلا عنها ، فهداك إليها ، وقيل : ضالا في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب .
[8] { وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى } أي فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم ، وقال مقاتل : فرضاك بما أعطاك من الرزق واختاره الفراء . وقال : لم يكن غنيا عن كثرة المال ولكن الله رضاه بما آتاه وذلك حقيقة الغنى . ثم أوصاه باليتامى والفقراء .
[9] فقال : { فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ } ، قال مجاهد : لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما . وقال الفراء والزجاج : لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه ، وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى ، تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم .

[10] { وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ } ، قال المفسرون : يريد السائل على الباب ، يقول : لا تنهره لا تزجره إذا سألك ، فقد كنت فقيرا فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردا لينا ، يقال : نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره . قال قتادة : رد السائل برحمة ولين ، وروي عن الحسن في قوله : (أما السائل فلا تنهر) ، قال : طالب العلم .
[11] { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ } ، قال مجاهد : يعني النبوة ، وقال الليث عن مجاهد : يعني القرآن وهو قول الكلبي ، أمره أن يقرأه ، وقال مقاتل : أشكر

لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدي بعض الضلالة والإغناء بعد العيلة ، والتحدث بنعمة الله شكرا .

(94) سورة الشرح
[1] { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة؟
{ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ } ، قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك : حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية ، وقال الحسين بن الفضل : يعني الخطأ والسهو . وقيل : ذنوب أمتك فأضافها إليه لاشتغال قلبه بهم .
[3] { الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ } ، أثقل ظهرك فأوهنه حتى سمع له نقيض أي صوت . وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة : يعني خففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها .

[4] { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } ، عن أبي سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - « أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) ، قال : قال الله - تعالى - : "إذا ذكرت ذكرت معي » (1) وعن الحسن قال : (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) إذا ذكرت ذكرت . وقال عطاء عن ابن عباس : يريد الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ، ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء ، وكان كافرا . ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة ، وذلك أنه كان بمكة في شدة .

_____
(1) أخرجه الطبري (30 / 235) وأبو يعلى في المسند (2 / 131) وابن حبان برقم (1772) ص 439 من موارد الظمآن وفيه ابن لهيعة وقد اختلط ، وروايات دراج عن أبي الهيثم فيها ضعف .

[5 - 6] فقال . { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا }{ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به ، إن مع العسر يسرا كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء . وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أبشروا قد جاءكم اليسر ، لن يغلب عسر يسرين » .
[7] { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ } ، أي فاتعب والنصب : التعب ، قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي : فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء ، وارغب إليه في المسألة يعطك . وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال : إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسألة . وقال ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل . وقال الشعبي : إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك . وقال الحسن وزيد بن أسلم : إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك . وقال منصور عن مجاهد : إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك وصل . وقال حيان عن الكلبي : إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب ، أي : استغفر لذنبك وللمؤمنين .

[8] { وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } ، قال عطاء : تضرع إليه راهبا من النار راغبا في الجنة . وقيل : فارغب إليه في جميع أحوالك . قال الزجاج : أي اجعل رغبتك إلى الله وحده .

(95) سورة التين
[1] { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ } ، قال ابن عباس : هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت . وقيل : خص التين بالقسم لأنها فاكهة مختصة لا عجم فيها ، شبيهة بفواكه الجنة . والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو تمر ودهن يصلح للاصطباغ والاصطباح . وقال عكرمة : هما جبلان . قال قتادة : التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس لأنهما ينبتان التين والزيتون . وقال الضحاك : هما مسجدان بالشام . قال ابن زيد : التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس . وقال محمد بن كعب : التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا .
[2] { وَطُورِ سِينِينَ } ، يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله : { وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ } .
[3] { وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ } ، أي الآمن ، يعني مكة يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام ، هذه أقسام والمقسم عليه قوله :

[4] { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } ، أعدل قامة وأحسن صورة ، وذلك أنه خلق كل حيوان منكبا على وجهه إلا الانسان خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعقل والتمييز .
[5] { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ } ، يريد إلى الهرم وأرذل العمر ، فينقص عقله ويضعف بدنه ، والسافلون هم الضعفاء والزمني والأطفال ، فالشيخ الكبير من هؤلاء جميعا ، وأسفل سافلين نكرة تعم الجنس وفي مصحف عبد الله (أسفل السافلين) . وقال الحسن وقتادة ومجاهد : يعني ثم رددناه إلى النار ، يعني إلى أسفل السافلين ، لأن جهنم بعضها أسفل من بعض .
[6] ثم استثنى فقال : { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا } ، فإنهم لا يردون إلى النار . ومن قال بالقول الأول قال : رددناه أسفل سافلين ، فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم ، فلا يكتب لهم حسنة إلا الذين آمنوا . { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، فإنه يكتب لهم بعد الهرم ، والخرف ، مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة { فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } ، غير مقطوع لأنه يكتب له كصالح ما كان يعمل . قال الضحاك : أجر بغير عمل ثم قال : إلزاما للحجة .

[7] { فَمَا يُكَذِّبُكَ } ، أيها الإنسان { بَعْدُ } ، أي بعد هذه الحجة والبرهان ، { بِالدِّينِ } ، بالحساب والجزاء والمعنى ، ألا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول إن الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني ، فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج .
[8] { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ } ، بأقضى القاضين ، قال مقاتل : يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد .

(96) سورة العلق
[1] { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } ، أكثر المفسرين : على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن ، وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله : { مَا لَمْ يَعْلَمْ } والمعنى : اذكر اسمه ، أمر أن يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا ، { الَّذِي خَلَقَ } قال الكلبي : يعني الخلائق ثم فسره فقال :
[2] { خَلَقَ }{ خَلَقَ } يعني ابن آدم ، { مِنْ عَلَقٍ } ، جمع علقة .
[3] { اقْرَأْ } ، كرره تأكيدا ، ثم استأنف فقال : { وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } ، فقال الكلبي : الحليم عن جهل العباد لا يعجل عليهم بالعقوبة .

[4] { الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ } ، يعني الخط والكتابة .
[5] { عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } ، من أنواع الهدى والبيان . وقيل : علم آدم الأسماء كلها . وقيل : الإنسان هاهنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، بيانه : { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ } .
[6] { كَلَّا } ، حقا { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى } ، ليتجاوز حده ويستكبر على ربه .
[7] { أَنْ } ، لأن ، { رَآهُ اسْتَغْنَى } ، أن رأى نفسه غنيا ، قال الكلبي : يرتفع عن منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما .

[8] { إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى } ، أي المرجع في الآخرة .
[9 ، 10] { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى }{ عَبْدًا إِذَا صَلَّى } ، نزلت في أبي جهل نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة ، ومعنى أرأيت هاهنا تعجيب للمخاطب ، وكرر هذه اللفظة للتأكيد .
[11] { أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى } ، يعني العبد المنهي ، وهو محمد - صلى الله عليه وسلم - .
[12] { أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى } ، يعني بالإخلاص والتوحيد .
[13] { أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ } ، يعني أبا جهل ، { وَتَوَلَّى } ، عن الإيمان ، وتقدير نظم الآية : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى }{ عَبْدًا إِذَا صَلَّى } وهو على الهدى ، وأمر بالتقوى ، والناهي مكذب متول عن الإيمان ، فما أعجب من هذا !
[14] { أَلَمْ يَعْلَمْ } ، يعني أبا جهل ، { بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى } ، ذلك فيجازيه به .

[15] { كَلَّا } ، لا يعلم ذلك ، { لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ } ، عن إيذاء محمد - صلى الله عليه وسلم - وتكذيبه ، { لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ } ، لنأخذن بناصيته فلنجرنه من النار ، كما قال : { فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ } ، يقال : سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذبا شديدا ، والناصية : شعر مقدم الرأس .
[16] ثم قال على البدل : { نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ } ، أي صاحبها كاذب خاطئ ، قال ابن عباس : لما نهى أبو جهل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة انتهره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال أبو جهل : أتنتهرني؟ فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا .
[17] قال الله - عز وجل - : { فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ } ، أي قومه وعشيرته ، أي فليستنصر بهم .
[18] { سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ } ، جمع زبنى مأخوذ من الزبن ، وهو الدفع ، قال ابن عباس : يريد زبانية جهنم سموا بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها ، قال الزجاج : هم الملائكة الغلاظ الشداد ، قال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله .

[19] ثم قال : { كَلَّا } ، ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ، { لَا تُطِعْهُ } ، في ترك الصلاة ، { وَاسْجُدْ } ، صل لله ، { وَاقْتَرِبْ } ، من الله .

(97) سورة القدر
[1] { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } ، يعني القرآن كناية عن غير مذكور ، أنه أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، فوضعه في بيت العزة ، ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوما في عشرين سنة .

[2] ثم عجب نبيه فقال : { وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ } ، سميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام ، يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة ، كقوله - تعالى - : { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ } واختلفوا في وقتها فقال بعضهم : إنها كانت على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم رفعت ، وعامة الصحابة والعلماء على أنها باقية إلى يوم القيامة . وقال بعضهم : هي ليلة من ليالي السنة ، والجمهور من أهل العلم : على أنها في شهر رمضان ، واختلفوا في تلك الليلة ، قال أبو رزين العقيلي : هي أول ليلة من شهر رمضان . وقال الحسن : ليلة سبع عشرة ، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر . والصحيح والذي عليه الأكثرون : أنها في العشر الأواخر من شهر رمضان ، أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعا في إدراكها ، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، واسمه الأعظم في الأسماء ، ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها ، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها ، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذرا من قيامها

.

[3] { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } : معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

[4] قوله - عز وجل - : { تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ } ، يعني جبريل عليه السلام معهم ، { فِيهَا } ، أي في ليلة القدر ، { بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ } ، أي بكل أمر من الخير والبركة ، كقوله : { يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } أي بأمر الله .

[5] { سَلَامٌ } ، قال عطاء : يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته . قال الشعبي : هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر . قال الكلبي : الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا أو مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر . وقيل : تم الكلام عند قوله : { بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ } ثم ابتدأ فقال : { سَلَامٌ هِيَ } أي ليلة القدر سلام وخير كلها ، ليس فيها شر . قال الضحاك : لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي إلا السلامة . وقال مجاهد : يعني أن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا ، ولا أن يحدث فيها أذى ، { حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ } ، أي إلى مطلع الفجر .

(98) سورة البينة

[1] { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ }، وهم اليهود والنصارى ، { وَالْمُشْرِكِينَ } ، وهم عبدة الأوثان ، { مُنْفَكِّينَ } ، زائلين منفصلين ، يقال : فككت الشيء فانفك أي انفصل ، { حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } ، لفظه مستقبل ومعناه الماضي أي حتى أتتهم الحجة الواضحة ، يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم - أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان ، فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين ، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة .

[2] ثم فسر البينة فقال : { رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو } ، يقرأ ، { صُحُفًا } ، كتابا ، يريد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها ، وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب ، قوله : { مُطَهَّرَةً } ، من الباطل والكذب والزور .

[3] { فِيهَا } ، أي في الصحف ، { كُتُبٌ } ، يعني الآيات والأحكام المكتوبة فيها ، { قَيِّمَةٌ } ، عادلة مستقيمة غير ذات عوج .

[4] ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال : { وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } ، في أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - ، { إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ } ، أي البيان في كتبهم أنه نبي مرسل . قال المفسرون : لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى بعثه الله ، فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا ، فآمن به بعضهم ، وكفر آخرون . ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال :
[5] { وَمَا أُمِرُوا } ، يعني هؤلاء الكفار ، { إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ } يعني إلا أن يعبدوا الله ، { مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } ، قال ابن عباس : ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين { حُنَفَاءَ } ، مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام ، { وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ } ، المكتوبة في أوقاتها { وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ } ، عند محلها ، { وَذَلِكَ } ، الذي أمروا به ، { دِينُ الْقَيِّمَةِ } ، أي الملة والشريعة المستقيمة . وقيل : القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها ، أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمر به .

[6] ثم ذكر ما للفريقين فقال : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ } .
[7 - 8] { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ }{ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } ، وتناهى عن المعاصي ، وقيل : الرضا ينقسم إلى قسمين رضا به ورضا عنه ، فالرضا به : ربا ومدبرا ، والرضا عنه : فيما يقضي ويقدر .

(99) سورة الزلزلة
[1] { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ } ، حركت الأرض حركة شديدة لقيام الساعة ، { زِلْزَالَهَا } ، تحريكها .
[2] { وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا } ، موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها .
[3] { وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا } ؟ قيل : في الآية تقديم وتأخير تقديره :
[4] { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } ، فيقول الإنسان ما لها ، أي تخبر الأرض بما عمل عليها .
[5] { بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا } أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها .
[6] قوله - تعالى - : { يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ } ، يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض ، { أَشْتَاتًا } ، متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار { لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ } ، قال ابن عباس : ليروا جزاء أعمالهم ، والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار .
[7] { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } ، وزن نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل . { خَيْرًا يَرَهُ }

[8] { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } ، قال ابن عباس : ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا في الدنيا إلا أراه الله له يوم القيامة ، فأما المؤمن

فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته ، وأما الكافر فيرد حسناته ويعذب بسيئاته .

(100) سورة العاديات
[1] { وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا } هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح ، والضبح صوت أجوافها إذا عدت ، "قوله : (ضَبْحًا) نصب على المصدر ، مجازه : والعاديات تضبح ضبحا . وقال علي : هي الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى .
[2] { فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا } هي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة ، يعني والقادحات قدحا يقدحن بحوافرهن ، وقال مجاهد وزيد بن أسلم : هي مكر الرجال ، يعني رجال الحرب ، والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه : أما والله لأقدحن لك ثم لأورين لك .
[3] { فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا } ، هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح ، هذا قول أكثر المفسرين . وقال القرظي : هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى ، والسنة ألا تدفع حتى تصبح والإغارة سرعة السير .
[4] { فَأَثَرْنَ بِهِ } ، أي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لأن المعنى مفهوم ، { نَقْعًا } ، غبارا والنقع الغبار .
[5] { فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا } ، أي دخلن به وسط العدو ، قال القرظي : يعني جمع منى أقسم الله بهذه الأشياء .

[6] { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : لكنود لكفور جحود لنعم الله - تعالى - . قال الكلبي : هو بلسان مضر وربيعة : الكفور ، وبلسان كندة وحضرموت : العاصي . وقال الحسن : هو الذي يعد المصائب وينسى النعم . وقال عطاء : هو الذي لا يعطي في النائبة مع قومه . وقال أبو عبيدة : هو قليل الخير ، والأرض الكنود التي لا تنبت شيئا .
[7] { وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ } ، قال أكثر المفسرين : وإن الله على كونه كنودا لشاهد . وقال ابن كيسان : الهاء راجعة إلى الإنسان أي إنه شاهد على نفسه بما يصنع .
[8] { وَإِنَّهُ } ، يعني الانسان { لِحُبِّ الْخَيْرِ } ، أي لحب المال ، { لَشَدِيدٌ } أي لبخيل ، أي إنه من أجل حب المال لبخيل . يقال للبخيل : شديد ومتشدد . وقيل : معناه وإنه لحب الخير لقوي أى شديد الحب للخير ، أي المال .
[9] { أَفَلَا يَعْلَمُ } ، هذا الإنسان ، { إِذَا بُعْثِرَ } ، أثير وأخرج ، { مَا فِي الْقُبُورِ } .
[10] { وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ } ، أي ميز وأبرز ما فيها من خير أو شر .

[11] { إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ } ، جمع الكناية لأن الإنسان اسم الجنس ، { يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ } ، عالم ، قال الزجاج : الله خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى أنه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم .

(101) سورة القارعة
[1] { الْقَارِعَةُ } ، اسم من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بالفزع .
[2] { مَا الْقَارِعَةُ } ، تهويل وتعظيم .
[3 - 4] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ } { يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ } ، الفراش الطير التي تراها تتهافت في النار والمبثوث المفرق . وقال الفراء :

كغوغاء الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من الهول كما قال : { كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ } .
[5] { وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ } ، كالصوف المندوف .
[6 - 7] { فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ } ، رجحت حسناته ، { فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ } ، مرضية في الجنة . قال الزجاج : ذات رضا يرضاها صاحبها .
[8] { وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ } ، رجحت سيئاته على حسناته .

[9] { فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ } ، مسكنه النار سمي المسكن أما لأن الأصل في السكون إلى الأمهات ، والهاوية اسم من أسماء جهنم ، وهو الهواة لا يدرك قعرها ، وقال قتادة : وهي كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد ، يقال : هوت أمه . وقيل : أراد أم رأسه يعني أنهم يهوون في النار على رءوسهم ، وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح .
[10] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ } يعني الهاوية وأصلها ما هي أدخل الهاء فيها للوقف ثم فسرها .
[11] فقال : { نَارٌ حَامِيَةٌ } ، أي حارة قد انتهى حرها .

(102) سورة التكاثر
[1] { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } ، شغلتكم المباهات والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه .
[2] { حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } ، حتى متم ودفنتم في المقابر ، ثم رد الله عليهم فقال :
[3] { كَلَّا } ، ليس الأمر بالتكاثر ، { سَوْفَ تَعْلَمُونَ } ، وعيد لهم ، ثم تكرره تأكيدا فقال:
[4] { ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ } ، قال الحسن ومقاتل : هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت . وقال الضحاك : (كلا سوف تعلمون) يعني الكفار ، (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يعني المؤمنين وكان يقرأ الأولى بالتاء والثانية بالياء .
[5] { كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ } ، أي علما يقينا فأضاف العلم إلى اليقين كقوله : { لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } ، وجواب (لو) محذوف أي لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر . قال قتادة : كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت .

[6] { لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ } ، قرأ ابن عامر والكسائي (لَتَرَوُنَّ) بضم التاء من أريته الشيء ، وقرأ الآخرون : بفتح التاء أي ترونها بأبصاركم من بعد .
[7] { ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا } ، مشاهدة { عَيْنَ الْيَقِينِ } .
[8] { ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ } عن ابن مسعود رفعه قال : { ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ } قال : "الأمن والصحة" . وقال قتادة : إن الله يسأل كل ذي نعمة عما أنعم عليه . وروي عن ابن عباس قال : النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد فيم استعملوها ، وهو بذلك منهم ، قال عكرمة : عن الصحة والفراغ والمال ، قال محمد بن كعب : يعني عما أنعم عليكم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- . وقال أبو العالية : عن الإسلام والسنن . وقال الحسين بن الفضل : تخفيف الشرائع وتيسير القرآن .

(103) سورة العصر
[1] { وَالْعَصْرِ } ، قال ابن عباس : والدهر . قيل : أقسم به لأن فيه عبرة للناظر . وقيل : معناه ورب العصر ، وكذلك في أمثاله . وقال ابن كيسان : أراد بالعصر الليل والنهار ، يقال لهما العصران . وقال الحسن : من بعد زوال الشمس إلى غروبها . وقال قتادة : آخر ساعة من ساعات النهار . وقال مقاتل : أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى .
[2] { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ } ، أي خسران ونقصان ، قيل : أراد به الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين ، والخسران ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي ، وهما أكبر رأس ماله .
[3] { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ، فإنهم ليسوا في خسران ، { وَتَوَاصَوْا } ، أوصى بعضهم بعضا ، { بِالْحَقِّ } ، بالقرآن قاله الحسن وقتادة ، وقال مقاتل : بالإيمان والتوحيد ، { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } ، على أداء الفرائض وإقامة أمر الله . وروى ابن عون عن إبراهيم قال : أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع إلا المؤمنين فإنهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم .

(104) سورة الهمزة
[1] { وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ } ، قال ابن عباس : هم المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت ، ومعناهما واحد وهو العياب . وقال مقاتل : الهمزة الذي يعيبك في الغيب ، واللمزة الذي يعيبك في الوجه . وقال أبو العالية والحسن : بضده ، وقال سعيد بن جبير وقتادة : الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم ، واللمزة الطعان عليهم . وقال ابن زيد : الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم ، واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم . وقال سفيان الثوري : ويهمز بلسانه ويلمز بعينيه . ومثله قال ابن كيسان : الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ ، واللمزة الذي يومض بعينه ويشير برأسه ، ويرمز بحاجبه . وهما لغتان للفاعل نحو سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك من الناس ، وأصل الهمز : الكسر والعض على الشيء بالعنف .
[2] ثم وصفه فقال : { الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ } ، أحصاه ، وقال مقاتل : استعده وادخره وجعله عتادا له ، يقال : أعددت الشيء وعددته إذا أمسكته .
[3] { يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ } ، في الدنيا يظن أنه لا يموت مع يساره .

[4] { كَلَّا } رد عليه أن لا يخلده ماله ، { لَيُنْبَذَنَّ } ، ليطرحن ، { فِي الْحُطَمَةِ } ، في جهنم ، والحطمة من أسماء النار مثل سقر ولظى سميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها .
[5- 7] { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ } { نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ } { الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ } ، أي التي بلغ ألمها ووجعها إلى القلوب ، والاطلاع والبلوغ التطلع بمعنى واحد ، يحكى عن العرب متى طلعت أرضنا أي بلغت ، ومعنى الآية : أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده ، قاله القرظي والكلبي .
[8] { إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ } ، مطبقة مغلقة .

[9] { فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ } ، قال ابن عباس : أدخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد ، وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الأبواب ، وقال قتادة : بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار . وقيل : هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، أي أنها مطبقة عليهم بأوتاد ممددة وهي في قراءة عبد الله (بعمد)

بالباء ، قال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ثم سدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتف عليهم باب ولا يدخل عليهم ريح ، والممددة من صفة العمد ، أي مطولة فتكون أرسخ من القصيرة .

(105) سورة الفيل
[1] { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ } أبرهة بالعننص بن الصياح وأتباعه الذين قصدوا هدم الكعبة" .
[2] { أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ } ، كيدهم يعني مكرهم وسعيم في تخريب الكعبة . وقوله : في تضليل عما أرادوإ ، ضلل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة ، وإلى ما أرادوه بكيدهم . وقال مقاتل : في خسارة وقيل : في بطلان .
[3] { وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ } ، كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا . وقيل : أقاطيع كالإبل المؤبلة . قال أبو عبيدة : أبابيل جماعات في تفرقة ، يقال . جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا . قال ابن عباس : كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب . وقال عكرمة : لها رؤوس كرؤوس السباع . قال الربيع : لها أنياب كأنياب السباع . وقال سعيد بن جبير : خضر لها مناقير صفر . وقال قتادة : طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا تصيب شيئا إلا هشمته .

[4] { تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ } ، قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة فبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر ، وإن وقع على رأسه خرج من دبره .
[5] { فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ } ، كزرع وتين أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت أجزاؤه ، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث . قال مجاهد : العصف ورق الحنطة . وقال قتادة : هو التبن . وقال عكرمة : كالحب إذا أكل فصار أجوف . وقال ابن عباس : هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له .

[106] سورة قريش
[1] { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } عد بعضهم سورة الفيل . " وهذه السورة واحدة لا فصل بينهما وقالوا : اللام في { لِإِيلَافِ } تتعلق بالسورة التي قبلها ، وذلك أن الله - تعالى - ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة ، وقال : { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } وقال الزجاج : المعنى جعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ، أي هلك أصحاب الفيل لتبقى قريش ، وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف . وقال مجاهد : ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف . والعامة على أنهما سورتان ، واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله : (لإيلاف) قال الكسائي والأخفش : هي لام التعجب ، يقول : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة رب البيت . وقال الزجاج : هي مردودة إلى ما بعدها تقديره : فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف . وقال ابن عيينة : لنعمتي على قريش ، وقريش هم ولد النضر بن كنانة ، وكل من ولده النضر فهو قرشي ، ومن لم يلده النضر فليس بقرشي .

[2] قوله - تعالى - : { إِيلَافِهِمْ } ، بدل من الإيلاف الأول ، { رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } , { رِحْلَةَ } نصب على المصدر ، أي ارتحالهم رحلة الشتاء

والصيف ، كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة إحداهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدفأ ، والأخرى في الصيف إلى الشام . وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع ، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم ، وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء ، كانوا يقولون : قريش سكان حرم الله وولاة بيته ، فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة وأمرهم الله بعبادة رب البيت فقال :
[3] { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } ، أي الكعبة .
[4] { الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ } أي من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة ، { وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ } ، بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم .

(107) سورة الماعون
[1] { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ } ، أي بالجزاء والحساب .
[2] { فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ } ، يقهره ويدفعه عن حقه ، والدع : الدفع بالعنف والجفوة .
[3] { وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ } ، لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالجزاء .
[4 - 5] { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ } { الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } ، سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) ، قال : "إضاعة الوقت " (1) ، قال ابن عباس : هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ، ويصلونها في العلانية إذا حضروا .

_____
(1) أخرجه البيهقي في السنن (2 / 214) مرفوعا وموقوفا ، وأبو يعلى في المسند موقوفا (1 / 336) والطبري (30 / 311) والمصنف في شرح السنة (2 / 246) .

[6] لقوله - تعالى - : { الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ } ، وقال في وصف المنافقين : { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ } ، وقال قتادة : ساه عنها لا يبالي صلى أم لم يصل . قيل : لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عقابا إن تركوا . وقال مجاهد : غافلون عنها يتهاونون بها . وقال الحسن : هو الذي إن صلاها صلاها رياء ، وإن فاتته لم يندم . وقال أبو العالية : لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها .
[7] { وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } ، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : هي الزكاة . وقال عبد الله بن مسعود : الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك . وقال مجاهد : الماعون العارية . وقال عكرمة : أعلاها الزكاة المعروفة ، وأدناها عارية المتاع . وقيل : الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار .

(108) سورة الكوثر
[1] { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } عن ابن عباس قال : الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه . قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير : إن أناسا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه . قال الحسن : هو القرآن . قال عكرمة : النبوة والكتاب . والمعروف : أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في الحديث .
[2] قوله - عز وجل - : { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } ، قال محمد بن كعب : إن أناسا

كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله ، فأمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يصلي وينحر لله - عز وجل - . وقال عكرمة وعطاء وقتادة : فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك . وقال سعيد بن جبير ومجاهد : فصل الصلوات المفروضة بجمع ، وانحر البدن بمنى .
[3] قوله - تعالى - : { إِنَّ شَانِئَكَ } ، عدوك ومبغضك ، { هُوَ الْأَبْتَرُ } ، هو الأقل الأذل المنقطع دابره .

(109) سورة الكافرون
[1 - 2] { قُلْ يا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ }{ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } ، في الحال .
[3 - 5] { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } ، في الحال ، { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ } ، في الاستقبال { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } ، في الاستقبال ، وهذا خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون ، وذلك أنهم قالوا : إن سرك أن ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما ، فنزلت هذه السورة .
[6] { لَكُمْ دِينُكُمْ } ، في الشرك, { وَلِيَ دِينِ } الإسلام .

[110] سورة النصر

[1] { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } يا محمد على من عاداك وهم قريش, والفتح فتح مكة .
[2] { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } , زمرا وأرسالا القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال . قال الحسن : لما فتح الله - عز وجل - مكة على رسوله قالت العرب بعضها البعض : إذا ظفر محمد بأهل الحرم, وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل, فليس لكم به يدان, فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا, واثنين اثنين .
[3] { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } , فإنك حينئذ لاحق به, قال ابن عباس : لما نزلت هذه السورة علم النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نعيت إليه نفسه . قال الحسن : أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح . قال قتادة ومقاتل : عاش النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزول هذه السورة سبعين يوما .

[111] سورة المسد
[1] { تَبَّتْ } أي خابت وخسرت { يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } أي هو, أخبر عن يديه والمراد به نفسه على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله . وقيل : اليد صلة, كما يقال : يد الدهر ويد الرزايا والبلايا . وقيل : المراد به ماله وملكه, يقال : فلان قليل ذات اليد, يعنون به المال والثياب والخسار والهلاك . وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي - صلى الله عليه وسلم - واسمه عبد العزى وتب أبو لهب , وقرأ عبد الله : وقد تب . قال الفراء : الأول دعاء, والثاني خبر, كما يقال : أهلكه الله, وقد فعل .
[2] { مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ } أي ما يغني, وقيل : أي شيء عنه ماله, أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال؟ وكان صاحب مواش { وَمَا كَسَبَ } قيل : يعني ولده لأن ولد الإنسان من كسبه كما جاء في الحديث : « أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه, وأن ولده من كسبه » .
(1) .
[3] ثم وعده بالنار فقال : { سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ } , أي نارا تلتهب عليه .

_____
(1) حديث صحيح روي من طرق بألفاظ متقاربة أخرجه أبو داود في الإجارات (5 / 182) , والترمذي في الأحكام (4 / 592) , وقال : حديث حسن, والنسائي في البيوع (7 / 241) , وابن ماجه في التجارات برقم (2290- 2 / 768) , والدارمي في البيوع (2 / 247) , وصححه ابن حبان ص 268 من موارد الظمآن .

[4] { وَامْرَأَتُهُ } , أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان { حَمَّالَةَ الْحَطَبِ } ، قال زيد والضحاك : كانت تحمل الشوك والعضاه فتطرحه في طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأصحابه لتعقرهم ، وهي رواية عطية عن ابن عباس . وقال قتادة ومجاهد والسدي . كانت تمشي بالنميمة وتنقل الحديث فتلقي العداوة بين الناس ، وتوقد نارها كما توقد النار الحطب ، يقال : فلان يحطب على فلان إذا كان يغري به .
[5] { فِي جِيدِهَا } ، في عنقها ، وجمعه أجياد ، { حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ } ، واختلفوا فيه قال ابن عباس وعروة بن الزبير : سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل في فيها وتخرج من دبرها ، ويكون سائرها في عنقها وأصله من المسد وهو الفتل, والمسد ما فتل وأحكم من أي شيء كان ، يعني السلسلة التي في عنقها ففتلت من الحديد فتلا محكما . وروى الأعمش عن مجاهد : من مسد أي من حديد . قال ابن زيد : حبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد ، قال قتادة : قلادة من ودع . وقال الحسن : كانت خرزات في عنقها .

[112] سورة الإخلاص
[1] { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، روى أبو العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : انسب لنا ربك فأنزل الله - تعالى - هذه السورة (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) أي واحد ، ولا فرق بين الواحد والأحد .
[2] { اللَّهُ الصَّمَدُ } ، قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير : الصمد الذي لا جوف له . قال الشعبي : الذي لا يأكل ولا يشرب . وقيل تفسيره ما بعده . روى أبو العالية عن أبي بن كعب ، قال : الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، لأن من يولد سيموت ومن يرث يورث منه . قال أبو وائل شقيق بن سلمة : هو السيد الذي قد انتهى سؤدده . وعن ابن عباس قال : هو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد . وعن سعيد بن جبير أيضا : هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله . وقيل : هو السيد المقصود في الحوائج . وقال قتادة : الصمد الباقي بعد فناء خلقه . وقال عكرمة : الصمد الذي ليس فوقه أحد . وقال الربيع : الذي لا تعتريه الآفات . قال مقاتل بن حيان : الذي لا عيب فيه .

[3 - 4] { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ }{ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } ، قرأ حمزة وإسماعيل (كُفُوًا) ساكنة الفاء مهموزا ، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز ، وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزا ، وكلها لغات صحيحة ، ومعناه : المثل أي هو أحد ، وقيل : هو على التقديم والتأخير مجازه : لم يكن له أحد كفوا أي مثلا . قال مقاتل : قال مشركو العرب : الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود : عزيز ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل .

(113) سورة الفلق
[1] { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } , أراد بالفلق الصبح ، وهو قول أكثر المفسرين ، وروي عن ابن عباس : أنه سجن في جهنم . وقال الكلبي : واد في جهنم . وقال الضحاك : يعني الخلق ، والأول هو المعروف .
[2 - 3] { مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ }{ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } المراد به القمر إذا خسف واسود : وقب أي دخل في الخسوف أو أخذ في الغيبوبة وأظلم . وقال ابن عباس : الغاسق الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ودخل في كل شيء وأظلم ، والغسق الظلمة ، يقال غسق الليل وأغسق إذا أظلم ، وهو قول الحسن ومجاهد ، يعني : الليل إذا أقبل ودخل ، والوقوب : الدخول ، وهو دخول الليل بغروب الشمس قال مقاتل : يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار . وقيل : سمي الليل غاسقا لأنه أبرد من النهار ، والغسق البرد .
[4] { وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } ، يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها . قال أبو عبيدة : هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي - صلى الله عليه وسلم - .
[5] { وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } ، يعني اليهود فإنهم كانوا يحسدون النبي - صلى الله عليه وسلم - .